

عبد الحارث

إبراهيم أحمد الجارو

د. عبد الحارث الجارو



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠١٧٨١

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى - مكة المكرمة  
كلية اللغة العربية  
قسم الدراسات العليا العربية  
فرع البلاغة

## البديع في القرآن عند المتأخرين وآثره في الدراسات البلاغية

رسالة لنيل درجة الماجستير في البلاغة

إعداد الطالب

١٠٠٣٩٦٠

د. خليل الله بن محمد الصحفي



إشراف الدكتور

إبراهيم أحمد الجارو

١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

## ملخص الرسالة

الحمد لله وحده والملاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .. وبعد :  
فقد جاء البحث مشتملا على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب ، كل باب يحتوى على فصلين ، ثم خاتمة بأهم النتائج وثبت بأهم المصادر والمراجع وفهرست للموضوعات .  
أما المقدمة : فقد تحدثت فيها عن الأسباب التى دفعتنى لاختيار الموضوع ، ثم تكلمت عن المنهج العام فى تناولى لهذا الموضوع .

وأما التمهيد : فقد تعرضت فيه للمعنى اللغوى والاصطلاحى لكلمة بديع ، ثم تكلمت فى إيجاز عن المراحل التى ارتبط بها علم البديع .

وأما الباب الأول فيقع فى مبحثين :

الأول : تناولت فيه دراسة نشأة علم البديع وتطوره منذ بدأ التأليف الى أن استقر على يد الخطيب القزوينى المتوفى سنة ٧٣٩هـ ثم ختمت المبحث بكلام لابن جنى عن اللفاظ ، وقد بينت أن النسق الصوتى فى القرآن شئ أصيل وليس حلية لفظية كما يرى بعض البلاغيين .

وفى المبحث الثانى : تكلمت عن البديعيات تعريفا ، نشأتها ، عددها ، ثم ختمت المبحث عن الأسباب التى أدت الى انتشارها ، وأبدت رأى فيها .

وأما الباب الثانى : فتناولت فى الفصل الأول ، منهج أبى السعود فى التفسير واهتمامه ببديع القرآن ، ثم أفردت القول لما جاء من بديع المعنى واللفظ فى تفسيره ، وقد انحصر عنده بديع المعنى فى خمسة وعشرين فنا وبديع اللفظ فى أربعة أنواع ، ثم ختمت الفصل عن أثر القرآن فى هذه الألوان التى وردت فى تفسيره .

أما الفصل الثانى ، فقد قمت فيه بدراسة تحليلية لألوان البديع المعنوية واللفظية التى وردت فى سورة الرعد ثم تكلمت عن القوافل القرآنية فى سورة التكويد ، وقد أجريت قبلها احصاء شاملا لقوافل القرآن الكريم ، وقد قصدت بهذا الدراسة التطبيقية على سور من القرآن الكريم .

أما الباب الثالث : فكان حول البديع وقضية الإعجاز ، ويحتوى على فصلين :

الأول : عن ابن الأثير ومنهجه فى كتابه المثل السائر ، ثم تحدثت عن المحسنات المعنوية واللفظية بمفهوم المتأخرين عنده ، وختمت الفصل عن أثر القرآن فى هذه الأنواع .

وأما الفصل الثانى : فقد خصمته لابن أبى الأصبع فى كتابه "بديع القرآن" حيث تكلمت عن منهجه ، ثم وضحت أهم المواضع التى اختلف فيها عن مدرسة السكاكى ، ثم أفردت القول فى مبتكراته .

وأخيرا ختمت المبحث عن أثر القرآن فى كتابه "بديع القرآن" .

عميد كلية اللغة العربية  
المستشار  
د. محمد بن موسى الحارثي  
د. إبراهيم بن محمد الحارثي

د. نيل الله محمد الصافي

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أقصم من نطق بالفاد فكان من الحجة والبلاغة بمكان ، أحرص بها لسان أهل الزور والبهتان ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين وبعده :

فلعل أقل العلوم حظا - من بين علوم البلاغة ، وأقلها عناية من حيث اهتمام الباحثين به ، هو علم البديع ، والذي يبدو لى أن السبب راجع الى الخلاف الذى دار قديما بين العلماء حول مكانة البديع من مطابقة الكلام لمقتضى الحال التى هى عماد البلاغة العربية ، فمعظم البلاغيين لا يرون له دورا فى تحقيق هذه المطابقة ، بل ان هناك من ذهب الى أن المحسن البديعى ان لم تكن له نكتة فهو من علم البديع وان وجدت له نكتة فهو من علم المعانى .

وعندما نظرت فى كتب المتأخرين من مدرسة السكاكى وشراحه رأيت كثرة مسائل هذا العلم وقضاياها ، ولاحظت أن طريقة المعالجة عندهم لاتعتنى بهذه المسائل ، ولاتقف عندها ولاتوضح أسرارها ، ذلك لأنهم لايعترفون بأن لمسائل علم البديع - حتى وان قلنا بأنها محسنات وكفى - أسرارايمن أن تكشف وتبين لفنون هذا العلم ، فقد جعلوه ذيلًا فى البلاغة العربية يأتى بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة .

ولما كانت تلك نظرة جل المتأخرين ، رأيت أن أختار نماذج من المتأخرين الذين عادوا بالبديع الى سيرته الأولى فجاءوا بشواهد له من قمة التراث العربى "القرآن الكريم" وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن كلام العرب البلغاء من شعر ونثر ، فكان البديع عندهم وسيلة من وسائل التعبير ، وليس غاية تبذل فى سبيلها الجهود ، وتتسابق فى ادراكها القرائح والعقول .

وقد اخترت ثلاثة من البلاغيين ، المتأخرين ، واحدا من المفسرين البلاغيين وهو أبو السعود فى تفسيره "ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم" ذلك لأن تفسيره حوى منهجى مفسرين بلاغيين قبله ، وهما ، تفسير الزمخشري وتفسير البيضاوى ، وقد استفاد منهما كثيرا .

وأما الآخران فهما كتاب المثل السائر لابن الاثير ، وبديع القرآن لابن أبى الأصبع .

ومادفعنى الى اختيار هذا الموضوع الاسباب الآتية :

أولا : ان علم البديع - كما قلت - لم ينل من بين علوم البلاغة عند المتأخرين الاهتمام الذى حظى به علما "المعانى والبيان" اذ جعلوه ذيلًا فى البلاغة العربية ولا يذكرونه الا بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة .

ثانيا : أن أهمية هذا الموضوع وقيمه الكبرى مستمدة من قمة التراث العربى ممثلا فى "القرآن الكريم" وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والشعر العربى الذى كان فى تلك الفترة التى ازدهرت فيها العربية وثبت أسلوبها الانموذج الاعلى وهو القرآن الكريم ، ثم هو - أى البديع - فى



القرآن معدود عند بعض العلماء المتأخرين كابن أبى الاصبع ،  
والسيوطى (فى المعتزك) والزركشى فى (البرهان) وجها من  
وجوه الاعجاز عندهم . فهو الممدر المعين لهم .  
وقد جاء البحث مشتملا على تمهيد وثلاثة أبواب كل باب  
يحتوى على فصلين ، وخاتمة بأهم النتائج ، وثبت بأهم  
المصادر والمراجع وفهرست للموضوعات .

أما التمهيد فقد تعرضت فيه للمعنى اللغوى والمعنى  
الاصطلاحى لكلمة بديع ، ثم تكلمت فى ايجاز عن المراحل التى  
ارتبط بها علم البديع ، مرحلة الفطرة ومسايرة الطبع  
الصافى ومرحلة ما بعد العصر العباسى وهى مرحلة التكلف  
والتمنع وذلك حتى عصر السكاكى .

أما الباب الأول : فيقع فى مبحثين :

الأول : عنيت فيه بدراسة نشأة علم البديع وتطوره منذ  
عصر التأليف الى أن استقر على يد الخطيب القزوينى المتوفى  
سنة ٧٣٩ هـ ثم ختمت المبحث بكلام لابن جنى عن اللفاظ ، ومن  
ثم تحدثت عن السجع والجناس وكلام الشيخ عبد القاهر عنهما ،  
وبينت أن النسق الصوتى فى القرآن شئ أصيل ، وليس حلية  
لفظية كما يرى بعض البلاغيين .

وفى المبحث الثانى : تكلمت عن البديعيات ، تعريفها  
ونشأتها واختلاف الباحثين حول ذلك - اعنى نشأتها - وعددها  
وختمت المبحث بالأسباب التى أدت الى انتشار هذه البديعيات  
وبينت رأى فيها .

أما الباب الثانى : فتناولت فى الفصل الأول ، منهج  
أبى السعود فى التفسير وتأثره ببديع القرآن ، حيث تكلمت

عن المنهج الصحيح لتفسير القرآن الكريم ، منهجه فى التفسير ، من تفسير للقرآن بالقرآن ، والقرآن بالسنة ، وعن الفقه فى منهجه وعن التفسير بالرأى وهو الذى التزم به أبو السعود فى تفسيره ثم وضحت مدى استخدامه للاقيسة فى علم الكلام عنده ، ثم تحدثت عن مذهبه فقد كان حنفيا ، وكان يرد على فرق الجبرية ، والمعتزلة ، والكرامية ، وغيرهم وأخيرا بينت موقعه من الاسرائيليات .

ثم وضحت رأى فى كلمة محسن ، واخترت بدلها كلمة بديع وبعد ذلك أفردت القول لما ورد من بديع المعنى واللفظ فى تفسيره ، وقد انحصر عنده بديع المعنى فى خمسة وعشرين نوعا وهى :

(الطباق ، المقابلة ، مراعاة النظير ، الاستطراد - اللف والنشر ، الكلام الموجه ، المشاكلة ، تجاهل المعارف ، المناسبة ، التجريد ، المذهب الكلامى ، التقسيم ، الاستدراج والاستقصاء ، التفصيل ، الاحتراس ، الاستدراك ، التتميم ، الادماج ، العنوان ، التفسير بعد الابهام ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، الاكتفاء ، الالتفات .

وقد جاء بديع اللفظ عنده فى أربعة أنواع هى : براءة الاستهلال ، حسن التخلص ، التجانس ، الفواصل القرآنية ، ثم ختمت الفصل عن أثر القرآن فى تفسير أبى السعود وما جاء فيه من ألوان البديع .

أما الفصل الثانى : فقد عنيت فيه بدراسة تحليلية لألوان البديع المعنوية ، واللفظية ، لما جاء فى سورة الرعد ، ومنها ، المقابلة ، والطباق ومراعاة النظير ،

والتقسيم والمشاكلة ، والترتيب والتقسيم ، والاكتفاء ورد  
الاعجاز على الصدور والاستخدام وغيرها ملاحظناه من خلال  
تحليلنا للسورة ثم بينت أن أكثر الفنون ورودا في القرآن  
الطباق ، والمقابلة وقد يليها المشاكلة ، والالتفات ،  
والتقسيم ، والتفصيل ، وقد حاولت استنباط بعض الأسباب التي  
جعلت فنى الطباق والمقابلة أكثر ورودا من غيرها .

ثم تكلمت عن الفواصل القرآنية في سورة التكوير ، وقد  
قمت قبلها بإحصاء شامل لفواصل القرآن الكريم تبينت من  
خلاله أن أكثر ما تنتهى به فواصل القرآن الكريم حرف النون  
والميم ، يليها اللام والراء ، وأقلها ورودا حرف الواو  
والشين والغين ، ولا يوجد بها حرف الخاء .

ثم تحدثت عن الفواصل من خلال سورة التكوير ، ورأيت  
فيها تنوع الفواصل ، وقد تكلمت عن فن الجنس ، وعن أجراس  
الحروف وبيئت منزلتها في البلاغة العربية ، وقد قدمت بهذا  
الدراسة التطبيقية على سور من القرآن الكريم .

أما الباب الثالث : فيدور حول البديع وقضية الاعجاز  
ويحتوى على فصلين ، تكلمت في الفصل الأول عن ابن الأثير  
ومنهجه ، ثم تحدثت عن المحسنات المعنوية واللفظية بمفهوم  
المتأخرين من مدرسة السكاكى ، فكان تحت المعنوية :  
التجريد والالتفات ، والتفسير بعد الإيهام ، والاستدراج ، عكس  
الظاهر والتناسب بين المعانى ويشمل الطباق والمقابلة ،  
وصحة التقسيم وفساده وترتيب التفسير والاقتصاد والتفريط ،  
والافراط والارصاد ، والتوشيح ، مبينا في ذلك أثر بديع  
القرآن فيها .

ثم تحدثت عن المحسنات اللفظية ، وهى التصريع والسجع  
والترصيع ولزوم مالا يلزم ، موضحا أثر القرآن الكريم فى  
ذلك وكيف أكثر ابن الاثير من الشواهد منه .

أما الفصل الاخير : فقد خصمته لابن أبى الاصبع فى كتابه  
(بديع القرآن) حيث أفردت الحديث عن منهجه ، ثم بينت أهم  
المواضع التى اختلف فيها عن مدرسة السكاكى ، وهى التحليل  
والوضوح ، والاكتثار من الشواهد ، والاسلوب الادبى الذى  
رأيناه فى كتابه ، ثم تطرقت لاضافات ابن أبى الاصبع وبينت  
اختلاف الباحثين فى ذلك ، ثم أبديت رأى حيث قمت بدراسة  
وافية لمبتكراته وبينت ماسلم له وماتداخل عليه ، ومن ثم  
ختمت الفصل عن أثر القرآن الكريم فى بديع ابن أبى الاصبع ،  
ووضحت كيف جعل مصادره القرآن الكريم ودواين العرب  
القدماء ، واعتمد على الاصول القديمة من التراث شعره ونثره  
وأخيرا وضعت ثبثا بأسماء المصادر والمراجع التى كانت  
عوننا لى فى هذه الدراسة وبهذا يكتمل المنهج العام الذى  
سرت فيه باحثا علم "البديع فى القرآن عند المتأخرين وأثره  
فى الدراسات البلاغية" .

وبعد :

وانى اذ أشكر الله الذى أمدنى بتوقيقه وعونه حتى  
خرج هذا البحث واستوى على سوقه ، لأشكر من بعده جامعة أم  
القرى على اهتمامها بالعلم وطلابه وتوفيرها السبل الكثيرة  
لطلابها الدارسين .

وأتوجه بالشكر لسعادة عميد كلية اللغة العربية سابقا  
الدكتور عليان محمد الحازمي ولاحقا الدكتور محمد بن مريسي  
الحارثي على ما بذلاه من جهد في اكمال هذه المرحلة من البحث  
ولأنسى فضيلة المشرف على الرسالة ، الذي غرس فأحسن الغرس  
وبعث في طاقة خلاقة ، حتى خرج هذا البحث ثمرة طيبة من شمار  
غرسه الكريم الأستاذ الفاضل الدكتور ابراهيم أحمد الحاردلو  
الذي أمدني بتوجيهاته الرشيدة ، وأعانني بإرشاداته  
السديدة وفتح لي قلبه وعقله ، وذلك لي الصعاب ويسر لي  
المراد .

وانى أتقدم ثانية بخالص شكرى الى كل من أسهم بجهده  
المشكور في كل ما أعان عليه ، حتى خرج هذا البحث على صورته  
الواقية .

وأخيرا فان نلت الرضى ، وبلغت السداد فهذا أملى والا  
فحسبى الصديق في النية والاخلاص في العمل ، وماؤمله أن تقال  
العثرات ويغضى عن الهفوات .  
والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم  
وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

## الباب الأول

# نمو مصطلح البديع وتشعبه

الفصل الأول : نمو مصطلح البديع وتطوره

الفصل الثانى : تشعيب فنون البديع والاختلاف حولها

## الباب الأول

تمهيد :

قبل الخوض فى المراحل التاريخية التى مرت بها كلمة بديع ، يحسن بنا أن نتعرف على المعنى اللغوى ، والمعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة ليكون ذلك دليلا يضى لنا الطريق ، ومنهاجا يعصمنا من الزلل المقزع بجهدنا المتوافع واطلاعنا القانع . فنستميحكم العذر ان لم نوفق فى نفع غلة المادين للازدياد . فلايلام المرء بعد الاجتهاد .

البديع فى اللغة :

(١)  
جاء فى القاموس المحيط ، البديع ، المبتدع والمبتدع باسم الفاعل واسم المفعول .  
والبدع : الأمر الذى يجىء أولا ، وأبدع ابداعا ، والشاعر أتى بالبديع ... والمادة كلها تدور حول الابتداء بشئ من غير أن يكون له مثال سابق ، وفى القرآن الكريم فى وصف الله سبحانه وتعالى : {بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أى منشؤهما على غير مثال سابق ، وكل من أنشأ مالم يسبق اليه ، يقال له مبدع ، وسميت البدعة بذلك لأن قائلها أو فاعلها ابتدعها من غير أن يكون له سلف فيها ولم يعرفها العرف ، ومنه بدائع الدهور. أى الأمور المستحدثة التى لم يسبق لها نظير . (٣)

(١) القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ط/١٣٧٢هـ/١٩٥٢م مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي ، مصر ٣/٣ .  
(٢) سورة البقرة : ١١٧  
(٣) البديع من المعانى والالفاظ ، د. عبد العظيم المطعنى الطبعة الاولى دار وهدان للطباعة والنشر ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ص ٥ .

والإبداع ، والاختراع فى اللغة بمعنى واحد ، والبديع  
فعليل بمعنى مفعول .

ومنه الإبداع فى الفنون والآداب وكل فن أو أدب مبدع  
معناه أن صاحبه أتى على وجه خال من التقليد والمحاكاة .  
فهو مبدع وعمله مبدع بفتح الدال .

ويقال : "سقاء بديع : جديد ، وكذلك زمام بديع ،  
وأنشد ابن الأعرابي فى السقاء لأبى محمد الفقعسى :  
يَنْفُخْنَ مَاءَ الْبَدَنِ الْمَسْرَى  
نَضَحَ الْبَدِيعِ الصَّفْقِ الْمَصْفُورِ (١)

ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى وصف تهامة :  
(٢)  
"ان تهامة كبديع العسل حلو أوله ، حلو آخره " .

وإذا كان البديع فى اللغة يعنى كل جديد محدث ومخترع  
لأعلى مثال ، فإنه فى البلاغة مصطلح علمى من الممطلحات  
الثلاثة التى انقسم إليها علم البلاغة بعد السكاكى حيث أصبح  
علما "يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح  
الدلالة " (٣) .

ويعرفه ابن خلدون بقوله : "هو النظر فى تزيين الكلام  
وتحسينه بنوع من التتميق اما بسجع يفعله ، أو تجنيس يشابه

(١) بديع القرآن لابن أبى الأصبع الممرى ، تحقيق حفى محمد  
شرف ط/الثانية ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ،  
القاهرة ص ٧ .

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر ، للإمام مجد الدين أبى  
السعادات المبارك بن محمد الجزرى : ابن الأثير ،  
تحقيق محمود محمد الطناحى ، طاهر أحمد الزاوى ،  
ط/الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، دار الفكر للطباعة والنشر  
بيروت ١٠٦/٢ .

(٣) شروح التلخيص للخطيب القزوينى ، مطبعة عيسى الحلبي  
وشركاه ، مصر ، بدون تاريخ ٢٨٢/٤ .



بين ألفاظه أو ترميع يقطع أوزانه ، أو تورية عن المعنى المقصود بايهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما ، أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك" . فالمناسبة ظاهرة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لاسم البديع أو "اللطيف" كما يسمى أيضا . (٢)

والمراد بالعلم أن تتكون عند الدارس من طول ممارسته لمسائل الفن وتحليل العلماء . مقدرة على التعرف على هذه المسائل وفهمها وتحليلها على كيفية فهم العلماء وتذوقهم لها .

فيلحظ مافى الأساليب من طرائق فى أداء المعانى ، وأنواع فى تشقيف الأدب واتقان بنائه ، وهذا ناتج عن ممارستهم لمسائل هذا العلم الذى يتصل بجملة القواعد والمعارف المتملة بالموضوع ، فعلم البديع مثلاً هو جملة الأصول والتحقيقات التى تدور حول مانسميه محسنات معنوية أو لفظية ، وهكذا ينظر الى كل علم من هاتين الجهتين .

(١) علم البديع ، د. عبد العزيز عتيق ، طبعة ١٩٧٤م دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص ٧ . وفيه اضافة على ما وجدت فى المقدمة ، اذ يقول ابن خلدون فى تعريف علم البديع : "وهو النظر فى تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التتميق اما بسجع يفعله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترميع يقطع أو تورية عن المعنى المقصود بايهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما وأمثال ذلك" .

مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت الطبعة الاولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، وضع الحواشى خليل شحادة مراجعة سميل زكار ص ٧٦١ .

(٢) معاهد التتميم على شواهد التلخيص ، لعبد الرحيم أحمد العباسى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، عالم الكتب بيروت ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م ٥٥/٣ .

والمزاد بوجوه تحسين الكلام ، مجموعة فنون البديع ، كالطباق والمقابلة ، ومراعاة النظر ، والمشاكلة والمزاوجة ، والجناس والسجع ، وغيرها مما تتناوله دراسة علم البديع ، ومعرفتها تعنى تصور مفاهيمها وحدودها ومواقعها فى الكلام ، وهذا شئ لا يتساهل فيه أهل العلم ، فلا بد من المعرفة التفصيلية الدقيقة التى تقوم على منهج صحيح .

ووجوه التحسين تعنى ما يعد حسنا أو تحسينا عند أهل الطبع ومن لهم رأى فى تذوق الأدب ومعرفة مراتبه ، فليس منها التزيينات والحيل الفارغة لأن هذه تقع مستكرهة مردولة (١) . وقد ارتبط هذا العلم - علم البديع - بتطور مرحلتين متوازيتين من الثقافة العربية هما الشعر والنثر ، والنقد والبلاغة . فعندما عرف القدماء منذ الجاهلية الى ما قبل العصر العباسى بقليل تطورا مرحليا فى أدبهم امتازوا فيه بالسليقة والاعتماد على الذوق والطبع بعيدا عن التكلف والزخرف ، وكان النقد والبلاغة ينهلان أيضا ، من ذلك اللون الأدبى فى التقويم والحكم على الأثر الأدبى من خلاله . وحين تقدم الأدب والشعر تقدما واسعا ، خاصة بعد نزول القرآن الكريم وهو متأثر بذلك اللون الحضارى والثقافى الذى ظهر فى العصر العباسى واشتهر به كان النقد والبلاغة أيضا يتتبع ذلك التقدم فيرصد عناصره مما جعل الدارسين يختصمون من أجل وضع اتجاهاتها كل فيما يراه صوابا حتى "كان من مجموع ما كتبوا ذلك التراث الخالد ، الذى سمي حيننا "بيانا" وأحيانا "بديعا" كما سمي بلاغة وفصاحة وهى القاب أو

(١) انظر : دراسة فى علم البديع ، د. محمد أبوموسى ص ٤ .

مصطلحات لا تباعد كثيرا فى مدلولها كما لا تباعد كثيرا فى موضوعها ، اذ أن موضوعها جميعا الادب وهو ذلك المأثور من (١)  
جيد المنظوم والمنثور " .

وهذا يعنى أن الادب عرف عصرين متباينين ، هما عصر القدماء وعصر المحدثين الذى تكون على يد بشار وابن هرمة ومروان بن أبى حفصة ومطيع بن اياس وغيرهم من مخضرمى الدولتين ومن أتى بعدهم من صناع الشعر العربى .

"فلما كان القرن الثانى الهجرى أخذ الشعر العربى يلبس رويدا ثوبا من الزخرف والتنسيق قمد توشيته بحلى زخارف لاعهد له بها على هذا النحو .. ذلك هو الذى وقع عليه (٢)  
فيما بعد اسم البديع أو اللطيف" .

ومعنى هذا أن القدماء ألبوا بالمحسنات البديعية واستلهموها بحسبهم الفطرى فكان استعمالهم لهذه المصطلحات عفوا دون تكلف ومعاناة . فقد عرفوا الطباق ، ومراعاة النظير ، والارصاد ، والمشاكلة ، والمذهب الكلامى والاستطراد والعكس والتبديل ، والرجوع والتورية ، والاستخدام ، والالتفات ، واللف والنشر ، والجمع والتقسيم ، والتجريد ، والمبالغة ، والمقابلة ... وغيرها من المصطلحات البديعية ولكنها جاءت بدون معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكرة كما يقول الجاحظ وإنما هى بديهة وارتجال . فنزا شعرهم وأقوالهم فى (٣)

(١) البيان العربى للدكتور بدوى طيانة ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة السادسة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ص ١٨ .  
(٢) المصبع البديعى ، د. أحمد موسى ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م ص ١٦ .  
(٣) البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ٢٩/٣ .

يسر وأناة لأن "العرب لاتنظر فى أعطاف شعرها بأن تجنن أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظ أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها فى فصاحة الكلام وجزالته ، وبسط المعنى وإبرازه واتقان بنية الشعر ، وإحكام عقد القوافى وتلاحم الكلام بعضه ببعض" .<sup>(١)</sup> كما أنها تفاضل "بين الشعراء فى الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب وبده فأغزر ، ولمن كثرت سواثر أمثاله وشوادر أبياته ، ولم تكن تعباً بالتجنييس والمطابقة ، ولاتحفل بالابداع والاستعارة ، اذا حمل لها عمود الشعر ، ونظام القريض ، وقد كان يقع ذلك فى خلال قصائدها ، ويتفق لها فى البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد ، فلما أفضى الشعر الى المحدثين ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن ، وتميزها على اخواتها فى الرشاقة واللفظ تكلفوا الاحتذاء عليها ، فسموه "البديع" فمن محسن ومسيء ، ومحمود ومذموم ، ومقتصد ومفرط" .<sup>(٢)</sup>

ونتيجة للتغيير التدريجى شمل المفاجىء الذى عرفه المجتمع العربى مع فجر الاسلام والعصر الأموى ، ثم انتقاله القوى الى العصر العباسى. هذا التغيير انعكس على الشعر كما انعكس على النقد والبلاغة ، فبينما حقق شعراء العصر الاسلامى

(١) العمدة لابن رشيق القيروانى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ١/١٢٩ .  
(٢) الوساطة بين المتنبى وخصومه لعلى بن عبد العزيز الجرجانى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البحاوى ، دار القلم بيروت لبنان ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ص ٣٣ .

والأموى تفوقا فى متانة التعبير وصحة الأداء وسلموا من قصور القدرة اللغوية والتي كانت وسيلتهم فى الابداع اللغوى .  
انتقل الأمر الى خلفه فى العصر العباسى فمن الشعر المطبوع الى المصنوع الى لون فيه من التكلف والزخرف الذى أعطاه بحق تلك الظاهرة التى عرف بها عبر أجيال طويلة بصور متفاوتة سواء كان ذلك فى الفن أو فى النقد والبلاغة .

وهكذا يصبح للبديع مصطلحه الخاص بين المصطلحات فبينما كان يطلق عند الجاحظ ومن سبقوه من رواة اللغة والشعر ، كانوا يطلقون لفظ البديع على الاستعارة مع أنواع أخرى كالتطبيق والجناس . وقد ظل هذا الإطلاق الى عهد عبد القاهر الجرجانى الذى اعتبر الاستعارة فى كتابه أسرار البلاغة من البديع ، اذ يقول : "وأما التطبيق والاستعارة ، وسائر أقسام البديع لاشبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعانى من غير أن يكون للألفاظ فى ذلك (١) نصيب" .

وهكذا بقى عالقا بعلمى المعانى والبيان حتى عصر السكاكى الذى لم يستطع أن يفرد له بابا خاصا كما فعل شراح المفتاح بعده بل جعله تابعا لعلمى المعانى والبيان .

(١) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى ، تحقيق هـ . ريتر ، دار المسيرة بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م ص ٢٠ .

الفصل الأولنمو مصطلح البديع وتطوره

تعنى المادة فى اللغة : الجديد والمحدث والمخترع ،  
 (١)  
 ففى لسان العرب بدع الشئ يبدعه بدعا ، وابتدعه : أنشأه  
 وأبدأه .. والبديع والبدع ، الشئ الذى يكون أولا ..  
 والبديع المحدث العجيب ، والبديع المبدع ، وأبدعت الشئ  
 اخترعته لاعلى مثال سابق ، والبديع من أسماء الله تعالى ،  
 لإبداعه الأشياء واحداثه اياها قال تعالى : {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ} (٢) أى مبدعها على غير مثال سابق . "ومنه الإبداع فى  
 الفنون والآداب وكل فن أو أدب مبدع معناه أن صاحبه أتى به  
 على وجه خال من التقليد والمحاكاة . فهو مبدع بكسر الدال  
 وعمله مبدع بفتحها" (٣) .

ومنه البدعة وسميت بذلك لأن قائلها أو فاعلها ابتدعها  
 من غير أن يكون له سلف فيها . وأبدع الشاعر : جاء بالبديع  
 ومنه بدائع الدهور . أى الأمور المستحدثة التى لم يسبق لها  
 نظير .

وقد استخدمت المادة فى كلام العرب نظما ونثرا ، وفى  
 القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف فى هذه المعانى .  
 فمن النثر قول على كرم الله وجهه : "ان أبغض الخلاق الى  
 الله رجلان : رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد

(١) لسان العرب ، طبعة دار المعارف مادة بدع ٢٣٠/١ .

(٢) سورة البقرة : ١١٧

(٣) البديع من المعانى والكفاظ ، الطبعة الأولى ص ٥ .

(١) السبيل مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة " . ومن الشعر قول حسان

ابن ثابت :  
 قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم  
 أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا  
 سجية تلك فيهم غير محدثة  
 (٢) إن الخلائق فاعلم شرها البديع

وقول الفرزدق :  
 أبت ناقتى إلا زيادا ورغبتى  
 (٣) وما الجود من أخلاقه ببديع

والبديع من الشعر هو ما لم يسبق اليه قائله ، ولا عمل  
 أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقاربه .

وفى القرآن جاءت كلمة بديع مرتين : قال تعالى :  
 {بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
 فَيَكُونُ} (٣) ، وقال تعالى : {بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ  
 وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (٤)  
 أوجدهما على غير مثال سابق .

وقد وردت بعض مشتقات الكلمة فى القرآن أيضا فى قوله  
 تعالى : {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا} أى أنهم جاءوا ببدعة .  
 أما فى الحديث النبوى فقد وردت الكلمة أيضا فى معنى  
 الشئ الطيب ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى وصف

(١) نهج البلاغة ، الشريف الرضى ، شرح الأستاذ الامام محمد عبده ، مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ١/١٥١

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ٣٠٤ .

(٣) ديوان الفرزدق ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ٣٩٥/١ .

(٤) سورة البقرة : ١١٧

(٥) سورة النساء : ١٠١

(٦) سورة الحديد : ٢٧

(١)

تهامة : "ان تهامة كبديع العسل حلو أوله ، حلو آخره" .  
وقد ظل هذا المعنى ملحوظا فى الابداع الأدبى سواء كان شعرا أو نثرا فكان استعمال الكلمة وما اشتق منها لا يخرج عن ذلك المعنى الذى لاحظناه فيما سبق من أقوال وهو الجدة والطرافة والحداثة الى غير ذلك من معان تدور فى هذا المضمار .

#### المفهوم الاصطلاحي للبديع فى عصوره المختلفة .

أما فى الأوساط البلاغية والنقدية فلعل الجاحظ (٢٥٥هـ) أول من دون مصطلح "البديع" فى مؤلف علمى وكان يعنى به ذلك المعنى اللغوى الذى وقفنا عليه فيما مضى وهو الجدة والطرافة كذلك ، ومن ثم يتسع هذا المصطلح لديه ليشمل الاستعارة والتشبيه وكل ما فيه طرافة وجدة ، فهو يعلق على

الآبيات التالية :

إِنْ الْإِلَى حَانَتْ بِفَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ  
هُمْ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَأْمُ خَالِدٍ  
هُمْ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَقَى بِهِ  
وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لَاتَنُوءٍ بِسَاعِدٍ  
أَسْوَدُ شَرَى لَأَقْتِ أَسْوَدَ خَفِيَّةٍ  
تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِهَاءَ الْأَسَاوِدِ

يقول : قوله : "هم ساعد الدهر" انما هو مثل ، وهذا الذى تسميه الرواة البديع ، وقد قال الراعى :

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ص ١٠٦ .





( ١١ )

هم كاهل الدهر الذى يتقى به

ومنكبه ان كان للدهر منكب

وقد جاء فى الحديث : "موسى الله أحد وساعد الله  
(١)  
أشد" .

والبديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل  
لغة ، وأربت على كل لسان . والراعى كثير البديع فى شعره ،  
وبشار حسن البديع ، والعتابى يذهب فى شعره فى البديع مذهب  
(٢)  
بشار" .

وقد بالغ الجاحظ فادعى أن البديع مقصور على العرب  
وبه فاقت لغتهم غيرها من اللغات أو كل لغة ، وأربت على كل  
لسان ، والشاعر الراعى كثير البديع فى شعره ، وبشار حسن  
البديع ، والعتابى يذهب فى شعره فى البديع مذهب بشار ،  
وتعنى عبارة الجاحظ "وهذا الذى تسميه الرواة البديع" على  
أن اطلاق هذا اللفظ على ماكان يطلق عليه من الألوان البلاغية  
هو من تسمية الرواة أى رواية اللغة والشعر مثل الأصمعى وأبى  
زيد وخلف الأحمر وغيرهم وهذا يخالف ماشاع بين الدارسين من  
أن أول من أسرف فى هذا اللون مسلم بن الوليد .

كما يلاحظ من خلال نصه أيضا اتساع هذا المصطلح حيث  
يطلق على اللون البديعى فى بيت الأشهب السابق وهو :

- 
- (١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ /  
١٩٧٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٧/٤ . ولفظه :  
"فساعد الله أحد ، وموساه أحد" .  
وجاء فى الجزء الثالث للإمام بلفظ "ساعد الله أحد  
وموسى الله أحد وربما قال ساعد الله أحد من ساعدك  
وموسى الله أحد من موساك" توزيع دار الباز للنشر  
والتوزيع بدون طبعة ٧٤٣/٣ .  
(٢) البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ،  
الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجي ٥٦-٥٥/٤ .

هُمُ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يَتَّقَى بِهِ  
وَمَا خَيْرُ كَفٍ لَاتَنُوءُ بِسَاعِدِ

هو الاستعارة المكنية فى قوله "ساعد الدهر" كما نراه يستعمله هذا الاستعمال الذى يشمل فى مفهومه سائر فنون البلاغة فى كتاب الحيوان ، حيث يسرد أمثلة كثيرة من الشعر العربى تحت عنوان "قطع من البديع" (١) ومن هذه الأمثلة فتبين فنونا بلاغية لاتدخل فى مطلق البديع بالمعنى الذى اصطلح عليه المتأخرون من البلاغيين .

واذا كان الجاحظ أول من استخدم مطلق البديع فى مؤلف علمى ، فان ابن المعتز (٢٩٦هـ) أول من ألف كتابا بعنوان البديع ، ولعله أول مؤلف علمى يخلص للبلاغة العربية اذ أنه لم يتعد فنون البلاغة ولم يجاوز دائرتها الى فنون أخرى وهذه ميزة لم تتوافر لكثير من المؤلفات العربية سواء تلك التى سبقت ابن المعتز أو التى جاءت بعده ، فكثير من هذه المؤلفات يمتزج فيها البحث البلاغى الخالص ببحوث شتى تتمثل بالدراسات القرآنية أو بغيرها من الدراسات ولم يكن كتاب ابن المعتز على هذا المنوال بل جاء خالما للبحث البلاغى .

وقد أثبت ابن المعتز بكتابه هذا أن مايقوله أنصار الحديث من أن المحدثين هم مخترعو البديع - ليس صحيحا بل هو موجود فى القرآن الكريم ، والحديث الشريف وفى نتاج الجاهليين والاسلاميين شعرا ونثرا وهو يؤكد ذلك منذ السطور الأولى حيث يقول : "قدمنا فى أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا

(١) الحيوان للجاحظ ، دار احياء التراث العربى تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ - ٥٧/٣ .

فى القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والاعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سماه المحدثون البديع ، ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقييلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ، ولكنه كثر فى أشعارهم فعرف فى زمانهم حتى سمي بهذا الاسم (١) فأعرب عنه ودل عليه " . ثم يزيد ما يهدف اليه فى كتابه بياننا فيقول : "وانما غرضنا فى هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء من أبواب (٢) البديع" .

وهذا - يعنى - أن ابن المعتز يريد أن ينبه الناس أو ممن انتصر للشعر الحديث وأن يكون هو بعيدا عن مفوفهم لأنه يفند أمرا من أجل الأمور التى لجأوا اليها فى مقولتهم وهو زعمهم بأن المحدثين قد اخترعوا البديع واقتنوا فيه . فاذا نظرنا فى كتاب البديع ، فاننا نلاحظ أنه يخص هذا المصطلح بفنون خمسة هى : الاستعارة والتجنييس والمطابقة ورد اعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامى ، وبعد أن أنهى حديثه عن هذه الفنون الخمسة ، ذكر فنونا أخرى أطلق عليها محاسن الكلام نعد منها ثلاثة عشر فنا هى : الالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ، وحسن الخروج من معنى الى معنى ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والهزل الذى يراد به الجد ، وحسن التضمين ، والتعريض ، والكناية

(١) البديع لابن المعتز ، تحقيق كراتشوفسكى ، دار الحكمة

دمشق ط/بدون ص ١ .

(٢) نفس المصدر ص ٣ .

والافراط فى الصفة ، وحسن التشبيه ، واعنائت الشاعر نفسه فى القوافى ، وتكلفه من ذلك ما ليس له وحسن الابتداءات .

ويبدو أن ابن المعتز بعد أن انتهى من الحديث عن الفنون الخمسة التى أسماها بديعاً ختم كتابه بقوله : "وما جمع فنون البديع ولا سبقنى اليه أحد ، وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين وأول<sup>(١)</sup> من نسخه منى على بن هارون بن يحيى بن أبى المنصور المنجم" يبدو أنه "سمع بعد ذلك من بعض النقاد والمتشبهين اعتراضاً على قصر البديع على الفنون الخمسة الأولى ، وأنهم رأوا البديع أكثر مما ذكر ، فأقرهم على دعواهم ، وكتب بقية المحسنات وضمها الى الفنون الخمسة لينفى عن نفسه مظنة الجهل بتلك البقية" .<sup>(٢)</sup>

وفى ذلك يقول ابن المعتز : "ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر ، ومحاسنها كثيرة لا ينبغى للعالم أن يدعى الاحاطة بها حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره وأحببنا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين ويعلم الناظر أننا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختياراً من غير جهل بمحاسن الكلام ولا ضيق فى المعرفة فمن أحب أن يقتدى بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً الى البديع ولم يأت غير رأينا<sup>(٣)</sup> فله اختياره" .

وقد كان لهذه الكلمة التى ترك الخيار لمن أراد أن يضيف الى الفنون التى ذكرها مدى واسع النطاق فتسابقوا الى

(١) البديع لابن المعتز ص ٥٨ .  
(٢) البيان العربى ، بدون تاريخ ص ١٣٣-١٣٤ .  
(٣) البديع لابن المعتز ص ٥٨ .

إضافة كثير من هذه الفنون الى مذكره ابن المعتز حتى مارت  
لجاجة فيما بعد .

وقد كان فى مقدمة هؤلاء قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) فعلى  
الرغم من أنه لم يستعمل مصطلح البديع فانه يفيى الى ما ذكره  
ابن المعتز من فنون والوان فنونا أخرى والوانا لا يزال  
بعضها حتى اليوم دائرا فى فلك علم البديع بالمعنى الضيق  
المقابل لعلمى المعانى والبيان ، فقد قدم قدامة فى كتابه  
"نقد الشعر" ألوانا عديدة من فنون البديع اتفق مع ابن  
المعتز فى سبعة منها وانفرد هو بالباقى .

أما السبعة التى اتفق مع ابن المعتز عليها فهى  
الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، والالتفات ، والاعتراض ،  
وان كان قدامة يسميه "التتميم" والافراط فى الصفة الذى  
يطلق عليه قدامة الغلو والمبالغة والتشبيه وقد جعله قدامة  
غرضا من أغراض الشعر .

وانفرد عن ابن المعتز بالفنون الآتية : صحة التقسيم ،  
وصحة المقابلات ، وصحة التفسير ، واثتلاف اللفظ مع المعنى ،  
والمساواة ، والاشارة ، والارداف ، والتتمثيل ، واثتلاف اللفظ  
مع الوزن ، واثتلاف المعنى مع الوزن ، وقد عد المتأخرون  
البابين الاخيرين بابا واحدا ، وسموه التنكيت ، واثتلاف  
القافية مع ما يدل عليه سائر البيت ، ويطلق عليه التمكن  
عند المتأخرين ، والتوضيح ، والايغال ، واعتدال الوزن ،

(١) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق الدكتور محمد عبد  
المنعم خفاجى ، ط/١ ، ١٩٧٩م ، دار عطوة للطباعة ،  
ص ٨٠ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ .

واشتقاق لفظ من لفظ ، وتلخيص الأوصاف ، والتوازي ،  
والمفارقة ، وعكس اللفظ ، أو عكس ما نظم من بناء وأخيرا  
اتساق البناء والسجع .

ثم ان الملاحظ على قدامة أنه لم يكتف بسرد هذه الفنون  
بل أخذ يحددها تحديدا دقيقا حتى انه كان يسرف في هذا  
التحديد اسرافا كبيرا ، كما أكثر من ضرب الأمثلة والشواهد  
عليها ، وهذا هو الذي جعل بعض علماء البلاغة يعدون قدامة  
في ظليعتهم ويعنون بآرائه ومصطلحاته ، بين معجب ومزيف  
لما احتى وصفه العلوي بأنه "جواب البلاغة ونقادها البصير  
والمهيمن على معانيها وخريتها الخبير" <sup>(١)</sup> بل جعلوه اماما  
ورائدا خاصة في البديع ، وأن يكون في نظرهم ثانيا اثنين  
اخترعا جمعه وتدوينه ، الأول هو ابن المعتز ، يقول ابن أبي  
الاصبع أثناء اشاداته بجهود قدامة وابن المعتز في هذا  
المجال : "جمعت من ذلك خمسة وتسعين بابا أصولا وفروعا ،  
فالأصول منها ما ابتكر المخترعان الأولان تدوينه وهما قدامة  
ابن جعفر الكاتب وابن المعتز وعدتها ثلاثون بابا" <sup>(٢)</sup> .

وأخيرا نلاحظ أن بعض المصطلحات التي استخدمها قدامة  
قد تغيرت مدلولاتها على أيدي من أتى بعده من البلاغيين فهو  
يستعمل مصطلح المطابق في مفهوم الجنس التام ويقرن بينه  
وبين مصطلح المجانس الذي هو صورة من صور الجنس غير التام

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز  
للعلوي ، ط/دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٤٠٢هـ /  
١٩٨٣م ٣٧٨/٢ .

(٢) بديع القرآن لابن أبي الاصبع ص ١٤ .

كما يستخدم مصطلح التكافؤ فى المعنى الذى أطلق عليه البلاغيون "المطابقة" .

ولم ينل صنيع قدامة هذا اعجاب بعض النقاد فقد أخذ الآمدى عليه مخالفته ابن المعتز فى مصطلحات الفنون البلاغية حيث قال : "وهذا باب - أعنى المطابق - لقبه أبو الفرج قدامة بن جعفر فى كتابه المؤلف فى نقد الشعر "المتكافىء" وسمى ضربا من المجانس ، المطابق ، وهو : أن تأتى الكلمة مثل الكلمة سواء فى تأليفها واتفاق حروفها ويكون معناه مخالفا نحو قول الاخوه الأزدي :

وأقطع الهوجل مستائسا

يهوجل عيرانة عنتريس (١)

والهوجل الأول : الأرض البعيدة ، والهوجل الثانى : الناقة العظيمة الخلق الموثقة ... وما علمت أن أحدا فعل هذا غير أبى الفرج ، فانه وان كان هذا اللقب يمح لموافقته معنى الملقبات ، وكانت اللفاظ غير محظورة ، فانى لم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه ، مثل أبى العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم فى هذه الأنواع وألف فيها ، إذ قد سبقوه الى اللقب وكفوه المؤونة .

وقد رأيت قوما من البغداديين يسمون هذا النوع (٢)  
المجانس المماثل ويلحقون به الكلمة اذا تكررت وترددت .

(١) عيرانة عنتريس : الناقة السريعة المليئة .  
(٢) الموازنة لأبى القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط/المكتبة العلمية ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م ص ٢٥٧-٢٥٨ .

وإذا كان قدامة قد تناول بعضا مما جمعه ابن المعتز وأضاف إليه جزءا آخر على الرغم من أنه لم يذكر هذا وذاك تحت مصطلح البديع كما منع ابن المعتز ، فان أبا هلال العسكري (٣٩٥هـ) يرجع الى مصطلح البديع مرة أخرى فى الصناعتين حيث يجعل الباب التاسع من أبواب الكتاب العشرة خامسا بفنون البديع ، فنراه يسرد الالفان التى تناولها بالشرح والتمثيل وهى من جهود العلماء والنقاد الذين سبقوه وفى مقدمتهم ابن المعتز ، وقدامة بن جعفر ، فيذكر منها تسعة وعشرين فنا هى : الاستعارة ، والمجاز ، والتطبيق ، والتجنيص ، والمقابلة ، ومحة التقسيم ، ومحة التفسير ، والاشارة والارداف والتوابع ، والمماثلة ، والغلو والمبالغة والكفاية ، والتعريض ، والعكس ، والتبديل ، والتذليل ، والترصيع ، والايغال ، والتوشيح ، ورد الاعجاز على المدور ، والتكميل ، والتتميم ، والالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ، وتجاهل العارف ، والاستطراد ، وجمع المؤنث والمختلف ، والسلب والايجاب ، والاستثناء ، والمذهب الكلامى ، والتشظير فضلا عن ما أخرجه عن دائرة البديع كالايجاز والاطناب ، والسجع والازدواج ، والتشبيه ، ثم يوضح أنه زاد على هذه الثروة البديعية التى أحصاها عن المتقدمين سبعة أنواع وهى : المجاورة ، والاستشهاد ، والتعطف ، والمضاعفة ، والتطريز ، والتلف والمشتق" (١) .

(١) كتاب الصناعتين - الكتابة والشعر لأبى هلال العسكري ، تحقيق الدكتور مفيد قميه ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ص ٢٩١-٤٨٢ .



وقد اتفق أبو هلال فى هذا الباب - أعنى التاسع - مع ابن المعتز فى الغرض من تأليف كتابه البديع حيث يقول فى نهاية حصره لهذه الفصول : "هذه أنواع البديع التى ادعى من لارواية له ، ولادراية عنده أن المحدثين ابتكروها ، وأن القدماء لم يعرفوها وذلك لما أراد أن يفخم أمر المحدثين ، لأن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف ، وبرئ من العيوب كان فى غاية الحسن ونهاية الجودة" (١) .

وقد عد الأيجاز والاطناب والكفاية والتعريض ، والاستعارة والمجاز من فنون البديع وهذا يجعلنا نقطع أن العسكرى كان لا يزال يستخدم مصطلح البديع بمعناه الواسع الذى سبق أن استعمله الجاحظ وابن المعتز ، وقدامة . وإن كنا رأيناه يخرج التشبيه والسجع والازدواج من دائرة البديع مما ضيق مفهوم البديع عنده بعض الشيء .

وهكذا نرى أن البلاغيين العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجرى كانوا ينظرون الى البديع تلك النظرة الشاملة التى تعنى الجديد والطريف والمخترع ، وقد ظلت على هذا النحو حتى القرن الخامس أيضا .

ولعل فى مقدمة علماء هذا القرن ابن رشيق (٤٦٣هـ) فى كتابه "العمدة" الذى يعد بحق ثمرة طيبة لجهود من سبقه من العلماء ، فهو يضم خلاصة الآراء التى قيلت فى الشعر ، وإن كنا نلاحظ بين دفتيه ما هو من بنات أفكار ابن رشيق ، وإن كانت قليلة ، فهى تشكل آراء لها خطرها فى تطور مسيرة

الفكر البلاغى والنقدى عند العرب القدماء . ويستخدم ابن  
رشيق مصطلحات المخترع ، والبديع ، والتوليد فى معان  
مختلفة فالمخترع من الشعر هو "مالم يسبق اليه قائله ،  
ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه كقول  
امرئ القيس :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَنَامٍ أَهْلُهَا  
سَمَوْتُ حَبَابَ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ (١)

فانه أول من طرق هذا المعنى وابتكره ، وسلم الشعراء

اليه فلم ينازعه أحد اياه وقوله :  
كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا  
لَدَى وَكْرِهَا الْعَنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي (٢)

وفن المخترع قوله طرفة :  
يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْزُومَهَا بِهَا  
كَمَا قَسَمَ التَّرْبُ الْمَفَائِلُ بِالْيَدِ (٣)

وأما التوليد فهو : "أن يستخرج الشاعر معنى من معنى

شاعر تقدمه ، أو يزيد فيه زيادة" (٤) ومن أمثلته قول عمر بن

عبد الله بن أبى ربيعة وقيل : وضاح اليمن :  
فَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسْقُوطِ النُّوَى  
لَيْلَةً لَّانَاهٍ وَلَا زَاجِرٌ (٥)

"وأما الذى فيه زيادة فكقول جرير يصف الخيل :

- 
- (١) ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم  
دار المعارف ص ٣١ .  
(٢) العمدة لابن رشيق القيروانى ص ٢٦٢ .  
(٣) ديوان طرفة ص ٢٠ .  
(٤) المرجع السابق ص ٢٦٣ .  
(٥) المرجع السابق ص ٢٦٦ .

يُخْرِجُنْ مِنْ مُسْتَطِيرِ النَّقْعِ دَامِيَةٍ  
كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافَ أَقْلَامٍ

فقال عدى بن الرقاع يصف قرن الغزال :  
تَزْجِي أَغْنِ كَأَنَّ إِبْرَةَ قَرْنِهِ  
قَلَمٌ "أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا" (١)

حيث ولد بعد ذكر القلم أصابته مداد الدواة بما  
يقتضيه المعنى ، وإن كان القرن أسود .

وأما الابداع فهو : "إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف ،  
الذى لم تجر العادة بمثله ، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل  
له بديع وإن كثر وتكرر ، فصار الاختراع للمعنى ، والابداع  
للفظ ، فإذا تم للشاعر أن يأتى بمعنى مخترع فى لفظ بديع  
فقد استولى على الأمد ، وحاز قصب السبق" (٢) .

ويفهم من النص السابق أن البديع فى نظر ابن رشيق صار  
خاصا باللفظ فى مقابل الاختراع الذى صار خاصا بالمعنى ،  
فهل يمكن القول بأن ابن رشيق قد مهد الطريق بذلك لطغيان  
الفكرة القائلة بأن البديع أمر وراء المعنى ، أو أنه مجرد  
حلى لفظية يزداد بها الكلام حسنا وبهاء ؟ أغلب الظن أنه  
كذلك ، فهو مثلا يجعل الاستعارة أول ألوان البديع ، ولكنه  
يقول عنها : "وليس فى حلى الشعر أعجب منها وهى من محاسن  
الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها" (٣) .

(١) العمدة لابن رشيق ص ٢٦٤ .  
(٢) المرجع السابق ص ٢٦٥ .  
(٣) المرجع السابق ص ٢٦٨ .

فابن رشيقي يستعمل مصطلحات ثلاثة هي : البديع ، والحلى والمحاسن فى معنى واحد هو الابداع فى اللفظ فلاغرو ان كان للبديع كما يقول ابن رشيقي "ضروب كثيرة وأنواع مختلفة" <sup>(١)</sup> ومن ثم سيذكر منها ماوسعته القدرة وساعدت فيه الفكرة . والملاحظ عليه من خلال عرضه لضروب البديع الكثيرة وأنواعه المختلفة تغيير لبعض المصطلحات ، كأن يطلق رد الاعجاز على الصدور ، اسم التصدير ، أو يسمى تجاهل العارف بالتشكيك ، أو يطلق على تأكيد المدح بما يشبه الذم "الاستثناء" أو يضم ألوانا عديدة تحت اسم واحد كما صنع فيما أسماه الإشارة حيث يخرج من عباءتها الأيماء والتعريف والتورية ، والكناية والتتبع وهو ليس فى حقيقته إلا الكناية .

وقد أضاف بعض الألوان التى لاتمت بملة الى البديع ، مثل باب الحشو وفضول الكلام وباب الاستدعاء وغيرها ، ومما يدل على أن البديع عنده كما هو عند سابقيه شامل لعناصر الحسن الأدبى من غير تفريق أو محاولة لتحديد لها على علوم البلاغة الثلاثة .

ومن علماء القرن الخامس المشهود لهم بالتأثير الواضح فى تطور الفكر البلاغى والنقدى عند العرب ابن سنان الحفاجى (٤٦٦هـ) صاحب كتاب "سر الفصاحة" ، فقد بحث ابن سنان كثيرا من صور البديع وان كان لم يبحثها تحت مصطلح البديع ، بل تناولها حين تكلم عن نعوت الألفاظ تارة ، ونعوت المعانى

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦٥ .

تارة أخرى وقد تأثر ابن سنان بقدامة بن جعفر كما يتضح هذا التأثير بصورة أدق حين نراه ينقل عبارات مطولة من نقد الشعر .

أما الألوان التي تناولها فهي : "حسن الاستعارة ، والحشو ، والتوشيح أو التسميم ، حسن الكناية ، السجع والازدواج ، والترصيع ، والجناس ، والمطابقة ، والتبديل ، والايجاز والاختصار وحذف فضول الكلام ، التمثيل ، والصحة في التقسيم ، صحة التشبيه وصحة المقابلة في المعاني ، وصحة التناسق والنظم ، وهو ما يعرف عند المحدثين بحسن التخلص ، وصحة التفسير ، كمال المعنى ويسمى عند قدامة التتميم والمبالغة في المعنى والغلو ، التحرز مما يوجب الطمن ، ويسمى عند المتأخرين الاحتراس والتكميل ، والاستدلال بالتمثيل ، والاستدلال بالتعليل" (١) .

تلك هي الألوان البديعية التي تناولها والملاحظ عليها أنها ألوان مسبوق بها سوى الاستدلال بالتعليل وهو ما يعرف عند عبد القاهر بحسن التعليل ، وقد كان له فضل ابتكاره ويعد أول من تحدث عن حسن التعليل من البلاغيين بعد أبي هلال الذي أدرجه تحت "الاستشهاد والاحتجاج" ومن الشواهد التي ساقها أبو هلال قول بشار :

(١) كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ — دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص ١١٨ ، ١٦٠-١٦١ ، ١٦٣ ، ١٧١ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧١-٢٧٧ .  
(٢) المناعتين لأبي هلال العسكري ص ٤٧٠ .

فَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غُضَافَةً  
فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ (١)

ولهذا العالم الجليل آراء شاقبة منها رفضه صنيع بعض العلماء حين جعلوا للمعنى الواحد عدة أسماء ، كالترميع الذى يسمونه ترميعا وموازنة وتسميطا ، وتسجيعا وهذا كله راجع الى شئ واحد فهذه الآراء وغيرها مما ذكره فى كتابه سواء فى ثنايا الكلام ، أو تحت فصول بارزة فيه ، تدل على مدى ما كان يتمتع به ابن سنان من ذوق أدبى رفيع وحس مرهف . كما تكشف عن مدى اسهامه فى تطور الفكر البلاغى والنقدى عند العرب . ومن آرائه الشاقبة أيضا قوله فى "حسن التريديد" : "وذهب قوم الى حسن التريديد وهو أن يعلق الشاعر لفظة فى البيت ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر كما قال

زهير :  
مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا  
يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا

وهذا عندى لاتعلق له بالنقد لأن التأليف فى هذا التريديد كسائر التأليف فى الألفاظ التى لاتستحق بها حمدا ولاذما ، ولايكسبها حسنا ولاقبحا ، وقد منف قوم فى نقد الشعر رسائل ذكروا فيها أبوابا من الصناعة لاتخرج عما ذكرناه فى كتابنا هذا ، إلا أنهم ربما جعلوا للمعنى الواحد عدة أسماء كالترميع الذى يسمونه ترميعا وموازنة ، وتسميطا ، وتسجيعا

(١) نفس المرجع السابق ص ٤٧١ ، ديوان بشار ص ١٧٣ . وفى الديوان ... مكان الخوافي .  
(٢) كتاب سر الفماحة لابن سنان ص ٢٨٥ .  
(٣) نفس المصدر ص ٢٧٨ ومابعدا ، فى ذكر الأقوال الفاسدة فى نقد الكلام .

وهو كله يرجع الى شيء واحد ، فاذا وقف على ما صنفوه فى هذا الباب وجد الامر فيما قلنا ظاهرا والتكرير بيّنا " .  
(١)

ومعلوم أن الجاحظ ومن سبقوه من رواة الشعر كانوا يطلقون لفظ البديع على علوم البلاغة جميعها ، وقد ظل هذا الاطلاق الى عهد عبد القاهر (٤٧١هـ) الذى عد فى كتابه "أسرار البلاغة" الاستعارة والتشبيه والتمثيل وسائر أقسام البديع وفى ذلك يقول : "وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع لاشبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعانى خاصة من غير أن يكون لالفاظ فى ذلك نصيب" .  
(٢)

ويعتبر الزمخشري أول من قام بتطبيق بلاغة الامام عبد القاهر على آى الذكر الحكيم ، وقد كان اهتمامه خاصة بعلمى المعانى والبيان ، ومع ذلك لم يخل تفسيره من مصطلح البديع وفنونه .

ففى قوله تعالى : {وجئتكم من سبأ بنبأ يقين} يقول :  
"من جنس الكلام الذى سماه المحدثون البديع ، وهو من محاسن الكلام الذى يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعا ، أو ليضعه عالم بجوهر الكلام ، يحفظ معه صحة المعنى وسداده" .  
(٣)  
(٤)

- 
- (١) الممدد السابق ص ٢٨٤-٢٨٥ .  
(٢) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ، ط/الثالثة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، مكتبة القاهرة ص ١١٢ .  
(٣) سورة النمل : ٢٢  
(٤) الكشف للزمخشري ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، ط/٢ ، ١٩٧٢م ١٤٤/٣ .

وقد جاء فى تفسيره ألوانا من الأساليب التى أدرجها المتأخرون تحت علم البديع ، وكانت نظرتة الى هذه الأساليب لاتقل أهمية عن علمى المعانى والبيان فهى من مقتضيات الأحوال وولائد السياق .

والانواع التى ذكرها فى تفسيره هى :

(١)  
المشاكلة

(٢)  
التجانس

(٣)  
الاستطراد

(٤)  
اللف

(٥)  
الكلام الموجد

(٦)  
التفصيل

(٧)  
المقابلة

(٨)  
التورية

(٩)  
الازدواج

(١٠)  
الطباق

(١١)  
الادماج

(١٢)  
تأكيد المدح بما يشبه الذم

- 
- |      |        |                          |
|------|--------|--------------------------|
| (١)  | الكشاف | ١١٣/٣ ، ٦٥٥،٣١٥،٢٦٣/١    |
| (٢)  | الكشاف | ١٤٤/٣ ، ٣٣٨/٢            |
| (٣)  | الكشاف | ٥٥٤،٧٤/٢ ، ٤٥٤،٣٤٠/١     |
| (٤)  | الكشاف | ٢١٨/٣ ، ٤١/٢ ، ٣٣٦،٣٠٤/١ |
| (٥)  | الكشاف | ٣٣٥،٣٣٦/٢                |
| (٦)  | الكشاف | ٥٣٥/٢ ، ٥٨٨،٤٨٩/١        |
| (٧)  | الكشاف | ٤٣٤،٤٠١/٣                |
| (٨)  | الكشاف | ٣٣٥/٢                    |
| (٩)  | الكشاف | ١٦٤/٤                    |
| (١٠) | الكشاف | ٤٤٣/٣ ، ٢٦٤،٢٥٨،١٣٦/٢    |
| (١١) | الكشاف | ١٣٤/٢                    |
| (١٢) | الكشاف | ١٥٦/٣ ، ٥١٥/٢            |



ثم نعود الى التأليف والجمع مرة أخرى تحت مطلق  
 "البديع" وذلك على يد العلامة مجد الدين مؤيد الدولة بن  
 أسامة بن مرشد بن منقذ أبى المظفر الشيزرى المتوفى سنة  
 ٥٨٤هـ .

حيث ألف كتابه "البديع فى نقد الشعر" وقد اشتمل على  
 خمسة وتسعين لوناً من ألوان البديع ، اعتمد فيها على من  
 سبقه من العلماء ، يقول فى مقدمة كتابه :  
 "هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق فى كتب العلماء المتقدمين  
 الممنوعة فى نقد الشعر ، وذكر محاسنه وعيوبه ، فلم ففيلة  
 الابتداع ، ولى فضيلة الاتباع ، والذى وقفت عليه : كتاب  
 البديع لابن المعتز وكتاب الحالى للحاتمي ، وكتاب المحاضرة  
 للحاتمي ، وكتاب المناعتين للعسكري ، وكتاب اللمع للعجمي  
 وكتاب العمدة لابن رشيقي ، فجمعت من ذلك أحسن أبوابه ،  
 وذكرت منه أحسن مثالاته ، ليكون كتابي مغنياً عن هذه الكتب  
 (١)  
 لتضمنه أحسن ما فيها" .

ثم بدأ كتابه بفهرس شامل للألوان التى اشتمل عليها ،  
 بدأه بالتجنيس المغاير ، وختمه بالتهذيب ، ثم قال :  
 (٢)  
 "فيكون جملة ما اشتمل عليه كتابنا هذا خمسة وتسعين باباً" .  
 ومن الألوان التى ذكرها فى كتابه : التجنيس ،  
 والتطبيق ، والعكس ، والتبميم ، والتورية ، والتجزئة ،

(١) البديع فى نقد الشعر ، ابن منقذ تحقيق د. أحمد أحمد  
 بدوى ، والدكتور حامد عبد المجيد ، مراجعة ابراهيم  
 مصطفى ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي  
 بمصر ، بدون تاريخ ص ٨ .  
 (٢) المصدر السابق ص ١١ .

والتفسير ، والاستخدام ، والتجاهل ، والمبالغة ، والاستعارة  
والتقدير ، والاستطراد ، والاحتراس ، والمساواة ، والتذييل  
والكناية ، والإشارة ، مما يدل على أن كلمة بديع عنده  
ما زالت مترادف كلمتي "بيان" و"بلاغة" .

ثم جاء السكاكي وألف كتابا أسماه "مفتاح العلوم"  
وجزأه ثلاثة أجزاء :

الأول : أفرده لعلم الصرف ، والثاني خص به علم النحو  
وأما القسم الثالث فقد أوضح فيه علمي المعاني والبيان ،  
وهو أكبر الأقسام وأكثرها شهرة حتى أن الذهن لينصرف مباشرة  
إلى هذا الفرع حين يذكر كتاب المفتاح ، دون القسمين  
الآخرين .

وقد سار في دراسة هذين العلمين ، على منهج يتخذ من  
الفلسفة والمنطق وعلم الكلام أساسا يبنى عليه التعريف ثم  
يوضح الغرض من كل منهما وكان ذلك في مقدمة وفملين تكلم  
فيهما عن مسائل هذين العلمين ، وما يتعلق بهما من أمور  
تتصل بالفصاحة والبلاغة . وبعد أن أنهى ذلك قال : "وإذا  
تقرر أن البلاغة بمرجعيتها وأن الفصاحة بنوعيتها مما يكسو  
الكلام حلة التزيين ، ويرقيه أعلى درجات التحسين ، فهاهنا  
وجوه مضمومة كثير ما يمار إليها لقمه تحسين الكلام فلاعلينا  
أن نشير إلى الأعراف منها وهي قسمان : قسم يرجع إلى المعنى  
(١)  
وقسم يرجع إلى اللفظ" .

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ، ضبطه وشرحه نعيم زرزور ،  
ط/الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت  
ص ٤٢٣ .

والملاحظ أن السكاكى لم يجعل البديع علما مستقلا كعلمى المعانى والبيان ، ولم يطلق على ما ذكره مطلق البديع ، بل عدها وجوها مخصصة لقصد تحسين الكلام ومن ثم قسمها الى قسمين ، قسم يرجع الى المعنى ، وآخر يرجع الى اللفظ ، وأخذ يعدد الألوان التى تنطوى تحت كل قسم ، فمن القسم الأول "المطابقة ، والمقابلة ، والمشاكلة ، اللف والنشر ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التقسيم والتفريق ، والايهام ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، والتوجيه ، وسوق المعلوم مساق غيره . الاعتراض ، الاستتباع ، الالتفات ، وتقليل . اللفظ ولاتقليله " (١) .

ومن القسم الثانى : الجناس ، والسجع ، ورد العجز على المصدر ... ومن ثم نرى أنه يتناول هذه الألوان تناولا موجزا فهو لايفعل أكثر من أن يقدم تعريفا لها ثم يردفه بمثال أو مثالين دون أن يقف ليحلل هذه الأمثلة ويكشف عما فيها من جمال الأسلوب وروعة الأداء على نحو ما فعل مثلاً عبد القاهر الجرجانى . ويعلق الدكتور شوقى ضيف على ذلك فيقول : "... وإنما نجد فيه الدقة والقدرة البارعة على التبويب والاحاطة الكاملة بالأقسام والفروع . غير أن ذلك عنده لم يشفع بتحليلات عبد القاهر والزمخشري التى كانت تملأ نفوسنا إعجابا ، فقد تحولت البلاغة فى تلخيصه الى علم بأدق المعانى لكلمة علم ، فهى قوانين وقواعد تخلق من كل مايمتص

النفس ، اذ سلط عليها المنطق بأصوله ومناهجه الحادة ، حتى فى لفظها وأسلوبها الذى لا يحوى أى جمال ، ومالجمال وللساكي ؟ انه بمحدد وضع قواعد وقوانين كقوانين النحو وقواعده ، وهى قواعد وقوانين تسبك فى قوالب منطقية جافة (١) أشد ما يكون الجفاف" .

والحقيقة أن الساككى لم يعرض لهذه الألوان على أنها علم مستقل عن العلمين الآخرين وانما هى أنواع تشترك فى مسائل المعانى والبيان لتزيين الكلام وتحسينه ، لذلك لانجد من الساككى ما يشير الى أن شمة فروقا بين هذه المحسنات وبين غيرها من مباحث علم المعانى والبيان . فعد منها الالتفات والايجاز والاطناب ، ويلفت نظر القارئ الى أن هذه الألوان قد سبق الحديث عنها فى علم المعانى .

وممن عاصر الساككى عالم أغنى المكتبة العربية بكتاب عنوانه "المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر" وهو ضياء الدين ابن الاثير (٦٣٧هـ) وقد جاء كتابه فى مقدمة ومقالتين اشتملت المقدمة على أصول علم البيان ، وهو يريد به ما هو أعم وأشمل مما عرفناه اليوم ، وما سبق أن عرفناه لدى الساككى مما جعل مقابلا لعلمى المعانى والبيان ، اذ يعنى به الفصاحة والبلاغة ، ويفرق ابن الاثير بين مهمة النحوى ، والبيانى ، ومهمة كل من النحوى واللغوى فيما بينهما من اشتراك فيقول : "ان موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة ، ويسأل صاحب هذا العلم عن أحوالهما

(١) البلاغة تطور وتاريخ ، دكتور شوقى ضيف ، دار المعارف الطبعة السادسة بدون تاريخ ص ٢٨٨ .

اللفظية والمعنوية ، ويشترك هو والنحوى أو اللغوى فى أن الثانى ينظر من دلالة اللفاظ على المعانى من جهة الوضع اللغوى ، وتلك دلالة عامة ، أما صاحب البيان فان له نظرة فوق هذه النظرة ، لانه ينظر فى فضيلة تلك الدلالة التى هى (١) دلالة خاصة " .

ومعنى هذا أن الدلالة التى يقف عندها النحوى دلالة عامة ، أما الدلالة البيانية فهى دلالة خاصة إذ المراد فى هذه الحال هيئة مخصوصة من الحسن يتمتع بها الأسلوب وذلك (٢) أمر وراء النحو والاعراب كما يقول ابن الأثير .

ومن ثم يستطيع النحوى أن يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ، ويعرف مواقع اعرابه ولكنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة ، والبلاغة ، ويقرر ابن الأثير حكماً له خطره وهو تخطئة من يعرض للشعر حين يقتصر على شرح المعنى وما فيه من الكلمات اللغوية وتبين مواضع الاعراب فيه دون شرح ما تضمنته (٣) من أسرار الفصاحة والبلاغة . فابن الأثير صاحب منهج مغاير لمنهج السكاكى إذ كان "شديد الأهمية بالنسبة لتاريخ (٤) النظريات الأدبية والدراسات البلاغية" ومن ثم فهو أقرب إلى منهج الأوائل الذين تناولوا البلاغة العربية بروح تختلف عن الروح التى وجدت فى كتاب السكاكى "مفتاح العلوم" فهو يميل

- 
- (١) المثل السائر لفياء الدين ابن الأثير ، تقديم وتحقيق د. أحمد الحوقى ، والدكتور بدوى طبانة ، دار الرفاعى بالرياض ط/الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ص ٥١ .
- (٢) المصدر السابق ص ٥١ .
- (٣) انظر المصدر السابق ص ٥٢ .
- (٤) علم البديع عند العرب لكرا تشكوفسكى ، ترجمة وتقديم محمد الحجيرى ، دار الكلمة للنشر الطبعة الثانية ١٩٨٣م ص ١١٨ .

الى الاكشاف من سرد الأمثلة والشواهد والبعد عما تقتضيه  
القسمة العقلية لأن ذلك كما يقول "يقتضى أشياء مستحيلة" (١).

على أن الذى يهمننا منه هو ما يخص البديع ويلفت النظر  
أنه يعرض لبعض الفنون التى تعرف الآن بالبديع فى القسم  
الثانى من المقالة الأولى التى جاءت للبحث فى الصناعة  
اللفظية ، وجعلها فى قسمين :

الأول فى اللفظة المفردة ، والثانى فى المركبة ، وتحت  
هذا القسم جاء حديثه عن السجع ، والتصريع والتجنيس ،  
والترصيع ، ولزوم مالايلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ  
الألفاظ ، وتكرير الحروف ، أفردتها بالشرح والتحليل موضحا  
منزلة كل واحد منها وسر الفماحة فيه .

وأما المقالة الثانية فهى بعنوان "فى الصناعة  
المعنوية" وفيها نلاحظ فنونا تنتمى الآن الى علوم البلاغة  
الثلاثة المعروفة ، فمنها ما هو داخل فى دائرة البيان مثل  
الاستعارة والتشبيه وفيها ما هو فى عداد المعانى ، كالتقديم  
والتأخير والإيجاز والإطناب ، ومنها ما هو دائر فى فلك علم  
البديع ، كالطباق والمقابلة ، ومعنى هذا أن ابن الأثير  
لا ينظر الى هذه الفنون نظرة مفاضلة بينها بل هى جميعا تعمل  
على الوصول الى ما أشرنا اليه سابقا وهو الهيئة المضمومة  
من الحسن التى تجيء وراء النحو والاعراب .

والوضع كذلك عند ابن أبى الأصبع (٦٥٤هـ) فهو وإن كان  
قد أطلق على مؤلفه المعروف "بتحرير التحبير" اسم البديع

فى صناعة الشعر ، لا ينظر الى الفنون التى تكلم عنها تحت عنوان "البديع" نظرة توحى بالتقسيم والتحديد ، بل لاتزال كلمة البديع لديه كما كانت عند ابن المعتز أول من أطلقها على مؤلف علمى ، وان كان ابن أبى الأصبع قد قسم الألوان الى أصول وفروع ، فالأصول عددها ثلاثون لونا منها الاستعارة والجناس والطباق ، ورد الإعجاز على المدور ، والمذهب الكلامى ، والالتفات ، والكناية والتشبيه ، وتجاهل العارف ، والمقابلة ، والتقسيم ، والافراط فى الصفة ، وغيرها مما جاء عند ابن المعتز وقدامة بن جعفر ، وأما الفروع فقد أفرد لها ثلاثة وستين لونا ، ثم ساق الحديث بعد ذلك عن ثلاثين لونا قال بأنه هو المكتشف لها ، والواقع أن كثيرا من هذه الفنون قد سبقه اليها ممن تقدمه من البلاغيين .<sup>(١)</sup>

وعلى الرغم من أنه قسم الأنواع التى جمعها من كتب السابقين الى أصول وفروع فإنه لم يعن بتلك القسمة الى تفصيل الأصول على الفروع ، بل قعد الى إطلاق الأصول على ماورد فى كتابى ابن المعتز وقدامة ، وماعدا ذلك مما جاء فى هذين الكتابين فقد أطلق عليه اسم الفروع . ومن ثم أرى فى الفروع مثلا تشابه الأطراف وأرى فى الأصول التمام أو التتميم ، مع أننى أرى أحقية تشابه الأطراف لو كنت أفاضل بين ماهو أصل وماهو فرع مما عده ابن أبى الأصبع .

ونلاحظ فى هذا الكتاب الكثرة التى حاول المؤلف أن يضيفها الى البديع ، فقد زاد مذكره من الألوان على المائة

(١) راجع الباب الأخير من هذه الرسالة حول إضافات ابن أبى الأصبع .

بأكثر من عشرين لونا وتلك بداية الضعف ، حيث عرفت الألوان طريقها الى الكثرة حتى لم تعد أقوى ذاكرة بقادرة على مجرد عدّها . اضافة الى التفرّيعات التى تتعلق بكل فن منها . وان كان مما يخفف هذه الملاحظة أن ابن أبى الاصبع قد استعمل مصطلح البديع استعمالا عاما قصد به علوم البلاغة كلها . بخلاف صنيع السكاكى الذى قدر له الذيوع والانتشار حيث خضع القسم الثالث من كتابه "مفتاح العلوم" للاختصار ، والتهديب والشرح تارة ، والتقريرات والحواشى تارة أخرى حتى صار بين أيدينا حشد ضخّم من الكتب التى تناولت هذا القسم من الكتاب .

وكان كتاب القزوينى (٧٣٩هـ) تلخيص المفتاح ، وكتابته الآخر الايضاح ، فى مقدمة الكتب التى تناولت القسم الثالث من كتاب السكاكى شرحا وتلخيصا ، بل ان الخطيب نفسه قد أحصى بأن كتاب "التلخيص" فى حاجة الى ايضاح فكان كتابه الثانى فقد "عمد الى كل ما فى المفتاح من تعقيد فأخلى تلخيصه منه الا قليلا ، وناقش السكاكى فى غير موضع ، وطرح بعض تعريفاته الملتوية ، ووضع مكانها تعريفات أكثر دقة ووضوحا ، ولم يكتف بذلك فقد عكف على كتابى عبد القاهر "دلائل الاعجاز" و"أسرار البلاغة" وكتاب الكشف للزمخشري مستنيرا بها جميعا فى تصنيف تلخيصه ، وأدلى ببعض الآراء " (١) .

وقد شهدت البلاغة على يد القزوينى ذلك الفصل الحاسم بين علومها الثلاثة حيث تحولت المحسنات التى ألحقها

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٣٦ .



السكاكى بعلمى المعانى والبيان الى علم ثالث مستقل وهو علم البديع ، وهو علم "يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة" (١) .

ثم اخذ يقسم هذه الوجوه الى ضربين ، ضرب يرجع الى المعنى ، وضرب يرجع الى اللفظ وقد عد تحت الضرب الاول واحدا وثلاثين نوعا ، وكان السكاكى قد عد تحت هذا النوع عشرين لونا من بينها الاعتراض ، والالتفات ، والايجاز ، والاطناب ، وهذه الالوان لم يدخلها القزوينى فى دائرة البديع بل جعلها فى دائرة علم المعانى ثم جعل الطباق والمقابلة لونا وكان السكاكى قد جعلهما لونين مستقلين .

وقد "أربى على السكاكى فى المحسّنات المعنوية ، بالارصاد ، والعكس والرجوع ، والاستخدام والتجريد ، والمبالغة ، والمذهب الكلامى ، وحسن التعليل ، والتفريع ، وتأکید الذم بما يشبه المدح ، والادماج ، والهزل الذى يراد به الجد ، والقول بالموجب ، والاطراد والاستطراد" (٢) .

أما الضرب الثانى - الذى يعود الى اللفظ - فقد عد الخطيب منه سبعة ألوان منها ما ذكره السكاكى من قبل كالجناس ، ورد العجز على الصدر وزاد عليه لزوم ما لايلزم والموازنة ، والتشريع ، وفى كل أولئك مسبوق ، وقد عقب القزوينى على تلك الالوان بقوله : "وأصل الحسن فى جميع ذلك أن تكون الالفاظ تابعة للمعانى فان المعانى اذا أرسلت على

(١) الايضاح فى علوم البلاغة للقزوينى شرح وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، الطبعة الثانية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ٤/٦ .  
(٢) المصدر السابق ص ١٩٦ .

سجيتها ، وتركت وما تريد طلبت اللفاظ ، ولم تكتس الا ما يليق بها<sup>(١)</sup> الا أن ابن جنى له كلام جيد عن اللفاظ اذ يقول عن اللفاظ : "فانها لما كانت عنوان معانيها ، وطريقا الى اظهار أغراضها ومراميها ، أصلحها ورتبها ، وبالفوا في تحبيرها ، وتحسينها ، ليكون ذلك أوقع لها في السمع وأذهب بها في الدلالة على القصد ، ألا ترى أن المثل اذا كان مسجوعا لذ سامعه فحفظه ، فاذا هو حفظه كان جديرا باستعماله ، ولو لم يكن مسجوعا لم تأنس النفس به ولا أنقت لمستمعه ، واذا كان كذلك لم يحفظه ، واذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له وجيء به من أجله"<sup>(٢)</sup> .

ثم يقول : "فاذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها وحموا حواشيها وهذبوها ومقلوا غروبها وأرهفوها فلاترين أن العناية اذ ذاك ، انما هي باللفاظ بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني وتنويه بها وتشرف منها"<sup>(٣)</sup> .

وهذا كلام يرفع من قيمة السجع ويبرز أهميته ، ومتى كان كذلك كان من عمل المتكلم ، وعمل المتكلم في الكلام هو النظم ، بمعنى أن ينظر الى الظاهرة باعتبارها من عمل المتكلم في تأليف الكلم ، ولم يكن للمتكلم سوى النظم . وقد تحدث الشيخ عبد القاهر عن التجنيس باعتباره عملا قام به منشى القول .

(١) المصدر السابق ص ١١٦ .  
 (٢) الخصائص لابن جنى ، تحقيق محمد على النجار ، الطبعة الثانية دار الكتب المصرية ١٩٦٣ م ٢١٦-٢١٥/١ .  
 (٣) المصدر السابق ص ٢١٧ .

أترك استضعفت تجنيس أبى تمام

(١)

واستحسننت تجنيس القائل

فهو كما قلت ينظر الى القول باعتباره نتاجا لعمل

المتكلم فى تأليف الكلم وليس للمتكلم سوى النظم .

ومادام التجنيس من عمل المتكلم ، وجب أن تنظر فى

أحوال المتكلمين حينما تتمخض أعمالهم عن هذه الظاهرة .

"وهم من هذه الجهة : مابين مطبوع ، يرسل القول على

سجيته ، ولايعنيه الا الوفاء بغرضه ، وبين آخر يقصد الى

التجنيس قمدا ينسى معه الغاية الاصلية من الكلام وهى الابانة

(٢)

والافهام " .

"ولمذه الحالة كان كلام المتقدمين ، الذين تركوا فضل

العناية بالسجع ولزموا سجية الطبع ، أمكن فى العقول ،

وأبعد من القلق ، وأوضح للمراد ، وأفضل عند ذوى التحصيل

وأسلم من التفاوت ، وأكشف عن الأغراض ، وأقصد للجهة التى

تنحو نحو العقل وأبعد من التعمد ، الذى هو ضرب من الخداع

والتزويق ، والرضا بأن تقع النقيصة فى نفس الصورة ،

(٣)

وذات الخلقة اذا أكثر فيها من الوشم والنقش" .

"وقد تجد فى كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبه فرط

شغفه بأمور ترجع الى ماله اسم فى البديع الى أن ينسى أنه

يتكلم ليفهم ويقول ليبين ، ويخيل اليه أنه اذا جمع بين

(١) أسرار البلاغة ، تحقيق هـ ريتز ص ٦ .

(٢) مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث ،

رسالة دكتوراه ، د. ابراهيم محمد عبد الله الخولى ،

اشراف الدكتور كامل امام الخولى ، الازهر ، ١٣٩٨هـ /

١٩٧٨م ص ٢٠٠ .

(٣) أسرار البلاغة للجرجانى ص ٨ .

أقسام البديع فلاضير أن يقع ماعناه فى عمياء ، وأن يوقع السامع من طلبه فى خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة مايتكلف على المعنى وأفسده كمن ثقل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه فى نفسها " .<sup>(١)</sup>

ومعنى هذا أن القبول والرد مرتبطان بأحوال القائلين وأغراضهم ومدى وفائهم بها . وأصبح اقتفاء المعنى لئى لون بديعى فيصلا فى هذه المسألة .<sup>(٢)</sup>

ولذلك : "لاتجد تجنيسا مقبولا ، ولاسجعا حسنا ، حتى يكون المعنى هو الذى طلبه ، واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لايتبغى به بدلا ، ولاتجد عنه حولا ، ومن هاهنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ماوقع من غير قصد من المتكلم الى اجتلابه وتأهيت لطلبه ... " .<sup>(٣)</sup>

وبهذا الحكم القائم على أساس المعنى ، يمكن أن نفاضل بين هذه الظاهرة فى عمريين من عمور الأدب ، وفى عمور الفطرة ومسايرة الطبع الصافى ، تتجلى لك صور مشرقة تروغ وتونق . وعلى العكس من ذلك يظهر لك وجهها الآخر فى عمور التكلف ، وقد علاه الكلف وثالت الأصباغ الثقيلة من روائه وبهائه . وهكذا .

تلك هى نظرة الشيخ الى الجنس حيث اعتبره من عمل المتكلم وأنه من نتاج النظم ، إلا اذا أساء المتكلم استخدامه فإنه حينئذ يخل بالنظم ويصبح حلية لفظية لاقيمة

(١) الممدد السابق ص ٩ .

(٢) انظر مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث ص ٢٠١ .

(٣) أسرار البلاغة ص ١٠ .

لها ، وهذا على خلاف نظرة الخطيب له الذى حصر نظره فى نطاق اللفظ وخصائمه من حيث هو صوت .

أما السجع فان الأثر الذى ينجم عنه هو ذلك الأثر الصوتى الخالص ، يتمثل فى هذا التوافق الصوتى الناشئ عن تماثل المقطع الأخير فى الكلمات التى تعتبر نهايات الفواصل أو تماثل الحرف الأخير منها ، ومما يؤكد ذلك أننا نجد سورا بأكملها بنيت على رعاية هذا التوافق الصوتى كسورة القمر مثلا لاتشذ فيها آية واحدة عن الانتهاء بالراء ، لقد توافقت آياتها الخمس والخمسون على فاصلة واحدة وهى الراء . ولنا مع هذا وقفة فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى .

ومن الذى يقول ان هذا النسق الصوتى فى السورة ليس أصيلا وليس من البلاغة وانما هو مجرد حلية خارجية ، وزخرف غير جوهري ؟<sup>(٢)</sup>

من يقل ذلك فنحن نطالبه بأن يحاول تبديل كلمات النهاية فى الآيات بغيرها دون أن يحدث تغييرا جوهريا من حيث الأثر الذى تتركه السورة فى النفوس ، وان لم يستطع ذلك فانى أعتبرها من الألوان التى يدق فيها الصنع وأنه من صميم البلاغة العربية ، وليس حلية عرضية كما قال به المتأخرون .<sup>(٣)</sup>

(١) انظر مقتضى الحال بين البلاغة العربية والنقد الحديث ص ٢٠٧-٢٠٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١١ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٢١٢ .

## البديعيات

لاشك أن الاهتمام بالمنوعة قد بدأ منذ عهد مبكر ، حتى أن عبد القاهر الجرجاني فاق ذرعا بمن هاموا بالبديع وشغفوا به وفي ذلك يقول : "وقد تجد في كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع الى ماله اسم في البديع الى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ويخيل اليه أنه اذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلاخير أن يقع ماعناه في عمياء وأن يوقع السامع في طلبه في خبط عشواء وربما طمس بكثرة مايتكلفه على المعنى وأفسده كمن ثقل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها " .<sup>(١)</sup>

وقد بلغ علم البديع ذروة نضجه في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن للهجرة ، على يد خطيب دمشق وقاضيها جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة ٧٣٩هـ الذى لخص كتاب مفتاح العلوم للسكاكى المتوفى سنة ٦٢٦هـ فى كتاب أسماه تلخيص المفتاح ، ثم بينه فى كتاب آخر أطلق عليه "الايضاح" .

وقد فتن بهذا الاهتمام المتزايد بفنون البديع شعراء العمور المتأخرة الذين تأثروا بما أنتجه البلاغيون من أنواع البديع حتى اذا قارب القرن السابع على الانتهاء تمخض عن ظهور فن جديد هو فن "البديعيات" وهى قصائد تتضمن فنونا بلاغية ومعظمها فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم بحرها

(١) أسرار البلاغة ص ٩ .

البسيط ورويتها الميم ، ويتضمن كل بيت منها نوعا من أنواع  
(١)  
البديع .

لقد اختلف الباحثون حول نشأة البديعيات أهى من  
ابتكار على بن عثمان بن على بن سليمان الأربلى كما يقول  
ابن معصوم المدنى ؟ أم انها من ابتكار ابن جابر الأندلسى  
(٢)  
كما يفهم من نص صريح للدكتور زكى مبارك ؟ أو أنها من  
(٣)  
اختراع صفى الدين الحلى كما رجح بذلك الدكتور جواد غلوش .  
(٤)  
وقد ذهب ابن معصوم المدنى الى أن صفى الدين الحلى  
المتوفى سنة ٧٥٠هـ أول من نظم البديعيات ، ولكنه تراجع  
وقال : "كنت أظن أن أول من نظم أنواع البديع على هذا  
الأسلوب البديع ، فضمن كل بيت نوعا وانقاد له شمس هذا  
المرام طوعا ، هو الشيخ صفى الدين الحلى رحمه الله تعالى  
حتى وقفت فى ترجمة الشيخ على بن عثمان بن على بن سليمان  
أمين الدين السليمانى الأربلى الموقى الشاعر ، على قميدة  
لامية له نظم فيها جملة من أنواع البديع ، وضمن كل بيت  
منها ، نوعا منه ، أولها الجناس التام والمطرف ، وهو :

بَعْضُ هَذَا الدَّلَالِ وَالْإِدْلَالِ  
حَالِي الْهَجْرُ وَالتَّجَنُّبُ حَالِي

- 
- (١) انظر البديعيات فى الأدب العربى لعلى أبو زيد الطبعة  
الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص ٤٦ .  
(٢) أنوار الربيع فى أنواع البديع لابن معصوم المدنى ،  
تحقيق شاكراً هادى شكر ، ط/الأولى ١٣٨٨هـ ، مطبعة  
النعمان ٣١/١-٣٢ .  
(٣) المدائح النبوية للدكتور زكى مبارك ، مطبعة الشعب ،  
القاهرة ، بدون تاريخ ص ٢٢٤ .  
(٤) شعر صفى الدين الحلى للدكتور جواد غلوش بغداد ١٣٧٩هـ  
ص ١٢٦ .

... فعلمت أن الشيخ مفي الدين لم يكن أبا عذر هذا المرام ، ولأول من نظم جواهر هذا العقد فى نظام ، فان الشيخ أمين الدين المذكور ، توفى قبل أن يولد الشيخ مفي الدين ، بسبع سنين ، وذلك أن وفاة الشيخ أمين الدين فى سنة سبعين وستمائة ، وولادة الشيخ مفي الدين ، فى سنة سبع وسبعين وستمائة .

وأما نظم أنواع البديع على هذا الوزن والروى ، الذى نظم عليه الشيخ مفي الدين ، فلا تحقق أيضا أن الشيخ مفي الدين ، هو أول من نظم عليه ، فانه كان معاصرا للشيخ أبى عبد الله محمد بن أحمد بن على الهوارى ، المعروف بشمس الدين بن جابر الأندلسى الأعمى ، صاحب البديعة المعروفة ببديعة العميان ، ولأعلم من السابق منهما الى نظم بديعته على هذا الأسلوب . وان كان الشيخ مفي الدين قد حاز قمبات سبق فى مضمار براعة هذا المطلوب . فان ابن جابر ، لم يستوف الأنواع التى نظمها الشيخ مفي الدين بل أخل بنحو سبعين نوعا من الأنواع ، وكلاهما لم يلتزم التورية باسم النوع البديعى .

وأول من التزم ذلك الشيخ عز الدين الموصلى ، ثم تلاه الشيخ تقى الدين أبو بكر بن على بن عبد الله الحموى ، المعروف بابن حجة . والتزم ما التزمه الشيخ عز الدين ، وزاد عليه فى أكثر الأبيات بحسن النظم والانسجام . الا أن لذلك فضل المتقدم على المتأخر ، والمبتدع على المتبع وقل من التزم بعدهما هذا الالتزام ، وما ذلك الا لصعوبة هذا المرام " .<sup>(١)</sup>

(١) أنوار الربيع فى أنواع البديع ص ٣١-٣٢ .



وذهب الدكتور زكى مبارك فى كتابه " المذائح النبوية " الى أن أبا عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن جابر الأندلسى (٧٨٠هـ) قد " ابتكرها ورسم أصولها " فى حين رجح الدكتور جوار غلوش أن يكون صفى الدين أسبق من ابن جابر الأندلسى لأنه توفى سنة ٧٥٠هـ وتوفى الآخر سنة ٧٨٠هـ وأن ابن حجة الحموى اعترف بأسبقيته فى عدة مواضع من خزانته ، وأن كان ذلك ليس دليلا أكيدا على الأسبقية .

ولعل أول من نظمها الأديب المصرى ، على بن عثمان بن على بن سليمان أمين الدين السجلمانى الأربلى (٦٧٠هـ) الذى أشار اليه ابن معصوم المدنى وعده أول من نظم هذا اللون ، وبديعياته تقع فى ستة وثلاثين بيتا اشتملت على فنون بلاغية مختلفة وهى ليست فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ولا من البسيط بل من الخفيف ، وليست على روى الميم بل على روى اللام . ومن أبياتها :

بعض هذا الدلال والإدلال  
حالى الهجر والتجذب حالى

ومما يؤيد كلامنا هذا قول الدكتور شوقى ضيف : "ولانكاد نتمضى بعد ابن أبى الأصبغ حتى نجد على بن عثمان الأربلى المتوفى سنة ٦٧٠ للهجرة ينظم قصيدة فى مديح بعض معاصريه مضمنا كل بيت منها محسنا من محسنات البديع ، وبإزاء كل بيت المحسن الذى يشير اليه ولاندرى هل عد فيها جميع

(١) المذائح النبوية فى الأدب العربى ص ٢٢٢ .

(٢) شعر صفى الدين الحلى ص ١٢٦ .

(٣) فنون بلاغية ، البيان والبديع ، د. أحمد مطلوب ، دار البحوث العلمية للنشر ، الجمهورية العراقية ، ط/أولى ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ص ٢١٣ .

المحسنات التى كانت معروفة فى عصره أو أنه اقتصر على طائفة منها فقط ، فان صاحب "قوات الوفيات" لم يذكر من قصيدته سوى ستة وثلاثين بيتا . على كل حال تعد هذه القصيدة أول قصيدة عنى ناظمها بأن يودع كل بيت من أبياتها محسنا بديعيا ، واذا تقدمنا الى القرن الثامن وجدنا صفى الدين الحلى المتوفى سنة ٧٥٠ للهجرة ينظم قصيدة فى مديح الرسول صلى الله عليه وسلم على غرار بردة البوصيرى المشهورة <sup>(١)</sup> .

ثم جاء صفى الدين الحلى سنة ٧٢٠هـ وألف بديعية بلغت أبياتها مائة وخمسة وأربعين بيتا ومطلعها :

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا فَسَلَّ عَنْ جِيرَةِ الْعَلَمِ  
وَأَقْرِ السَّلَامَ عَلَى عُرْبٍ يَذِي سَلَمٍ

وقد ضمن كل بيت فيها محسنا بديعيا ، اذ ضمت قصيدته مائة وخمسين محسنا حيث جعل للجناح فيها اثنى عشر نوعا جاءت فى الخمسة الابيات الاولى . وسماها "الكافية البديعية فى المدائح النبوية" وشرحها فى كتاب أسماه "النقائج الالهية فى شرح الكافية" وقد أثنى عليها الحموى فى خزانته وفضلها على البديعيات الأخرى ، ووازن بينها وبين بديعية الموصلى ، ولشدة إعجابه بالموصلى نراه يقلده ويجاريه <sup>(٢)</sup> .

وقد خالف الحلى السكاكى فى مصطلحه حيث أنه لم يفصل المباحث التى أطلق عليها علم البيان من تشبيه ومجاز وكناية ، بل جعلها جميعا تحت عنوان البديع وعلى هذا فعل

(١) البلاغة تطور وتاريخ ، د. شوقى ضيف ص ٣٦٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٦٠ .

(٣) خزانة الأدب لابن حجة الحموى ، دار القاموس ، الحديث ، بيروت ، مكتبة البيان ص ٤٦٧،٧ .

(٤) انظر فنون البلاغة البيان والبديع ص ٢١٤ .

(١)

أصحاب البديعيات من بعده ماعدا ابن جابر .

وقد نظم ابن جابر الأندلسى المتوفى سنة ٧٨٠هـ بديعية

تقع فى مائة وسبعة وعشرين بيتا ابتدأها بقوله :

بَطِيْبَةٌ أَنْزَلَ وَيَمُّمُ سَيِّدُ الْأُمَمِ

وَأَنْشَرَهُ لَهْ الْمَدْحِ وَأَنْشَرَهُ أَطِيبُ الْكَلِمِ

(٢)

وسماها "الحلة السيرا فى مدح خير الورى" وقد اعتبره

الدكتور زكى مبارك مبتكر هذا الفن ، ورasm خطوطه وان كنا

رأينا الأربلى والحقى قد سبقاه الى هذا المضمار ، وتختلف

هذه البديعية عن غيرها من البديعيات ، بأنه اقتصر على

فنون البديع التى عدها الخطيب القزوينى فى كتابه ولم

يجعل فنون البلاغة كلها بديعا . ولذلك اعتبره مخلا بالبديع

(٤)

غير مستوف له .

وقد شرحها أبو جعفر الرعينى المتوفى سنة ٧٧٩هـ بكتاب

سماه "طراز الحلة وشفاء الغلة" حيث قدم لها بخمسة فصول :

الأول فى البديع لغة واصطلاحا ، والثانى فى الفرق

بين الفصاحة والبلاغة ، والثالث فى مكان البديع من المعانى

والبيان ، والرابع فى تقسيم البديع الى لفظى ومعنوى ،

والخامس فى بيان أن البديع أحد علوم الأدب الستة ، وهى

اللغة والتصريف ، وعلم العربية ، والمعانى ، والبيان ،

(٥)

والبديع .

(١) انظر المصباح البديعى لأحمد موسى ص ٣٨٣ .

(٢) السیراء : المخططة ، أو يخالطها حریز .

(٣) انظر البلاغة تطور وتاریخ ص ٣٦١ . ١

(٤) انظر فنون بلاغیة ، البیان والبديع ص ٢١٥ .

(٥) فنون بلاغیة ، البیان والبديع ص ٢١٥ .

(١)  
وقد أثنى السيوطى عليها بقوله : "نظمها عال" غير  
أن ابن حجة الحموى قال عنها : "ونظم هذه القصيدة سافل  
بالنسبة الى طريق الجماعة غير أن الشيخ الامام العلامة شهاب  
الدين أبا جعفر الأندلسى شرحها شرحا مفيدا" .  
(٢)

ومن ذلك بديعية عز الدين الموصلى المتوفى سنة ٧٨٩هـ  
وتقع فى مائة وتسعة وثلاثين بيتا التزم فيها تسمية النوع  
البديعى موريا عنه بكلمة فى البيت الذى يتضمنها ومطلعها :  
براعة تستهلِّ الدمع فى العلم  
عبارة عن نداء المفرد العلم

ويقول فى الاستعارة :  
دع المعاصى فشيب الرأس مشتعلا  
بالاستعارة من أرواحها العقم

ويعد الموصلى أول من فعل ذلك ليمتاز عن الحلى الذى  
لم يلتزم بتسمية النوع البديعى . يقول ابن حجة موضحا  
الفرق بين بديعتى الموصلى والحلى "وبديعية مفى الدين  
غزلها لاينكر ، غير أنه لم يلتزم فيها تسمية النوع البديعى  
موريا به من جنس الغزل ولو التزمه لتجافت عنه تلك الرقة ،  
وأما الشيخ عز الدين الموصلى فإنه لما التزم ذلك نحت من  
الجمال بيوتا" .  
(٣)

وهكذا توالى نظم البديعيات وبرز شعراء عنوا بها  
كوجيه الدين عبد الرحمن بن محمد اليمنى المتوفى سنة ٨٠٠هـ

(١) بغية الوعاة للسيوطى ، دار المعرفة ، بيروت بدون  
تاريخ ص ١٤ .  
(٢) خزانة الادب لابن حجة الحموى ص ١١ .  
(٣) خزانة الادب لابن حجة ص ١٣ .

وشرف الدين عيسى بن حجاج بن عيسى بن شداد السعدى القاهرى  
المتوفى سنة ٨٠٧هـ ، وزين الدين شعبان بن محمد القرشى  
المتوفى سنة ٨٢٨هـ .

وفى القرن التاسع برز أديب كان له أكبر الأثر فى  
البديعيات ذلكم هو أبوبكر على بن حجة الحموى المتوفى سنة  
٨٣٧هـ وقد ظفرت بديعيته التى سماها "تقديم أبى بكر" بشهرة  
لم تظفر بها أى بديعية أخرى ، على الرغم من أنه وجد فى  
عمر يزخر بالبديعيات . وكان قد أعجب ببديعيتى الموصلى  
والحلى فأراد أن يضع بديعيته تفوقهما فنظم هذه البديعية  
التى ضمن كل بيت فيها نوعا وأشار الى اسمه فى البيت نفسه  
وأبياتها مائة واثنان وأربعون بيتا اشتملت على مئة وسبعة  
وأربعين نوعا بديعيا وابتدأها بقوله :

لِيْ فِيْ ابْتِدَاءِ مَدِّ حِكْمٍ يَّاعْرَبُ ذِي سَلَمٍ  
بِرَاعَةٍ تَسْتَهْلُ الدَّمْعَ فِي الْعِلْمِ

وقد وضع لها شرحا سماه "خزانة الادب وغاية الارب"  
(١) ووازن بينها وبين بديعيتى الحلى والموصلى .

ومنهج ابن حجة الحموى فى خزانة الادب ، يختلف عن منهج  
البلاغيين فى عصره الذى سيطر فيه القزوينى وشراحه على  
الدراسات البلاغية ، فهو لم يقسم البلاغة الى ثلاثة فنون ،  
ولم يلتزم بالحدود والتقسيمات التى قيدها بلاغة السكاكى  
وأتباعه وانما سلك مذهباً آخر ابتعد عن كل ما يفسد الذوق ،  
فهو يعرض للنوع الذى ضمنه بيتا من بديعيته ، فيعرفه  
تعريفاً بلاغياً ، ويذكر أمثلة شعرية ونثرية كثيرة راداً بعض  
آراء معاصريه وموازننا بين بعضها الآخر .  
(٢)

(١) انظر فنون بلاغية ص ٢١٦ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢١٦ .

ولاجدال فى هذا فكتابه يعد من أفضل كتب البلاغة والنقد فى عصره ، لأنه لم يلتزم بالمنهج السائد ولم يقلد المتقدمين كل التقليد وإنما جاء بكل طريف وجديد فى عصره الذى طغت فيه موجة التقليد .<sup>(١)</sup>

فحين تكلم عن " التتميم " قال : " التتميم كان اسمه التمام وإنما سماه الحاتمي التتميم وسماه ابن المعتز اعتراض كلام فى كلام لم يتم معناه ، والتتميم عبارة عن الاتيان فى النظم والنثر بكلمة اذا طرحت من الكلام نقص حسنه وهو على ضربين : ضرب فى المعنى وضرب فى اللفاظ " .<sup>(٢)</sup>

وأبدى رأيه فى بعض فنون البديع فقال عن عتاب المرء نفسه " هذا النوع أعنى عتاب المرء نفسه - لم أجد العتب مرتباً إلا على من أدخله فى البديع وعده من أنواعه وليس بينهما نسبة والذوق السليم أعدل شاهد على ذلك . ولولا أن الشروع فى المعارضة ملزم مانظمت حماء مع جواهره هذه العقود .

ونهاية أمره أنه مفة لحال واقعة ليس تحتها كبير أمر وهو من أفراد ابن المعتز ولم يورد فيه غير بيتين ذكر أن الاسدى أنشدهما عن الجاحظ وهما :

عَمَانِي قَوْمٌ فِي الرِّشَادِ الَّذِي بِهِ  
أَمَرْتُ وَمَنْ يَعْرِضِ الْمَجْرَبَ يَنْدَمُ

(١) انظر فنون بلاغية ص ٢١٧ .  
(١) خزائن الأدب لابن حجة ص ١٢١ .

فصبرا بنى بكر على الموت أننى  
أرى عارضا ينهل بالموت والدم (١)

وقد حظيت بديعية ابن حجة بعناية واضحة من العلماء  
حيث شرحها أحمد بن عثمان البسطامى المتوفى سنة ٨٤٢هـ كما  
شرحها محمد بن عيسى بن محمود المتوفى سنة ١١٥٣هـ واطلق  
عليها "المحاسن المرضية فى شرح المنظومة البديعية" .  
ولجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ بديعية سماها  
"نظم البديع فى مدح خير شفيح" وتقع فى مائة وأربعين بيتا  
مشملة على مئة وأربعين نوعا بديعيا ومطلعها :

مِنَ الْعَقِيقِ وَمِنْ تَذْكَارِ ذِي سَلَمٍ  
بِرَاعَةٍ تَسْتَهْلُ الدَّمْعَ فِي الْعِلْمِ (٢)

وشرحها شرحا موجزا وأشار الى أنه عارض بها بديعية  
ابن حجة الحموى فى التورية باسم النوع البديعى وفى ذلك  
يقول :

"فهذه بديعية مدحت فيها من وجب على الخلق امتداحه  
... معارضا بها بديعية الشاعر الماهر تقى الدين بن حجة فى  
التورية باسم النوع البديعى" . (٣)

وقد نظمت عائشة الباعونية المتوفاة سنة ٩٢٢هـ بديعية  
فى مئة وسبعة وعشرين بيتا ، تحتوى على مئة وتسعة وعشرين  
لونا من ألوان البديع ومطلعها :

فِي حَسَنِ مَطْلَعِ أَقْمَارِ بَذَى سَلَمٍ  
أَصْبَحَتْ فِي زَمْرَةِ الْعُشَاقِ كَالْعِلْمِ

(١) نفس المصدر ص ١٤٤ .  
(٢) البيان والبديع لأحمد مطلوب ص ٢١٨ .  
(٣) البديعيات فى الأدب العربى ص ١٠٣ .

ومن أبياتها :  
 أَعْظَمُ بِهِ مِنْ نَبِيٍّ مَوْسَلٌ نَزَلَتْ  
 فِي مَدْحِهِ مُحْكَمُ الْآيَاتِ مِنْ حِكْمِ  
 ولها بديعية أخرى سميتها "الفتح المبين في مدح خير

الأميين" ومطلعها :  
 عَنْ مُبْتَدَأِ خَيْرِ الْجَرَءَاءِ مِنْ إِضْمٍ  
 حَدَّثَ وَلَا تَنْسَ ذِكْرَ الْبَانَ وَالْعِلْمِ (١)  
 وقد بلغ عدد أبياتها مائة وأربعة وأربعين بيتاً ،  
 احتوت على مئة وأربعة وأربعين نوعاً بديعياً من أبياتها

قولها في حسن التخليص :  
 وَكَيْفَ أَسْلَوْا وَحَسَنَى الْحَبَّ قَدْ ضَمِنْتَ  
 "حَسَنَ التَّخْلِصِ" بِالْمُخْتَارِ فِي الْقِدَمِ

وقولها :  
 رَاعِي النَّظِيرَ مَحْيَا الشَّمْسِ حِينَ بَدَا  
 وَالْبَدْرُ حَاكِي وَلَكِنْ بَعْضُ حَسَنِهِمْ  
 ونسجتها "على منوال بديعية ابن حجة من غير تسمية  
 النوع البديعي تمسكاً بطلاقة اللفاظ وانسجام الكلمات ،  
 وشرحها واعتمدت على ابن حجة كثيراً" . (٢)  
 ثم بديعية عبد الله الزفتاوي المتوفى سنة ١٠٥٩هـ

ومطلعها :  
 لَدَيَّ فِي مَدْحِ أَهْلِ الْحَيِّ مِنْ إِضْمٍ  
 بَرَاةٌ تَوْجِبُ اسْتِهْلَالَهَا بِفَمِي

(١) المرجع السابق ص ١٠٣ .  
 (٢) فنون بلاغية ، البيان والبدیع لأحمد مطلوب ص ٢١٩ .



وقد بلغ عدد أبياتها مائة وواحدا وثلاثين بيتا تحتوى  
(١)  
على مئة وخمسة وثلاثين نوعا بديعيا .

ومن أبياتها فى التشطير :  
مِنْ كُلِّ مُقْتَدِرٍ لِلْحَرْبِ مُبْتَدِرٍ  
فِي اللَّهِ مُعْتَمِرٍ "تشطير" مدحهم

وفى حسن ختامها :  
مَلَى وَسَلَمَ تَضَعِيفًا عَلَيْكَ رَضَى  
رَبِّ الْعَالِيَا "ختام" الرسل كلهم

ولعبد الوهاب بن العرضى المتوفى سنة ١٠٧١هـ بديعية  
ومطلعها :

بِرَاعِيَّتِي فِي ابْتِدَاءِ مَدْحِي لِذِي سَلَمٍ  
قَدْ اسْتَهْلَيْتُ بِدَمْعٍ فَاضٍ كَالْعَلَمِ  
وبلغ مجموع أبياتها مائة وواحدا وخمسين بيتا وفيها  
مئة وخمسة وخمسون نوعا بديعيا .

ومما جاء فيها "الجمع مع التفريق" قوله :  
كَالْبَدْرِ وَجْهًا وَقَلْبًا فِي الْجَمَالِ وَفِي  
شَقٍّ يَشِيرُ إِلَى تَفْرِيقِ جَمْعِهِمْ (٢)

وورد فى حسن ختامها قوله :  
بَدَأَتْ فِيهِ وَفِي أَوْطَانِهِ مَدْحًا  
أَرْجُو بِمِسْكِ خِتَامِي "حسن مختتمى"  
وقد شرحها أبو الوفاء شرحا جيدا سماه "فتح البديع فى  
حل الطراز البديع فى امتداح الشفيع" .

(١) انظر البديعيات ص ١١٦-١١٧ .

(٢) انظر البديعيات ص ١١٧ .

وألف عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣هـ/١٧٣١م  
بديعيتين وقد التزم فى احدهما تسمية النوع لم يلزمه فى  
الثانية وابتدأ الاولى التى سماها "نسمات الأسفار فى مدح  
النبي المختار" بقوله :

يَا مَنْزِلَ الرُّكْبِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ  
مَنْ سَفَحَ كَاطَمَةً حَيَّتْ بِالْدِّيمِ

وهذه لم يلتزم فيها بتسمية النوع البديعى ضمن  
أبياتها واعتذر لذلك بقوله : "لأن ذلك انما يكسب تنافر  
الكلمات ، وغرابة المبانى وقلالة المعانى ، وليت شعري مع  
التصرف فى اسم ذلك النوع ضرورة نظمه بين كلمات البيت يظهر  
لمن لم يعرفه أن اسمه كذا مالم يكن فهمه باسمه ورسمه ،  
وبعد ذلك الى تسميته بالكلية ، ولو أعجبني هذا المصنيع  
(١)  
لكنت نسيم رياضه الماما ...".

ومما جاء فى حسن ختامها قوله :

هَذَا مَدِيحِي فَإِنْ نِلْتُ الْقَبُولَ بِهِ  
سَعِدْتُ أَوْ لَا فَحَسْبِي مَوْقِفُ التَّهَمِ

وأما الثانية التى التزم فيها بتسمية النوع البديعى

فمطلعها :

يَا أَحْسَنَ مَطْلَعٍ مِنْ أَهْوَى بَذَى سَلَمِ  
بِرَاعَةِ الشُّوقِ فِي اسْتِهْلَالِهَا أَلْمِي

(١) البديعيات ص ١٢٧ نقلا عن كتاب نفحات الأزهار على نسمات  
الأسفار ، عبد الغنى النابلسى .

وقد شرحها على بن حسن بن بدر الدين شرحا مطولا أطلق عليه اسم "حسن المنيع في شرح مليح البديع" .<sup>(١)</sup>

ولابراهيم خيكي الحلبي بديعية نظمها سنة ١٧٣٣م وهي في مدح عيسى عليه السلام وتعد أولى بديعية نظمها نصراني ، ومطلعها :

بِرَاعَتِي فِي امْتِدَاجِي مِنْهَلِ النُّعْمِ  
قَدْ اسْتَهْلَتْ بِدِيْعِ النِّظْمِ كَالْعِلْمِ

وقد وصل عدد أبياتها مائة وخمسين بيتا تحتوى على مئة وخمسين فنا بديعيا التزم فيها ناظمها التورية باسم النوع البديعي داخل البيت .

ثم تلاه القاسم بن محمد البكرجي الحلبي المتوفى سنة ١١٦٩هـ وألف بديعية أطلق عليها "العقد البديع في مدح الشفيع" مطلعها :

مِنْ حَسَنِ مَطْلَعِ أَهْلِ الْبَانِ وَالْعِلْمِ  
بِرَاعَتِي مَسْتَهْلُ دَمْعِهَا بِدَمِ  
وقد بلغ مجموع أبياتها مائة وأربعة وخمسين بيتا ، واحتوت على مئة وتسعة وخمسين لونا بديعيا وقد "أخل فيها بأربعة أنواع بديعية ثلاثة اتفق فيها مع ابن حجة وهي الموازنة ، التوزيع ، الاستعانة ، والرابع تشبيه شيئين بشيئين" .<sup>(٢)</sup>

ولعلى بن محمد بن تاج الدين بن عبد المحسن القلعي المتوفى سنة ١١٧٢هـ بديعية أسماها "مفتاح الفرج في مدح عالي الدرج" ومطلعها :

(١) المرجع السابق ص ١٢٨ .  
(٢) البديعيات ص ١٣٤ .

براعة المطلع ازدانت من الحكم  
وأقبلت تستهل الجود من كرمي

وقد جاءت فى مئة وأربعة وثلاثين بيتا ، تحتوى على مئة وخمسة وثلاثين نوعا بديعيا ، وقد شرحها وسمى هذا الشرح "تاج البديع والبلج على مفتاح الفرج فى مدح على الدرج" (١) . وبعد ، فقد بلغ عدد البديعيات ثلاثا وتسعين بديعية حسب ما ذكر صاحب البديعيات وهذه الكثرة تدل على اهتمام بالغ وعظيم بفنون البديع فى العصور المتأخرة وإذا دعا هذا الاسراف فى الصناعة والتفنن فيما انتقاد الدارسين لها وتصويرها بغير حقيقتها ، فإن الجهد المبذول فيها عظيم يدل على ماكان يتمتع به أولئك الشعراء من صبر على النظم واطلاع على اللغة وقدره فى معالجة الفنون والتورية عندها ، وهى بحق تمثل اتجاها جديدا فى تأريخ البلاغة العربية ، بحيث تختلف كل الاختلاف عما عرف من شروح التلخيص التى سيطرت على الدرس البلاغى بعد القرن السابع ، وتوضح أيضا حياة الأدب فى تلك الفترة التى مال فيها الشعراء الى العناية بصور البديع ، وكانت أيضا تطبيقا لذلك الأدب وما حفل به من فنون بديعية لج بها الشعراء المولدون وأحمى ابن المعتز ثمانية عشر نوعا وترك الباب مفتوحا لمن أراد أن يضيف شيئا من هذه المحاسن أو غيرها الى البديع فليقل فأضاف الناس المحاسن الى البديع وفرعوا من الجميع أبوابا آخر ، حتى أوصلها ابن منقذ خمسة وتسعين نوعا ، فالبديعيات كأنها كانت استجابة

(١) المرجع السابق ص ١٣٨ .

لتلك الدعوة ، وهى بهذا تمثل الرجوع الى البديع كما عرفه الجاحظ وابن المعتز وقدامة والعسكرى وابن رشيق وغيرهم من البلاغيين الذين سبقوا تقسيم البلاغة وحصر البديع فى المحسنات ، يضاف اليها أن العصر الذى عاش فيه أصحاب البديعيات كان يهتم بنظم علوم اللغة تقريبا لها وضبطا لقواعدها ، وقد رأى البديعيون أن الأمر كذلك للبلاغة ينبغى أن تقيّد ليسهل حفظها ويعم نفعها وقاموا بذلك خير قيام مع ما فى النظم من تكلف واعتساف .<sup>(١)</sup>

وهذا - يعنى - أن البديعيات نوع من التأليف فى علم البديع والنظم ، فيه غاية علمية كالتى نجدها فى ألفية ابن مالك فى النحو العربى ، غير أن شعر البديعيات مملوك بعاطفة الشاعر المشبوبة والاحاسيس المرهفة والغنائية والايقاع المطرب ، متجاهلين بذلك الخيط التأليفى الذى ينتظم كل بيت فيها ، لأن الشعر شعور وليس قضايا علمية وقواعد جافة ، وكما يقول صاحب المصبغ البديعى "البديعيات منذ ولدت ، الى أن قضت صناعة من العبث أضعفت الشعر وهدت من قوته ، وأزرت من مكانته وأوردته موارد التكلف والتعلل الثقيل"<sup>(٢)</sup> .

والذى أراه خلاف ذلك لأن البديعيات لم تكن شعر العصر كله ، ولم يقتصر الشعراء عليها ، ولم يسلك سبيلها الا من ملك نامية التأليف وزمام القوافى وقليل ما هم ، ثم ان عدد البديعيات لا يبلغ المئة على مدى سبعة قرون ليست بالعجاف من الناحية الشعرية جاء خلالها بضع وتسعون قصيدة لبضعة

(١) انظر فنون بلاغية لأحمد مطلوب ص ٢٢١ .

(٢) المصبغ البديعى ص ٣٧٢ .

(١)

وشمانيين شاعرا لم تعرف كلها ، كما يقول صاحب البديعيات .  
وهذا لايعنى أن البديعيات لم تخل من العبث ولم تضعف  
الشعر ولم تؤد به الى موارد التكلف ، والتعسف الثقيل  
المستهجن ، فقد وجد بها الاستهجان ، والطريف أيضا ، والا  
أى عبقرية وأى ابداع فى قول ابن حجة حين أدخل مصطلحات  
البديع فى الشعر وأجراها مجارى الغزل وهو كلام وخم جدا .  
من محياه والدلال ومسك الخال والشعر ياشيوخ البديع  
انظروا فى التكميل واللف والنشر وحسن الختام والترصيع  
ثم ان انتشار البديع فى تلك القرون المتأخرة كان  
صورة من ظاهرة عامة فان هذه القرون قد عرفت أنواعا من  
الزخرف والزينة والمبالغة فى المظاهر العامة فى كل شئ ،  
فى العمارة وفى اللباس وفى الفرش ومختلف أنواع الزينة  
وكان لابد وأن يتجه الكلام عن الشعر فى هذا الطريق العام  
ويتأخذ بنميب وافر من هذه الظاهرة التى شاعت فى ذلك العصر  
الذى كان "محاولات لارضاء حاسة البصر بالالوان البراقة  
والتناسق الهندسى والخطوط الرشيقة ، وهو فى الادب ميل الى  
ارضاء حاسة السمع باستعمال الجناس والسجع وضروب الحلى  
اللفظية كما يتمثل فى الأوزان المختلفة المبتدعة ، وانفصال  
الحوادث وعدم ارتباطها فى نسق ، وهو ظاهر فى الادب فى  
انفصال الابيات وعدم الارتباط بين فنون البديع ، والتقسيم  
الهندسى ويظهر فى الفن فى الأشكال الهندسية التى شاعت فى  
الزخرفة .. وهو فى البديع واضح فى كثير من أبوابه . كذلك  
كان يهتم كثيرون بالمظهر الخارجى أكثر من الفكرة وهو واضح

(١) انظر البديعيات ص ٥٠ .

(٢) خزانة الادب ص ٢٢٤ .

(١)

فى الزخرفة كما كان الشأن فى البديع" .

ثم ان العاطفة الصادقة والمعانى الجزلة القوية تغنى  
الشاعر أو الكاتب عن البحث عما يكسب كتاباته رونقا وحسنا  
فتأتى فيها المحسنات المعنوية واللفظية بشكل أقل .  
ولعل الناظر فى شعر الطبقة القارئة وشعر أهل البادية  
واجد اختلافًا بينا من حيث استعمال كل منها لهذه الفنون .  
والملاحظ أن قضية الانتشار هذه هى التى سببت عملية  
التشعيب ، والاختلاف حولها واختلاف العلماء حول تسمية النوع  
الواحد بأسماء مختلفة وهو ما سنكشف عنه فى الفصل التالى .

---

(١) ضياء الدين بن الاثير وجهوده فى النقد والبلاغة ،  
للدكتور محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف بالاسكندرية  
ط/الثانية ص ١٩-٢٠ .

### الفصل الثانى

## تشعيب فنون البديع والاختلاف حولها

قلت ان ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦هـ أول من ألف كتابا بعنوان "البديع" وهو أول مؤلف علمى يخلص للبلاغة العربية ، حيث أنه لم يتعد فنون البلاغة العربية ولم يجاوز دائرتها الى فنون أخرى .

ووضحت أنه خص هذا المصطلح "البديع" بفنون خمسة هى : الاستعارة ، والتجذيس ، والمطابقة ، ورد اعجاز الكلام على ماتقدمها ، والمذهب الكلامى ، ثم ذكر ثلاثة عشر فنا أطلق عليها محاسن الكلام وقال بعد بيانها : "ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر ، ومحاسنها كثيرة لاينبغى للعالم أن يدعى الاحاطة بها وأحببنا أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين ويعلم الناظر أننا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختيارا من غير جهل بمحاسن الكلام ولاضيق فى المعرفة فمن أحب أن يقتدى بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها الى البديع .. فله اختياره " (١) .

وبينت أن لهذه الكلمة التى ترك الخيار لمن أحب أن يضيف الى الفنون التى ذكرها ابن المعتز مدى واسعا فتسابق من جاء بعده الى اضافة عدد كثير من هذه الفنون الى ما وضعه



ابن المعتز حتى أصبحت عبثا ثقيلًا فيما بعد ، ولم تعد أقوى ذاكرة على مجرد عدها اضافة الى التفريعات التى تتعلق بكل فن منها .

وجاء قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧هـ صاحب كتاب "نقد الشعر" الذى أورد فيه ألوانا كثيرة من ألوان البديع اتفق مع ابن المعتز فى سبعة منها وهى : الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، والالتفات ، والاعتراض وان كان قدامة يسميه التتميم والافراط فى المفة الذى يطلق عليه قدامة الغلو والمبالغة ، والتشبيه .

وانفرد قدامة بالباقي وهى "صحة الأقسام ، وصحة المقابلات ، وصحة التفسير ، واثتلاف اللفظ مع المعنى ، والمساواة ، والاشارة ، والارداف ، والتمثيل ، واثتلاف اللفظ مع الوزن واثتلاف المعنى مع الوزن ، وقد جعل المتأخرون البابين الأخيرين بابا واحدا وسموه "التنكيث" واثتلاف القافية مع مايدل عليه سائر البيت ، وقد سماه من بعده التمكنين ، والتوشيح والايغال ، واعتدال الوزن ، واشتقاق لفظ من لفظ وتلخيص الأوصاف ، والتوازي ، والمفارقة ، وعكس اللفظ أو عكس ما نظم من بناء واتساق البناء والسجع" (١) .

والملاحظ عند قدامة أنه يتجنب مصطلحات ابن المعتز قدر الامكان ، وابدالها بمصطلحات أخرى وان كان التوفيق حليفه فى بعض الأحيان كاطلاقه الغلو والمبالغة على فن الافراط فى المفة (٢) "وأكثر الناس على تسمية قدامة لأنها أخف وأعرف" .

(١) قدامة بن جعفر والنقد الادبى للدكتور بدوى طبانة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ص ٣٩٥ .

(٢) بديع القرآن لابن أبى الاصبع ص ٥٤ .

الا أنه لجأ فى أحيان كثيرة أخرى الى بعض التأويلات التى لاجدوى من ورائها ذلك ما بينه الآمدى حول لقب المطابق الذى أعطى أحقية المصطلح لابن المعتز حيث يقول : "وهذا باب أعنى المطابق لقبه أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب فى كتابه المؤلف فى "نقد الشعر" المتكافى وسمى ذلك ضرباً من التجانس "المطابق" وهو أن تأتى بالكلمة مثل الكلمة سواء فى تأليفها واتفاق حروفها وأن يكون معناها مختلفاً عن الآخر . وما علمت أن أحداً فعل هذا غير أبى الفرج ، فإنه وإن كان هذا اللقب يمح لموافقته بمعنى الملقبات وكانت الألقاب غير محظورة ، فأنى لم أكن أحب أن يخالف من تقدمه مثل أبى العباس عبد الله بن المعتز وغيره ، ممن تكلم فى هذه الأنواع وألف فيها إذ قد سبقوا الى التلقيب وكفوه (١)  
المؤونة " .

(٢)  
وقد تعرض السجلمانى من علماء القرن الثامن صاحب كتاب "المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع" الى مناسبة هذا الضرب جناس أو تجنيس فيقول عن صاحب الأغانى "أبو الفرج على بن الحسين القرشى قال : قلت لعلى بن سليمان الأخفش وأعلم من شاهدته بالشعر : طائفة وهم الأكثرون - تزعم أن الطباق ذكر الشئ وضده ، وطائفة تقول هو اشتراك المعنيين فى اللفظ الواحد فقال : من الذى يقول هذا ؟ قلت قدامة وغيره قال : هذا يابنى التجنيس ، ومن ادعى أنه طباق فقد أتى خلافاً على الخليل والأصمعى ، قلت : أفكانا يعرفان هذا ؟ فقال سبحان

(١) الموازنة بين شعر أبى تمام والبحتري للآمدى ص ٢٧٥ .

(٢) لم أعثر له على ترجمة .

الله وهل غيرهما فى علم الشعر وتمييز خبيثه من طيبه ، قلت  
فأنشدنى أحسن طباق للعرب ، فقال : قول عبد الله بن الزبير

الأسدى :  
رَدَّ رَدَّ رَدَّ رَدَّ رَدَّ  
فرد شعورهن السود بيضا  
رَدَّ رَدَّ رَدَّ رَدَّ رَدَّ  
ورَدَّ وجوهن البيض سودا

قال السجلمانى : "والنظر العدل المنزل للأشياء منازلها  
والموفيها حقوقها ، موجب ألا يشاح فى التعبير عن الاسامى أصلا  
ولابوجه من الوجوه مع قيام المعانى وتصور جوهرها وطبائعها  
فقد جرت العادة فى الصناعة النظرية : الوصية للناظر  
وتحذيره أن يلهج بالالفاظ ويقف تصوره عليها ويجعلها نفس  
الأمر المنظور فيه ، فهو الضلال البعيد وان يتقدم قبل فيمعن  
الفحص عن المعانى ، ويبالغ ويستفرغ الوسع فى البحث  
(١)  
والتنقيب عن اثباتها وجوهرياتها وطبائعها" .

ثم يتكلم عن أحقية الرايين بالمصطلح فيقول : "وننظر  
فى هذين الرايين أيهما هو الحق فنقول : انه ان كان وضع  
الشيئين المنافرين فى القول وتركيب القول من متضادين أمرا  
موجود الآنية وكان كذلك أيضا اشتراك المعنيين فى اللفظ  
الواحد بعينه وهو اللفظ المشترك ، فلاحجر ولانكير فى تلقيب  
المعنى الأول أو المعنى الثانى باسم المطابقة والطباق على  
جهة نقل الاسم من الأوضاع الجمهورية الى المعانى الصناعية  
إذا تحفظ بشريطة النقل على الأمر الواجب ولافى اختراع الاسم

(١) المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع لأبى محمد  
القاسم السجلمانى الأنصارى ، تحقيق غلال الغازى ،  
مكتبة العارف ، المغرب ص ٣٧٢ .

لهما ، لكن اذا كانت الشريطة فى النقل كما قد قيل - هى أن يكون المعنى الصناعى المنقول اليه الاسم مشابها للمعنى الجمهورى المنقول عنه الاسم ، أو متعلقا به بوجه ما آخر من وجوه التعلق .. وكان اسم الطباق اسما منقولا الى علم البيان عن طريق المشابهة وهو الطريق الاعم فى طرق النقل . وتقرر أنه فى الوضع الاصيل الاصح عن أصحاب اللسان العربى . وكان المعنى الاول أعنى تركيب القول من أمرين متضادين كذلك فأصحاب الراى الاول أولى بقصص السبق وسهام الفلج ، وذلك لتوفر شريطة النقل فى الاسم لوجود الشبه وتماثل النسبة بين المعنى الجمهورى المنقول عنه الاسم والمعنى الصناعى المنقول اليه الاسم ، وذلك من البين بنفسه ، وليس لقائل أن يقول : ان اسم المطابقة والطباق وهو بمعنى الموافقة ، فيسوغ نقله بهذه الجهة الى ما يراه الفريق الآخر لأنه قد تقرر أنه ليس موضوع اللغة الاصيل ، وانما هو مولد لهج به قوم من الكتاب وناس من العلماء ، اما لعدم البصر بلغة العرب واما للتساهل وترك التحقيق فى استعمال هذه الأمور لاستمرار الاستعمال فيه كذلك بهذه الجهة وهو غلط ولحن غير مأبوه له وان نكير قدامة هذا المعنى وتلقيبه بهذا اللقب (١) معا أو اللقب فقط ، محض التنكب عن النظر والتحقيق " .

وقد تعرض ابن يعقوب الى مناسبة هذا الضرب من الكلام مطابقة أو طباقا ، وذكر أن ذلك راجع الى أن المتكلم عندما يجمع بين معنيين بينهما قدر من التنافى فى تركيب واحد أو

---

(١) المنزع البديع للسجلمانى ص ٣٧٣-٣٧٤ .

فى كلام فكأنه جمعها على حذو واحد على حد مابين أبو سعيد  
(١)  
فيما أخذ عن ابن المعتز .

والطباق سماه قدامة التكافؤ ، وعرفه بقوله : "ومن  
نعوت المعانى التكافؤ وهو أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه أو  
يتكلم فيه بمعنى ما ، أى معنى كان فيأتى بمعنيين متكافئين  
والذى أريد بقولى "متكافئين" فى هذا الموضع ، متفاوتان  
أما من جهة المضادة أو السلب والايجاب أو غيرهما من أقسام  
التقابل ، مثل قول أبى الشغب العيسى :

حَلَوُ الشَّمَائِلِ وَهُوَ مَرٌّ بِأَسَلٍ

يَحْمِي الذَّمَّارَ صَبِيحَةَ الْإِرْهَاقِ  
(٢)

فقلوه "حلو" و"مر" تكافؤ" .

ولم يسمه بهذا المصطلح أعنى التكافؤ ، أحد غير قدامة  
(٣)  
والنحاس ، أما المطابق عنده فهو الجناس . يقول ابن قيم  
الجوزية فى كتابه "الفوائد" : "... قال ابن الأثير أجمع  
جماعة علماء من أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة فى  
الكلام هى الجمع بين الشئ وفده كالبياض والسواد ، والليل  
والنهار وخالفهم فى ذلك أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب  
فقال المطابقة ايراد لفظتين متساويتين فى البناء والمفحة  
مختلفتين فى المعنى وهذا الذى ذكره قدامة هو التجنيس  
(٤)  
بعبئه غير أن الأسماء لامشاحة فيها ... " .

- 
- (١) انظر مواهب المفتاح ضمن شروح التلخيص لابن يعقوب  
المغربى ، ط/عيسى الحلبي بمصر ٢٨٦/٤ .  
(٢) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ١٤٨ .  
(٣) العمدة لابن رشيق ٥/٢ .  
(٤) الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان لابن  
القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان  
بدون طبعة وتاريخ ص ١٤٥-١٤٦ .

ثم يقول : "وهذا النوع يسمى البديع أيضا وهو فى  
 المعانى ضد التجنيس فى اللفاظ" . وقد أحب ابن سنان تسميته  
 بالمطابق ، وابن أبى الاصبع يسمى الطباق طباقا اذا كان بلفظ  
 الحقيقة ، واذا كان طرفاه مجازيين ، أو كان أحد طرفيه  
 مجازا فانه يسميه طباق التكافؤ ، والخطيب يسميه ايهام  
 التضاد . كقول دعبل :

لاتعجبى ياسلم من رجل  
 فحك المشيب برأيه فبكى

ومن الأنواع التى بحثها قدامة وتنوعت أسماؤها فيما  
 بعد ، التمام ، والتتميم ، فالاسم الأول للحاتمى ، والثانى  
 لقدامة كما يقول ابن أبى الاصبع ، وعرفه قدامة بقوله : "هو  
 أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التى تكم بها صحته  
 وتكمل معها جودته شيئا الا أتى به" ثم أورد له أمثلة  
 منها :

فسقى ديارك غير مفسدها  
 صوب الربيع وديمة تهمل

فقوله غير مفسدها تتميم لجودة ماقاله لانه لو لم يقل  
 غير مفسدها لعيب . وقد سماه ابن المعتز بالاعتراض فى حين  
 سماه المتأخرون التكميل والاحتراض . فالمهم ان كثرة الاسماء  
 للاسم الواحد كلها راجعة الى شئ واحد كما يقول ابن سنان

- 
- (١) المثل السائر ١٧١/٣ .  
 (٢) سر الفصاحة لابن سنان ص ١٩٩ .  
 (٣) بديع القرآن لابن أبى الاصبع ص ٣١-٣٢ .  
 (٤) الايضاح فى علوم البلاغة ، تحقيق د. عبد المنعم خفاجى  
 ص ١٥ .  
 (٥) نقد الشعر ص ١٤٤ .

وهذه النظرة ان دلت على شىء فانما تدل على مدى ماكان  
يتمتع به ابن سنان من قدرة على التذوق الادبى والبلاغى .  
وجاء العسكرى أحد علماء القرن الرابع الهجرى فأضاف  
على ماأورده المتقدمون ستة أنواع هى التشطير ، والمجاورة  
والتطريز والمفاعيف ، والمشتق ، والاستشهاد ، والتلطف ، فضلا  
عن تسعة وعشرين لونا تناولها أيضا فى هذا الباب ، وكانت  
كذلك مما تناوله السابقون ، وهى :

الاستعارة والمجاز ، والتطبيق ، والتجنيس ، والمقابلة  
وصحة التقسيم ، صحة التفسير ، الإشارة ، الازداف والتوابع ،  
المماثلة ، والغلو ، والمبالغة ، الكناية والتعريض ،  
العكس ، التذييل ، الترميع ، والايفال ، والتوشيح ، ورد  
الاعجاز على المدور ، والتميم ، والتكميل - الالتفات ،  
الاعتراض ، الرجوع ، تجاهل العارف ، الاستطراد ، جمع  
المؤتلف والمختلف ، السلب والايجاب ، والاستثناء ، والمذهب  
الكلامى ، والتلطف ، وقال : "وأهل المنعة يسمون النوع  
الذى سماه قدامة المطابقة "التعطف" (١) فأتبعهم أبو هلال على  
هذه التسمية "ناسيا أن هذا النوع قد أدرجه تحت الجنس  
متابعا ابن المعتز فى هذا ، ولقد التبس على أبى هلال فظنه  
نوعا على انفراد وهو من الجنس" كما يقول صاحب المصبغ  
البديعى .

(٣)  
ومن الأنواع التى سلمت له المجاورة وقد عرفه بقوله :

(١) المناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٣٣٩ .  
(٢) المصبغ البديعى ، دكتور أحمد موسى ص ١٧٣ .  
(٣) المناعتين ص ٤٦٦ .

"هو تردد لفظتين فى البيت ووقوع كل واحدة منهما بجانب الأخرى أو قريباً منها من غير أن تكون أحدهما لغوا لاحتياج

اليها كقول علقمة :

وَمُطْعِمُ الْغَنَمِ يَوْمَ الْغَنَمِ مَطْعَمُهُ  
أَنَّى تَوَجَّهَ وَالْمَحْرُومُ مَحْرُومٌ (١)

فقوله الغنم يوم الغنم مجاورة ، والمحروم محروم ،  
كذلك مجاورة وقد سمي هذا النوع فيما بعد بالترديد (٢) .

ومن الأنواع التى سلمت للعسكرى "الاستشهاد والاحتجاج"  
وعرفه بقوله : "هو أن تأتى بمعنى ثم تؤكد به معنى آخر يجرى  
مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على محته " (٣) .

ومن أمثله :

فَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَافَةً  
فَإِنَّ الْخَوَافِى قُوَّةَ لِقَوَادِمِ

ومن الأنواع التى سلمت له أيضا المشتق وقد جعله على  
وجهين ، الوجه الأول : أن يشتق اللفظ من اللفظ ، والثانى  
أن يشتق المعنى من اللفظ وهذا النوع الأخير عرف عند  
المتأخرين باسم تجنيس الإشارة وجعله نوعاً من أنواع التجنيس (٤)

ومن أمثله قول أبى العتاهية :

حَلِيقَتُ لِحْيَةٍ مُوسَى بِاسْمِهِ  
وَبَهَارُونَ إِذَا مَا قَلْبًا

أما عن مصطلح التشطير الذى ذكر العسكرى أنه من  
اكتشافه ، والحق قد سبقه إليه شعلب "فى قواعد الشعر وسماه

(١) ديوانه ص ٦٦ .

(٢) العمدة لابن رشيق ٣٣٣/١ .

(٣) المصناعات للعسكرى ص ٤٧٠-٤٧١ .

(٤) المطول على التلخيص ص ٤٤٩ .



المعدل ، ووضعه قسما من أقسام الشعر وعرفه بقوله :  
 "الأبيات المعدلة التى يستغنى كل شطر فيها بنفسه" أما أبو  
 هلال فيقول عن التشطير : "هو أن يتوازن المصراعان والجزءان  
 وتتعاادل أقسامهما مع قيام كل واحد بنفسه واستغنائه عن  
 صاحبه" (١) .

وخلف العسكرى ابن رشيق القيروانى المتوفى سنة ٤٦٥هـ  
 فعد فى كتابه العمد سبعة وثلاثين نوعا منها تسعة أنواع لم  
 يرد لها ذكر عند رجال البلاغة المتقدمين عليه وهى التورية  
 وتسمى أيضا الإيهام والتوجيه والتخييل والمغالطة ، ويرى ابن  
 حجة الحموى أن "التورية أولى بالتسمية لقربها من مطابقة  
 المسمى لأنها مصدر رويت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره  
 كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر" (٢) .

والتفريع ، والاستدعاء ، والتكرار ، ونفى الشيء  
 بإيجابه ، والاطراد ، والاشتراك والتغاير . (٣)

ونلاحظ من خلال عرضه لضروب البديع الكثيرة وأنواعه  
 تغييرا لبعض مصطلحات البديع كأن يطلق على رد الإعجاز على  
 المدور اسم التصدير ، وعلى تجاهل العارف التشكيك ، وهو  
 ما عرف عند السكاكى بـ "سوق المعلوم مساق غيره" أو يسمى  
 تأكيد المدح بما يشبه الذم "الاستثناء مقتديا فى ذلك بأبى  
 هلال العسكرى وقد سماه العلوى أى الاستثناء التوجيه ، أو  
 يجمع ألوانا كثيرة تحت اسم واحد كما فعل تحت مآسماه

(١) المصباح البديعى ، د. أحمد موسى ص ١٧٣ .

(٢) خزائن الأدب لابن حجة ص ٢٣٩ .

(٣) علم البديع ، د. عبد العزيز عتيق ص ٢٥ .

(٤) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز للعلوى ،  
 دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٦/٣ .

الإشارة حيث يظهر من عبائتها الأيماء والتعريض ، والتورية والكناية ، والتتبع وهو ليس فى حقيقته إلا كناية ومن ثم يتضح ذلك من خلال الأمثلة التى استشهد بها ومنها قول امرئ القيس وهو من شواهد الكناية :

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها  
نؤوم الضحى لم تنطق عن تفهّل (١)

وهكذا عمد ابن رشيق الى ضم الأشباه الى الأشباه كما رأينا حين جعل الكناية واللغز والتورية من أقسام الإشارة والترصيع من التقسيم .

ومناقشته أيضا للفرق بين الألوان المتقاربة كمنيعه حين فرق بين الاستطراد والالتفات وبين أنه الاعتراض ، وسماه قوم الاستدراك حكاه قدامة ثم أبان "منزلة الالتفات فى وسط البيت كمنزلة الاستطراد فى آخر البيت وان كان ضده فى التحميل لأن الالتفات تأتى به عفوا وانتهازا ولم يكن لك فى خلد فتقطع له كلامك ثم تملأه بعد ان شئت والاستطراد تقدمه فى نفسك وأنت تحيد عنه فى لفظك حتى تملأ به كلامك عند انقطاع آخره أو تلقيه القاء وتعود الى ما كنت فيه " (٢).

وكما فرق بين الأيغال والتتميم حيث قال : "وليس بين الأيغال والتتميم كبير فرق إلا أن هذا فى القافية لا يعدوها وذلك فى حشو البيت" (٣) . وهذا كلام جيد ، وكما نلاحظ اتمامه لبعض الألوان التى لاتمت بصلة الى البديع مثل باب الحشو

(١) ديوان امرئ القيس ص ١٧ .  
(٢) المصغ البديعى ص ١٩٤ .  
(٣) العمدة ص ٥٤ .

وفضول الكلام ويعرفه بقوله : "أن يكون داخل البيت فى الشعر لفظ لا يفيد معنى وانما أدخله الشاعر لاقامة الوزن وباب الاستدعاء ومفهومه عنده ألا يكون للقافية فائدة الا كونها قافية فقط" وهو كما نرى بعيد كل البعد عن دائرة البلاغة العربية .

ومن الأنواع التى ذكرها ابن رشيق فن التسميم وهو فن كثر الخلاف حول تسميته لدى البلاغيين فبعضهم سماه التوشيح ، وفضل أبو هلال أن يسمى هذا النوع "التبيين" وقال فى تعريفه "سمى هذا النوع التوشيح ، وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى ولو سمي تبیینا لكان أقرب ، وهو أن يكون مبتدأ الكلام ينبنى عن مقطعه وأوله يخبر بآخره ومدره يشهد بعجزه حتى لو سمعت شعرا أو عرفت رواية ثم سمعت مدر بيت منه وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع اليه ، وخير الشعر ماتسابق مدوره اعجازه ومعانيه ألفاظه" (٢) .

أما ابن الاثير فيرى أن تسميته بالارصاد أولى وذلك حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به . أما التوشيح فنوع آخر من علم البيان ، وسماه أبو هلال تبیینا ولكنه جارى السابقين وسماه توشيحاً كقدامة بن جعفر الذى عده من نعت ائتلاف القافية مع مايدل عليه سائر البيت وقال عنه : "هو أن يكون أول البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا به حتى أن الذى يعرف قافية القصيدة التى البيت منها اذا سمع أول البيت عرف آخره

(١) المرجع السابق ص ٦٩ .

(٢) المناعتين ص ٤٢٥ .

(٣) المثل السائر ٢٤٦/٣ .

(١)

وبانت له قافيته " .

وذكر ابن رشيقي تسمية قدامة وان سماه تسهيما كما سماه

(٢)

على بن هارون المنجم وسماه ابن وكيع "المطمع" وذكر ابن

(٣)

سنان أن بعضهم يسميه توشيحا وبعضهم يسميه تسهيما .

وأما ابن حجة فقد عقد فصلين لكل منهما ، فعرف

التوشيح بقوله : "اتفق علماء البديع على أن التوشيح أن

يكون معنى أول الكلام دالا على لفظ آخره ، ولهذا سموه

التوشيح فإنه ينزل فيه المعنى منزلة الوشاح وينزل أول

الكلام وآخره ، منزلة محل الوشاح من العاتق والكشح اللذين

(٤)

يجول عليهما الوشاح" . وعرف التسهيم بقوله : "وتعريفه أن

يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر تارة المعنى وتارة

اللفظ كآبيات أخت عمرو ذي كلب ، فان الحذاق بمعاني الشعر

وتأليفه يعلمون معنى قولها : "فأقم ياعمرو لو نبهاك"

يقتضى أن يكون تمامه : "إذا نبها منك داء عضالا" دون غيره

من القوافي لأنه لو قال مكان "داء عضالا" : "ليشا غفوبا" أو

"أفعى قتولا" أو ما ناسب ذلك لكان "الداء العضال" أبلغ إذ

كل منهما ممكن مغالبتة والتوقي منه والداء العضال لادواء

له وهذا مما يعرف بالمعنى .

وأما ما يدل على الثانى دلالة لفظية فهو قولها بعده :

إِذَا نَبَهَا لَيْثٌ عَرِيْسَةٌ

مَقِيَّتًا مَقِيْدًا نَفُوسًا وَمَالًا

(١) نقد الشعر ص ١٦٧ .

(٢) العمدة ٣١/٢ .

(٣) سر الفصاحة ص ١٦٠ .

(٤) خزانة الادب لابن حجة الحموي ص ١٠٠ .

وخرق تجاوزت مجهوله      بوجناء حرف تشكى الكلا  
فكنت النهار به شمسه .

يقتضى أن يتلوه : وكنت دجا الليل فيه الهلا  
ومنه قول البحترى :  
أحلت دمي من غير جرمٍ وحرمت  
يلاسبب يوم اللقاء كلامي (١)

فليس الذي قد حلت بمحل .

ومن هنا يعرف المتأدب أن تمامه :  
(٢)  
وليس الذي قد حرمت بحرام " .

ومن الذين عاصروا ابن رشيق ابن سنان الخفاجى أحد  
علماء البلاغة المشهود لهم بالتأثير الواضح فى تطور الفكر  
البلاغى والنقدى عند العرب ، وهذا التأثير يتضح من خلال  
رفضه لبعض الألوان التى ذكرها بعض من سبقه ، فهو مثلاً يرفض  
أن يكون حسن الترديد مما له علاقة بالنقد ، وهو " أن يعلق  
الشاعر لفظة فى البيت ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى

آخر كما قال زهير :  
من يلق يوماً على علاته هرماً  
يلق الساحة منه والندى خلقاً (٣)

وهذا عندى لاتعلق له بالنقد ، لأن التأليف فى هذا  
الترديد كسائر التأليف فى الألفاظ التى لاتستحق به حمداً  
(٤)  
ولاذما ولايكسبها حسناً ولاقبها " .

ومن آرائه القيمة كذلك رفضه صنيع بعض العلماء حين

(١) ديوان البحترى ٢٠٠٠/٣ .

(٢) خزائن الأدب ص ٣٧٤ .

(٣) ديوان زهير ص ٧٦ .

(٤) سر الفصاحة لابن سنان ص ٢٨٤-٢٨٥ .

"جعلوا للمعنى الواحد عدة أسماء ، كالترميع الذى يسمونه  
ترميعا وموازنة وتسميطا وتسجيعا وهذا كله يرجع الى شئ  
(١)  
واحد" .

ويبدو أن قضية التزايد الكمي لفنون البديع من لدن  
ابن المعتز الذى ذكر فى كتابه سبعة عشر فنا الى أن بلغت  
سبعة وثلاثين نوعا عن العسكرى فى المناعتين وابن رشيق فى  
العمدة هذه القضية التى أدت الى تشعيب هذه المصطلحات هى  
التي جعلت ابن سنان المتوفى سنة ٤٦٦هـ - يفج من هذه  
الظاهرة .

أما الألوان التى تناولها فالملاحظ عليها أنه مسبوق  
بها ولم يسلم له الا حديثه عما أسماه "الاستدلال بالتعليل"  
والمشاهد من الأمثلة التى ساقها أنه يخلط بين ما عرف فيما  
بعد بحسن التعليل وما عرف من قبل بالمذهب الكلامى . ومن  
الأمثلة التى ساقها :

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطًا لَمْ أَكُنْ  
أَذَمُّ الزَّمَانِ وَأَشْكُو الْخُطُوبَا

وهذا كما هو معروف من أمثلة حسن التعليل ولكنه يسوق  
أمثلة أخرى هى فى عداد المذهب الكلامى جعلها تحت "الاستدلال  
بالتعليل" كقوله تعالى : {لو كان فيهما آلهة الا الله  
(٢)  
لفسدتا} وهو كما نعرف داخل فى المذهب الكلامى .

ولعل وقوف ابن سنان عند مذكره السابقون لأنه يرفض  
الاتجاه الجديد فى انتشار البديع وتسمية النوع بأسماء

(١) نفس المصدر ص ٢٨٥ .

(٢) سورة الانبياء : ٢٢

كثيرة لاتضيف للمعنى القديم جديدا ، وقد وضح هذا فى نقده لهؤلاء المسرفين فى الألقاب .

وهذا النوع أى المذهب الكلامى ، نسبه ابن المعتز الى التكلف وقد تحدث العسكرى فى كتابه "الصناعتين" عن وضوح الدلالة وقرع الحجة ، وهو مايدخل فى هذا الباب كقوله تعالى {و ضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم} (١) فهذه دلالة واضحة على أن الله تعالى قادر على إعادة الخلق مستغنية بنفسها عن الزيادة ، لأن إعادة ليست بأصعب فى العقول من الابتداء ثم قال تعالى : {الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نار فاذا أنتم منه توقدون} فزادها شرحا وقوة لأن من يخرج النار من أجزاء الماء وهما ضدان ليس بممكّر عليه أن يعيد ما أفناه . ثم قال تعالى : {أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم} فقواها أيضا وزاد فى شرحها وبلغ بها غاية الإيضاح والتوكيد لأن إعادة الخلق ليست بأصعب فى العقول من خلق السموات والأرضين ابتداء " . (٢) وقد قال عنه ابن رشيق أنه "مذهب كلامى فلسفى" (٣) ولذلك سماه بعضهم "الاحتجاج النظرى" وسماه الزركشى "الجام الخصب بالحجة" وقال عنه : "هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه ، والعجب من ابن المعتز

(١) سورة يس : ٧٨-٧٩

(٢) سورة يس : ٨٠-٨١

(٣) الصناعتين ص ٢٧ .

(٤) العمدة ٨٠/٢ .

(٥) الفوائد ص ١٣٦ .

فى بديعه حيث أنكر وجود هذا النوع فى القرآن وهو من  
(١)  
أساليبه " .

وقد عده القزوينى ، وشراحه فى المحسنات المعنوية  
وعرفه بقوله : "هو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على  
(٢)  
طريقة أهل الكلام" .

وخالفهم السبكي حيث جعله من علم المعانى لأنه تطبيق  
على مقتضى الحال ولذلك كان من علم المعانى .

والمذهب الكلامى سمي بذلك لأنه "يسلك فيه مذهب أهل  
الكلام فى استدلالهم على إبطال حجج خصومهم . والمراد بأهل  
الكلام علماء أصول الدين وسماوا بذلك لأنهم أول من تكلم فى  
(٣)  
كلام الله تعالى" .

وقال عنه ابن أبى الأصبع : "المذهب الكلامى عبارة عن  
احتجاج المتكلم على المعنى المقمود بحجة عقلية تقطع  
المعاند له فيه ، لأنه مأخوذ من علم الكلام الذى هو عبارة عن  
اثبات أصول الدين بالبراهين العقلية ، وهو الذى نسبت  
تسميته للجاحظ وزعم ابن المعتز أنه لا يوجد فى الكتاب  
(٤)  
العزیز وهو محشو منه" .

ومن أمثلة هذا النوع فى كلام العرب قول النابغة :

- 
- (١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، تحقيق محمد أبو  
الفضل إبراهيم ، ط/الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧٢م ٤٦٨/٣ .  
(٢) الايضاح ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ص ٦٥ ، شروح  
التلخيص ٣٦٨/٤ .  
(٣) عروس الأفراح للسبكي ٣٧٢/٤ .  
(٤) جوهر الكنز لأحمد بن اسماعيل بن الاثير الحلبي ،  
تحقيق محمد زغلول سلام ، دار المعارف بالاسكندرية  
١٩٨٠م ص ٣٠٢ .



حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً  
 وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ  
 لِيَنْ كَانَ مَا بَلَغْتَ عَنِّي خِيَانَةً  
 لِمَبْلِغِكَ الْوَاشِي أَغْشَى وَأَكْذِبُ  
 وَلِيَكُنِّي كُنْتُ إِمْرَأً إِلَى جَانِبٍ  
 مِنْ النَّاسِ فِيهِ مُسْتَزَادٌ وَمَذْهَبٌ  
 مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَامَدَحْتَهُمْ  
 أَحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ  
 كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ  
 فَلَمْ تُهْرَمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَذْنَبُوا (١)

فـالملاحظ أن الاحتجاج في هذه الأبيات شديد التشابك وأن  
 كان كثير الجمل ، فقد وضعت في الكلام وضعاً واحداً ، على  
 الرغم من تعدد علاقاتها حتى أصبح التشابك واضحاً .

ولو تأملت فيها لوجدت أن الجملة الثانية فلم  
 أترك لنفسك ريبة معطوفة على الأولى بالفاء "حلفت" . وهذه  
 الفاء موقعها حسن لأنها أفادت أن هذا الحلف من شأنه ألا يترك  
 لنفسه ريبة وأن اقتلاع الريبة ينبغي أن يكون مترتباً على  
 الحلف بلاريث وقال "فلم أترك لنفسك" ولم يقل : "فلم أترك  
 في نفسك" لأن مراده أنه أذهب عن نفسه مظنة التهمة فإذا  
 بقيت الريبة في النفس فهذا شيء لاحول له فيه . والجملة  
 الثالثة دلت على أنه أفرغ جهده في مرضاته ، وهي من الكلمات  
 السائرة لوجازتها وسداد معناها ، وقد جاء على طريقة  
 التعميم ، فلم يقل : وليس وراء الله إلى مذهب ، وإنما  
 جعلها مطلقة وهذا أبلغ في الاحتجاج .

(١) ديوان النابغة ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ص ٥٥-٥٦

والبيت الثانى كأنه يقول : ان مثل هذا لاينبغى ان يكون الا على سبيل القرض أو النذرة ، وقد اشتدت العبارة على المبلغ فهو واش وهو أغش وأكذب .

وقد انتقل الكلام فى البيت الثالث من المتكلم الى الغائب وذلك فى قوله "كنت امرءا" وفيه اشاعة الاحساس بأنه يحكى قصة رجل آخر ظلمته الوشاية مع براءة ساحته وهو رجل جواب فى الأرض له فيها جانب يروده ومذهب يذهب فيه .

ثم لهم ملوك واخوان موصوفون بهذا "اذا مامدحتهم أحكم فى أموالهم وأقرب" حيث أعطاهم حقهم فى خطابه لعدوهم لأنه وصفهم بالاريجية والسخاء وأنهم يقدررون وفادته ومديحه ، ولايعطونه الجوائز فقط وانما يحكمونه فى أموالهم ويقربونه من نفوسهم ومجالسهم .

وقد كان النابغة بارعا حين جعل مديحه لأعداء النعمان سبيلا الى مرضاته حيث نقل المدح اليه وذلك قوله : "كفعلك (١) فى قوم أراك امطنعتهم " .. " .

فكأنه يقول للنعمان "أنت أجسنت الى قوم فمدحوك ، كما (٢) ان قوما أحسنوا الى فمدحتهم . فكانت حجة بليغة " .

وان المذهب الكلامى وجد فى القرآن الكريم وفى كلام العرب البلغاء ، وقد بين الحموى ذلك ورفض ماذكره ابن المعتز فقال : "وقيل ان ابن المعتز قال : لا أعلم ذلك فى القرآن ، أعنى المذهب الكلامى ، وليس عدم علمه مانعا من

(١) دلالات التراكيب ، د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ط/الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، دار التضامن ، القاهرة ص ٣٦٤-٣٦٥ .

(٢) جوهر الكنز لابن الاثير الحلبي ص ٣٠٤ .

(١)

علم غيره " .

ومما سبق يعتبر ابن المعتز حين عد المذهب الكلامي من  
الأمول محققاً في ذلك .

ومن الأنواع التي كثر الاختلاف حولها فن الاحتراس وقد  
عده ابن المعتز من محاسن الكلام وهو "اعتراض كلام في كلام لم  
يتمم معناه ثم يعود اليه فيتممه" في بيت واحد كقول كثير :

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ - وَأَنْتَ مِنْهُمْ

رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمِطَالَ

واعتبره ابن رشيقي "من تكميم المعنى ومبالغة في اللفظ  
شديدة وقال : وهو الذي فتق للشعراء هذا الفن وتفننوا فيه  
ونوعوه فجاءوا بالاحتراس وغيره فقال طرفة :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرُ مَفْسِدِهَا

صَوَّبَ الرَّبِيعَ وَدِيمَةَ تَهْمَى (٣)

وسماه ابن سنان "التحرز" وقال عنه : "وأما التحرز  
مما يوجب الطعن كأن يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه  
طعن فيأتي بما يتحرز من ذلك الطعن كقول طرفة :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرُ مَفْسِدِهَا

صَوَّبَ الرَّبِيعَ وَدِيمَةَ تَهْمَى

فلو لم يقل - غير مفسدها - لظن به أنه يريد توالي  
المطر عليها وفي ذلك فساد للديار ومحو لرسومها " .

(١) خزائن الأدب لابن حجة الحموي ص ١٦٥ .

(٢) البديع لابن المعتز ص ٥٩ .

(٣) معجم الممطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ،  
مطبوعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ص ٦٣ ،  
ديوانه ص ٥٤ .

(٤) سر الفمحة ص ٣٢٢ .

وقد سماه ابن رشيق التتميم وقال : "وهو التمام أيضا وبعضهم يسمى ضربا منه احتراسا واحتياطا وعرفه بقوله : "ومعنى التتميم أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئا يتم به حسنه الا أورده وأتى به اما مبالغة واما احتياطا واحتراسا من التقصير" .<sup>(١)</sup>

فكان الاحتراس عنده ضربا من التتميم كما هو واضح من كلامه .

ومعظم البلاغيين يسمونه الاحتراس ، وعرفوه بتعريف ابن سنان وان اختلفوا معه فى تسمية المصطلح احترازا .

وعرفه ابن منقذ بقوله : "هو أن يكون على الشاعر طعن فيحترس منه" .<sup>(٢)</sup>

وقال ابن أبى الاصبغ : "هو أن يأتى المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل فيفطن له فيأتى بما يخلصه من ذلك" .<sup>(٣)</sup>

وعرفه ابن قيم الجوزية بقوله : "وهو أن يذكر لفظا ظاهره الدعاء بالخير والنفع وذلك بما فى ضمنه بما يوهم الشر فيذكر فيه كلمة تزيل ذلك الوهم وتدفع ذلك الوهن" .<sup>(٤)</sup>

وأدرجه ملخصو المفتاح وشراحه فى الاطناب وسموه الاطناب بالتكميل أو الاحتراس .

وعرفه القزوينى بقوله : "هو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف

(١) العمدة ٥٠/٢ .

(٢) البديع فى نقد الشعر لأسامة بن منقذ ، تحقيق د. أحمد أحمد بدوى ، د. حامد عبد المجيد ، الجمهورية العربية المتحدة ، الادارة العامة للثقافة ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ، بدون ص ٥٥ .

(٣) تحرير التحبير لابن أبى الاصبغ ص ٢٤٥ .

(٤) الفوائد لابن الجوزية ص ١٥٢ .

(١)

المقصود بما يدفعه " .

فمعظم البلاغيين قد اتفقوا على تسمية هذا النوع احتراسا ، والأمثلة التي ذكروها واحدة ، ماعدا بعضهم ، وقد فرقوا بينه وبين التكميل ، والتتميم .

يقول ابن أبي الأصبع : " ان المعنى قبل التكميل صحيح تام ثم يأتى التكميل بزيادة يكمل بها حسنه اما بفن زائد أو بمعنى ، والتتميم يأتى ليتمم نقص المعنى ونقص الوزن معا ، والاحترااس لاحتمال دخل على المعنى وان كان تاما كاملا ووزن الكلام صحيحا . وقد جعل ابن رشيق الاحترااس نوعا من التتميم وسوى بينهما ، وقد ظهر الفرق بينهما فجعلهما فى باب واحد غير سائغ " .<sup>(٢)</sup>

وقد فرق ابن أبي الأصبع بينه وبين فن المواربة فقال : "والفرق بينه وبين المواربة - بالراء المهملة - أيضا أن الاحترااس يؤتى به وقت العمل عندما يتفطن المتكلم لموضع الدخل ، والمواربة يؤتى بها وقت العمل وبعد صيرورة الكلام والمواربة - بالراء المهملة - تكون بالتمحييف والتحريف واهتمام الكلمة والزيادة والنقص ، والاحترااس بزيادة الجمل المفيدة المتضمنة معنى الانفصال عما يحتمله الكلام من الدخل والمواربة تكون من نفس الكلام وتكون منفصلة عنه ، والاحترااس لا يكون فى نفس الكلام " .<sup>(٣)</sup>

ان معظم البلاغيين عرفوه بتعريف ابن سنان وان اختلف

(١) شروح التلخيص ٢٣١/٣ .

(٢) تحرير التحبير ص ٢٤٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٥ .

فى التسمية معهم حيث سماه احترازا ، وأما الأمثلة التى ذكروها تكاد تكون واحدة . وأعجب احتراس وقع فى القرآن قوله تعالى : {وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الأمر} (١) وفيه يقول ابن ابى الاصبع : "فانه تبارك وتعالى لما نفى عن رسوله وحبيبه - صلى الله عليه وسلم - كونه بالمكان الذى قضى لكليمه صلى الله عليه وسلم الأمر ، عرف المكان بالجانب الغربى ولم يصفه باليمين ، كما قال فى الاخبار عن موسى عليه السلام : {وناديناه من جانب الطور الايمن} أدبا منه سبحانه وتعالى مع نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينفى عنه كونه جانب الايمن ، ووصف سبحانه الجانب ههنا باليمين ، اذ أخبر أنه سبحانه نادى منه كليمه موسى - عليه السلام - تشريفا له ، فالبح هذا الاحتراس اللطيف ، وتدبر خبايا هذا (٢) الكلام الشريف" .

ومن الأنواع التى كثر الخلاف حولها ، فن الاعنات ، وهو من تسمية ابن المعتز وفيه يقول : "ومن اعنات الشاعر نفسه فى القوافى وتكلفه من ذلك ما ليس له قول اسحاق بن ابراهيم الموصلى :

إذا ما كنت يوما مستغفرا  
فقل للعبد يسقى القوم برا  
فحسن البر مكرمة ومجد  
ومدعاة اذا ما خفت قرا (٤)

(١) سورة القصص : ٤٦  
(٢) سورة مريم : ٥٢  
(٣) بديع القرآن ص ٩٤ .  
(٤) البديع لابن المعتز ص ٧٤-٧٥ .

وقال عنه ابن الاثير : "وهو من أشق هذه المناعة مذهباً وأبعدها مسلكاً ، وذلك لأن مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه ، فإن اللازم فى هذا الموضع وحاجرى مجراه انما هو السجع الذى هو تساوى أجزاء الفواصل فى الكلام المنشور فى قوافيها ، وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التى قبل الفاصلة حرفاً واحداً وهو فى الشعر أن تتساوى الحروف التى قبل روى الأبيات الشعرية " (١) .

وعرفه العلوى بقوله : "ويقال له : الاعنات ، ويرد فى المنظوم والمنثور من الكلام ، ومعناه فى لسان علماء البيان أن يلتزم الناظم قبل حرف الروى حرفاً مخصوصاً أو حركة مخصوصة من الحركات قبل حرف الروى أيضاً وهكذا القول فى الردف فانه يجعله على حرف متماثل وهكذا اذا ورد فى النثر يكون على هذه الطريقة . فحاصل الامر فى لزوم ما لا يلزم هو أن يلتزم حرفاً مخصوصاً قبل حرف الروى من المنظوم أو حركة مخصوصة " (٢) .

وقد أطلق عليه بعضهم : "التضييق ، والتشديد ، والالتزام ، ولزوم ما لا يلزم " (٣) .

وقال عنه ابن أبى الاصبع هو : "أن يلتزم الناشر فى نشره والشاعر فى شعره حرفاً أو حرفين فصاعداً قبل حرف الروى على قدر طاقته ، ومقدار قوة عارضته ، مشروطاً بعدم الكلفة " (٤) .

- 
- (١) المثل السائر ٢٦٧/١ .  
 (٢) الطراز للعلوى ٣٩٧/٢-٣٩٨ .  
 (٣) انظر الفوائد ص ٢٣٤ ، خزانة الادب ص ٤٣٤ ، أنوار الربيع ٩٣/٦ ، معترك الاقتران ، السيوطى ٥١/١ .  
 (٤) بديع القرآن ص ٢٢٧ .

وقد جاء هذا النوع فى القرآن الكريم وكلام العرب  
البلغاء ، فمن القرآن الكريم قوله تعالى : { وَالطُّورِ وَكِتَابِ  
مَسْطُورٍ } (١) ، وقوله : { فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ } ، وقوله :  
{ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَاتَتَّقْهُ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَاتَنْهَرْ } (٢) حيث جاءت الطاء  
- فى الآية الأولى - قبل واو الردف لازمة ، والواو ردفا مع  
جواز تبديلها بالياء ، وفى الآية الثانية التزمت النون قبل  
السين ، وفى الآية الأخيرة لزمت الهاء قبل الراء .  
ومن الشعر قول ابن الرومى : حيث التزم حركة الفتح

قبل حرف الروى :  
لَمَّا تَوَذَّنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ مَرُوفِهَا  
يَكُونُ بَكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةَ يُولَدُ  
وإِلَّا فَمَا يُبْكِيهِ مِنْهَا وَإِنَّهُ  
لَأَوْسَعُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ  
إِذَا أَبْصَرَ الدُّنْيَا إِسْتَهْلَ كَأَنَّهُ  
بِمَا سَوْفَ يَلْقَى مِنْ إِذَاهَا يَهْدُدُ

ومنه ما جاء فى الحماسة :  
إِنْ التَّى زَعَمْتَ فَوَادَكَ مَلَهَا  
خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا  
بِيضَاءَ بَاكِرِهَا النُّعِيمِ فَمَاغَهَا  
بِلِبَاقَةِ فَادِقِهَا وَأَجْلَهَا

(١) سورة الطور : ١-٢  
(٢) سورة التكويز : ١٥-١٦  
(٣) سورة الضحى : ١



حَبَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي  
مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَمَهَا

وَإِذَا وَجَدَتْ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ  
شَفَعَ الْفَمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَسَلَهَا (١)

وقد جاء هذا النوع فى القرآن الكريم عفواً من غير قصد وكان كذلك فى أقوال العرب القدماء ، إلا أن المتأخرين أسرفوا فى استعماله وتكلفوه تكلفاً غير مستساغ حتى أن أبا العلاء المعرى نظم ديواناً سماه "اللزوميات" وتقيد فيه بهذا الفن .

وقد عاب الخفاجى فى كتابه من التزم ذلك حيث يقول :  
"وليس يغتفر للشاعر إذا نظم على هذا الفن لأجل ما ألزم نفسه ما لا يلزمه شيء من عيوب القوافى ، لأنه إنما فعل ذلك طوعاً واختياراً من غير الجاء ولا اكراه ، ونحن نريد الكلام الحسن على أسهل الطرق وأقرب السبل وليس بنا حاجة إلى المتكلف المطروح وإن ادعى علينا قائله أن مشقة نالته وتعباً مر به فى نظمه " (٢)

ومن الفنون التى تعددت مصطلحاتها ، فن المشكلة ، وهذا النوع من فنون التعبير التى كانت معروفة ومبتدأولة عند العرب ، وقد وردت له فى القرآن الكريم شواهد عديدة .  
ولعل وقوف الفراء عند قوله تعالى : { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ افْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ

(١) الفوائد ص ٢٣٥ .

(٢) سر الفصاحة ص ١٨٠-١٨١ .

(٣) معانى القرآن لأبى زيد الفراء ، تحقيق أحمد يوسف نجاشى ، محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ١٩٨٠م ١/١١٦-١١٧ .

الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمان قِصاص  
 فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا  
 الله واعلموا أن الله مع المتقين { (١) } هو الذى طرق الباب  
 لدراسة هذا الفن من فنون التعبير ، على الرغم من أنه  
 لم يفتح له مطلقاً ولكن المصطلحات تنوعت له بعد ذلك .  
 فأتى على الفارسي يطلق عليه " المشاكلة " وهو المصطلح  
 الذى اتفق عليه المتأخرون .

(٣)

وابن فارس يدخله فى باب المحاذاة .

والرمانى يسميه "تجانس المزاجية" إلا أن ابن رشيق قال  
 أن الرمانى أطلق المشاكلة على نوع من الجناس وهو  
 "المضارعة" حيث يقول عند حديثه عن تجنيس المضارعة : "وهذا  
 النوع يسميه الرمانى المشاكلة وهى عنده ضروب : هذا أحدها  
 (٤)  
 وهى المشاكلة فى اللفظ خاصة " .

والواقع أننا لم نستطع أن نعرف لاعداد ابن رشيق ولا عند  
 غيره ضروب المشاكلة عند الرمانى ، ولم نتأكد من الممدد  
 الذى اعتمد عليه ابن رشيق فيما نقله عنه ، فليس هو النكت  
 بطبيعة الحال ، ذلك لأن ماذهب اليه الرمانى فى كتابه  
 "النكت فى اعجاز القرآن" هو أن الجناس اذا وقع فى الجزاء

(١) سورة البقرة : ١٩٣-١٩٤

(٢) الحجة فى علل القراءات السبع لأبى على القارى ، تحقيق  
 على النجدى ناصف ، والدكتور عبد الحليم النجار ،  
 والدكتور عبد الفتاح شلبى ، ومراجعة محمد على النجار  
 الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة أولى ١٤٠٣هـ /  
 ١٩٨٣ م ٢٣٦/١ .

(٣) المصاحبى لأبى الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق السيد أحمد  
 مقرر ، مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه ، القاهرة ،  
 بدون تاريخ ص ٣٨٥ .

(٤) العمدة لابن رشيق ٣٢٦/١ .

كان جناس مزاوجة ومثل له بقوله تعالى : {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ  
فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} (١) أى "جاؤوه بما يستحق  
طريق العدل الا أنه استعير للثنائي لفظ الاعتداء لتأكيد  
الدلالة على المساواة فى المقدار فجاء على مجاوزة الكلام  
لحسن البيان" (٢) . وهذا النوع هو بعينه المشاكلة ولاشئ غيرها  
أما ما ذكره ابن رشيق فانه بعيد كل البعد عن مصطلح  
المشاكلة اذ هو ضرب من الجناس اسمه "المضارعة" او الجناس  
المضارع ويشمل الجناس المضارع ، واللاحق والمصحف والناقص ،  
وجناس القلب بحسب اصطلاحات الخطيب ومدرسته .

أما ابو هلال العسكري فانه جعل بعض صور المشاكلة فى  
المقابلة مما يعنى أنها منها واطلق عليها المقابلة فى  
المعنى ، وهى عنده مقابلة الفعل بالفعل (٣) .

أما ابن الاثير فقد عدها أحد ضربى مقابلة الشئ  
بمثله وسماها "مقابلة المفرد بالمفرد" وهى عنده تقابل فى  
اللفظ والمعنى (٤) وسلك طريقه الطوفى (٥) .

أما العلوى فقد أطلق عليها "المماثلة" وهو مصطلح وسع  
المشاكلة وغيرها حيث يقول : "فضابط المماثلة ان كل كلام  
مفتقرا الى الجواب فان جوابه يكون مماثلا كما قرناه . وان  
كان غير جواب جاز وروده من غير مماثلة لفظية" (٦) .

- 
- (١) سورة البقرة : ١٤  
(٢) ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ، للرمانى ، تحقيق محمد  
خلف الله ، د. محمد زغلول سلام ، ط/الثانية ١٣٧٨هـ /  
١٦٩٨م دار المعارف بمصر ص ٩٩ .  
(٣) الصناعتين لابی هلال العسكري ص ٣٤٦ .  
(٤) المثل السائر لابن الاثير ١٥٩/٣ .  
(٥) الاكسير فى علم التفسير ص ٢١٦ .  
(٦) الطراز ٣٨٧/٢ .

ومعنى هذا أن القسم الأول المفتقر الى الجواب من المماثلة هو الذى يدخل فيما نحن فيه وهو المشاكلة . مع العلم أنه كان يستخدم مصطلح المشاكلة أثناء تناوله بعض النصوص خاصة النوع الذى ورد غير جواب ، فمرة يقول : "ولو أراد المشاكلة اللفظية" وأخرى يقول : "ولو أراد المشاكلة" .<sup>(١)</sup>

أما ابن أبى الاصبع فان المشاكلة عنده معنى مختلف كل الاختلاف عن كل ماعرفه العلماء من قبله ومن جاء بعده .<sup>(٢)</sup>

فهذا النوع الذى تنوعت مصطلحاته عرفه السكاكى بقوله "هى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى محبته" . وأضاف الخطيب<sup>(٣)</sup> "تحقيقا أو تقديرا" .<sup>(٤)</sup>

وقلنا أن هذا النوع كثير الورود فى القرآن الكريم فمما جاء فى الكتاب العزيز قوله تعالى : {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَاوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدَهُمْ فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} .<sup>(٥)</sup>

يقول الشوكانى : "وانما جعل سبحانه ماوقع منه استهزاء مع كونه عقوبة ومكافأة مشاكلة ، وقد كانت العرب اذا وضعت لفظا بازاء لفظ جوابا له وجزاء ذكرته بمثل ذلك اللفظ وان كان مخالفا له فى معناه ، وورد ذلك فى القرآن

(١) المرجع السابق ٣٨٧/٢ .

(٢) تحرير التحبير ص ٣٩٤ .

(٣) المفتاح للسكاكى ص ٤٢٤ .

(٤) الايضاح للقزوينى .

(٥) سورة البقرة : ١٣-١٤

كثيرا ومنه : {وجزاء سيئة سيئة مثلها} ، {فمن اعتدى عليكم  
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم} ، {والجزاء لا يكون سيئة  
والقصاص لا يكون اعتداء لانه حق ، ومنه {ومكروا ومكر الله}  
{إنهم يكيّدون كيّداً وإكيد كيّداً} ، {يخادعون الله وهو  
خادعهم} ، {تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك} ... " .

ففى هذه الآيات التى أوردتها الشوكانى فى هذا النص نرى  
المعنى مذكورا بغير لفظه لوقوعه فى مصاحبة ذلك اللفظ  
تحقيقا .

ومن الفنون التى اختلف فى تسميتها البلاغيون ، فن  
الالتفات وهو فن عده معظم المتأخرين فى البديع ، وقد ذكره  
ابن المعتز أول محاسن الكلام التى عدها بعد فنون البديع  
الخمسة التى ذكرها .

وقد عرف الالتفات بقوله : "هو انصراف المتكلم عن  
المخاطبة الى الاخبار وعن الاخبار الى المخاطبة وما يشبه ذلك  
ومن الالتفات الانصراف من معنى يكون فيه الى معنى آخر" .  
(٨)  
وسماه ابن رشيق "الاعتراض" ، وسماه ابن منقذ الانصراف  
وقال فى تعريفه : "هو أن يرجع من الخبر الى الخطاب ومن  
الخطاب الى الخبر" .  
(١٠)

- 
- (١) سورة الشورى : ٤٠  
(٢) سورة البقرة : ١٩٤  
(٣) سورة آل عمران : ٥٤  
(٤) سورة الطارق : ١٦، ١٥  
(٥) سورة النساء : ١٤٢  
(٦) سورة المائدة : ١١٦  
(٧) فتح القدير ٤٤/١ .  
(٨) البديع لابن المعتز ص ٥٨ .  
(٩) العمدة لابن رشيق ٤٥/٢ .  
(١٠) البديع فى نقد الشعر ص ٢٠٠ .

الا أن مصطلح الالتفات بدأ يأخذ معنى محددا ودقيقا بعد أن أخذت البلاغة تستقر ، فقد عرفه الرازى بقوله : " أنه العدول عن الغيبة الى الخطاب أو على العكس" <sup>(١)</sup> .

وأدرجه السكاكى ضمن مباحث علم المعانى وقال : " ان هذا النوع أعنى نقل الكلام عن الحكاية الى الغيبة لا يختص المسند اليه ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها الى الآخر ، ويسمى هذا النقل من أسلوب الى أسلوب أدخل فى القبول عند السامع وأحسن نظرية لنشاطه واملا باستدرار امغائه " <sup>(٢)</sup> . الا أنه ذكره فى البديع وأحال الى كلامه فى الموضوعين السابقين ، ومعنى هذا أن الالتفات عنده معدود من علم المعانى مرة ، ومن علم البديع <sup>(٣)</sup> تارة أخرى .

وقد تكلم ابن الاثير عن الالتفات وأفاض فى الكلام عنه وعده من الصناعة المعنوية وفيه يقول : " وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه من صيغة الى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر الى غائب أو من خطاب غائب الى حاضر أو من فعل ماض الى مستقبل <sup>(٤)</sup> أو من مستقبل الى ماض " . وسماه شجاعة العربية ، وسماه ابن <sup>(٥)</sup> جنى كذلك من قبل .

ومن الانواع التى اختلف حول مصطلحه ، براعة التخلص . ويعنى به حسن الانتقال من غرض الى آخر فى القصيدة ، وهذا

- 
- (١) نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز للرازى ص ١١٢ .  
 (٢) مفتاح العلوم للسكاكى ص ٩٥ .  
 (٣) المصدر السابق ص ١١٨ .  
 (٤) المثل السائر ٤/٢ .  
 (٥) الخصائص لابن جنى ٣٦٠/٢ .

النوع من مبتكرات المحدثين وحسناتهم كما يقول ابن طباطبا  
فى كتابه عيار الشعر : "... ومن الأبيات التى تخلص بها  
قائلوها الى المعانى التى أرادوها من مديح أو هجاء ،  
أو افتخار ، أو غير ذلك ، ولطفوا فى صلة ما بعدها بها  
فصارت غير منقطعة عنها ما أبدعه المحدثون من الشعراء دون  
من تقدمهم ، لأن مذهب الأوائل فى ذلك مذهب واحد وهو قولهم  
عند وصف الفيافى وقطعها بسير الفيافى ، وحكاية ما عانوا فى  
أسفارهم : أنا تجشمتنا ذلك الى فلان ، يعنون الممدوح ، كقول  
الأعشى :

إلى هودة الوهاب أزجى مطيتي  
أرجى عطاء ما ليها من نوالها (١)

ويسمى بعضهم هذا الفن خروجاً وتوسلاً . يقول ابن رشيق :  
"وأولى الشعر بأن يسمى تخلماً ما تخلص فيه الشاعر من معنى  
الى معنى ثم عاد الى الأول وأخذ فى غيره ثم رجع الى ما كان  
فيه" كقول النابغة الذبياني آخر قصيدة اعتذر بها الى

النعمان بن المنذر :  
وكففت منى عبيرة فرددتها  
الى النحر منها مستهل ودائع  
على حين عاتبت المشيب على الصبا  
وقلت: ألما أمح والشيب وازع

(١) عيار الشعر لابن طباطبا العلوى ، تحقيق الدكتور عبد  
العزیز بن ناصر المانع ، دار العلوم للطباعة والنشر  
الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ١٨٤ . والبيت فى الديوان ص ٣١  
هكذا :

الى هودة الوهاب أهديت مدحتي  
أرجى نوالاً فاضلاً من عطائكما  
(٢) العمدة ٣٣٦/١ - ٣٣٧ .

ثم تخلص الى الاعتذار فقال :  
 وَلَكِنْ هَمَّا دُونَ ذَلِكَ شَاغِلٌ  
 مَكَانَ الشَّغَافِ تَبْتَغِيهِ الْأَصَابِعُ  
 وَعِيدُ أَبِي قَابُوسٍ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ  
 أَتَانِي وَدُونِي رَاكِبٌ فَالضَّوْاجِعُ (١)

وسماه ابن منقذ "التلخيص والخروج" وقال : "ويستحب أن يكون الخروج والتشبيب في بيت واحد وهو شيء ابتدعه المحدثون دون المتقدمين" . (٢)

وعرفه ابن الاثير بقوله : "فأما التخلص فهو أن يأخذ المؤلف في معنى من المعاني فبينما هو فيه إذ أخذ معنى آخر وجعل الأول سببا اليه فيكون بعده أخذًا برقاب بعض من غير أن يقطع المؤلف كلامه ويستأنف كلاما آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ أفرانها ، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه وطول باعه واتساع قدرته" . (٣)

(٤) وسماه ابن المعتز حسن الخروج وعده من محاسن الكلام ، وسماه ابن أبي الاصبغ براعة التخلص وعرفه بقوله : "براعة التخلص هو امتزاج آخر ما يقدمه الشاعر على المدح من نسيب أو فخر أو وصف أو أدب أو زهد أو مجون أو غير ذلك بأول البيت من المدح ، وقد يقع ذلك في بيتين متجاورين وقد يقع في بيت واحد . وهذه وإن لم تكن طريقة المتقدمين في غالب اشعارهم فإن المتأخرين قد لهجوا بها وأكثروا منها ، وهي

(١) ديوانه ص ١٦٣ وبيت التخلص هكذا :  
 وقد حال هم دون ذلك داخل مكان الشغاف تبتغيه الأصابع  
 (٢) البديع في نقد الشعر ، لأسامة بن منقذ ص ٢٨٨ .  
 (٣) المثل السائر ١٤٧/٣ .  
 (٤) البديع لابن المعتز ص ٦٠ .



(١)

لعمري من المحاسن " .

(٢)

وسماه بعضهم حسن براعة التخليص .

وهذا الفن ليس مختصا بالنظم دون النثر ، وانما ورد  
 فى النثر أيضا . يقول ابن ابي الاصبع : "وهى فى الكتاب  
 العزيز معرفة الوصل من الفصل ، وقد ذهب بعض المتكلمين  
 انما أحد وجوه الاعجاز . وهو دقيق يكاد يخفى فى غير الشعر  
 الا على الحذاق من ذوى النقد ، وهو مبثوث فى الكتاب العزيز  
 اذا تتبع وجد " . ومن أمثله قوله تعالى : {نحن نقص عليك  
 أحسن القصص} (٤) ، فانه سبحانه وطأ بهذا الفصل الى مايتى  
 بعده من سرد قصة يوسف عليه السلام فتخلص الى ذكر القصة  
 تخلصا بارعا ، وجعل سبب براعة هذا التخلص ما جاء به فى  
 التوطئة من التذكيت ، فان النكتة التى أشارت الى وصف هذه  
 القصة بنهاية الحسن دون سائر قصص الانبياء المذكورة فى  
 القرآن هى قوله "أحسن القصص" فان المخاطب اذا سمع هذا  
 الوصف لهذه القصة تنبه الى تأملها فيجد كل قضية فيها ختمت  
 بخير ، وكل فيق الى سعة ، وكل شدة الى رخاء ، فان يوسف  
 عليه السلام روى فى الحب فنجا ، وبيع بالثمن البخس ، فنزله  
 الذى اشتراه منزلة الولد ، وراودته التى هو فى بيتها عن  
 نفسه ، فعصمه الله ، ودخل السجن فخرج منه ملكا وظفر اخوته  
 به فأظفروه الله بهم ، وأظفروه عليهم ، وسره الله بلقاء  
 أخيه شقيقه فتأنس به ، وفارقه أبوه ، ثم اجتمع به ، وجزع

(١) تحرير التحرير ص ٤٣٣ .

(٢) حسن التوسل للحلبى ص ٢٥٤ .

(٣) بديع القرآن ص ١٦٨ .

(٤) سورة يوسف : ٣

لفراقه ، ثم سر بلقائه ، وعمى عن بكائه عليه فردّه الله بصيرا ، وجاء به من البدو وأجلسه بمصر على سرير الملك ، وغضب أعنى أباه ويوسف على بقية الأولاد ، ثم رضا عنهم ، واستغفر لهم ، وأسجد له أبويه وأخوته تحقيقا لرؤياه من قبل ، فكانت القصة لذلك جديرة بأن توفى بنهاية الحسن دون غيرها من القصص" .<sup>(١)</sup>

فحسن التخلص ، أو براعة التخلص من الفنون التي وجدت في النثر كما وجدت في الشعر وهو من البلاغة بمكان .  
وتبدو قضية التشعيب عند ابن أبي الاصبع واضحة جلية حيث جمع ما قاله المتقدمون وقسمه الى أصول وفروع ، فالأصول عددها ثلاثون نوعا وهي الاستعارة ، والجناس ، والطباق ، ورد الاعجاز على المدور ، والمذهب الكلامي ، الالتفات ، والتمام والاستطراد ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف والهزل الذي يراد به الجد وحسن التضمين والكناية ، والافراط في المفة ، والتشبيه ، وعتاب المرء نفسه ، وحسن الابتداءات ، وصحة الأقسام ، وصحة المقابلات ، وصحة التفسير والتبيين ، واثتلاف اللفظ مع المعنى ، والمساواة والاشارة ، والارداف والتتبع ، وقد عاب على من فرقوا بينهما وخلص من ذلك الى أنهما شيء واحد ، والتمثيل ، واثتلاف اللفظ مع الوزن ، واثتلاف المعنى مع الوزن واثتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت ، والتوشيح والايغال .<sup>(٢)</sup>

(١) بديع القرآن ص ١٦٩-١٧٠ .  
(٢) تحرير التحبير ص ٩٧-٢٣٢ .

ثم تحدث عن الفروع وهى :

الاحتراس ، والمواربة والترديد والتعطف والتفويض والتسهميم والتورية والترشيح ، والاستخدام ، والتغاير والطاعة والعميان ، والتسميط والمماثلة ، والتجزئة والتسجيع ، والترميع ، والتمريح ، وقد جعله على ضربين عروض وبديعى ، فالعروض ما كان التغيير شرطاً فيه والبديعى ما لم يكن ذلك شرطاً فيه ، وهذا الذى سماه بديعياً هو ما عرف فى مصطلح العروضيين بالثقفية فلم يكن بديعياً وإنما هو عروضى .

والتشطير ، والتعليل ، وعرفه بقوله : "هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم عليه قبل ذكره" كقوله تعالى : {ولولا رهطك لرجمناك} فوجود رهطه علة فى سلامته من قومه ، وهو مختلف كل الاختلاف عن حسن التعليل .

والتطريز وعرفه بقوله : "أن يبتدىء المتكلم أو الشاعر بذكر جمل من الذوات غير منفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذى قدره فى تلك الجملة الأولى" . ومن أمثلته قول ابن الرومى :

أَمُورُكُمْ بَنَى خَاقَانَ عِنْدِي  
عَجَابٌ فِى عَجَابٍ فِى عَجَابٍ  
قُرُونٌ فِى رُؤُوسٍ فِى وَجُوهِ  
صَلَابٌ فِى صَلَابٍ فِى صَلَابٍ

- 
- (١) الممدد السابق ص ٣٠٩ .  
(٢) سورة هود : ٩١  
(٣) تحرير التحبير ص ٣١٤ .

والتوشيح "عبارة عن أن يأتى المتكلم أو الشاعر باسم  
مثنى فى حشو العجز ، ثم يأتى يتلوه باسمين مفردين هما عين  
ذلك المثنى يكون الأخير منهما قافية بيته أو سبعة كلامه ،  
(١)  
كأنهما تفسير ذلك" ومن أمثلته قوله صلى الله عليه وسلم :  
(٢)  
"يشيب ابن آدم وتشب فيه خملتان : الحرص ، وطول الأمل" ،

ومنه قول الشاعر :

أَمْسَى وَأَصْبَحَ مِنْ تَذَكُّرِكُمْ وَمِثَالِ  
يَرْتَى لَى الْمَشْفِقَانِ الْإِهْلَ وَالْوَلَدِ  
قَدْ خَدَّ الدَّمْعُ خَدَى مِنْ تَذَكُّرِكُمْ  
وَأَعْتَادَنِى الْمَفْضِيَانِ الْوَجْدَ وَالْكَمْدَ  
وَوَغَابَ عَنْ مَقْلَتِي نَوْمِي لَغَيْبَتِكُمْ  
وَوَخَّانِي الْمُسْعِدَانِ : الْمَبْرَ وَالْجَلْدَ

والعكس والتبديل "وحده أن يأتى الشاعر الى معنى  
(٣)  
لنفسه ، أو لغيره فيعكسه" ومثاله ماعكس الشاعر من المعانى

لغيره قول أبى العتاهية :

وَرَايَاتُ يَحُلُ النُّصْرَ فِيهَا  
تَمَرُ كَأَنَّهَا قَطَعَ السَّحَابَ

فعكسه على بن الجهم فقال يشبه السحابة بالرايات :

فَمَرَّتْ تَفُوقَ الطَّرْفِ حَتَّى كَأَنَّهَا  
جُنُودُ عَبِيدِ اللَّهِ وَلَتْ بَنُودَهَا

- 
- (١) المصدر السابق ص ٣١٦ .  
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة باب ٣٨ ، ٧٢٤/٢ ، ولفظه  
"يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان الحرص على المال  
والحرص على العمر" بنحوه .  
(٣) تحرير التحبير ص ٣١٨ .

والاغراق ، والغلو ، والقسم ومعناه "أن يريد الشاعر الحلف على شيء فيحلف بما يكون مدحا ، ومايكسبه فخرا ، أو ما يكون هجاء لغيره ، أو وعيدا له ، أو جاريا مجرى التغزل والترقق" (١) ، ومن أمثلته قوله تعالى : {قَوْرَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لِحَقِّ مِثْلِ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ} (٢) .

يقول ابن أبي الاصبع : "فانه قسم يوجب الفخر لتضمنه التمدح بأعظم قدرة ، وأكمل عظمة للحامل من ربوبية السماء والأرض ، وتحقيق الوعد بالرزق حيث أخبر - سبحانه - أن الرزق من السماء ، وأنه رب السماء ، فيلزم من ذلك قدرته على الرزق الموعود به دون غيره ، فعلم أن لارازق سواه ، وأنه لا يحرم رزقه من خلقه ، وأما ما حصل من الإيغال إذ قال في الفاصلة - سبحانه - بعد تمام المعنى : {مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ} فمثل هذا الوعد بما هو واقع معلوم ضرورة لا يرتاب منها أحد" (٣) .

(٤)  
والاستدراك والرجوع وجعله نوعان ، نوع يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد ، ونوع لا يتقدمه ذلك ومن أمثلة الأول قول ابن الرومي :

وَإِخْوَانٍ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ  
فَكَانُوا وَلَكِنِ لِلْعَادِي  
وَحَلَّتْهُمْ سَمَامًا مَائِبَاتٍ  
فَكَانُوا وَلَكِنِ فِي فَوَادِي

- 
- (١) تحرير التحبير ص ٣٢٧ .  
(٢) سورة الذاريات : ٢٣ .  
(٣) تحرير التحبير ص ٣٢٩ .  
(٤) المرجع السابق ص ٣٣١ .

وقالوا إِنَّ صَفَتَ مِنَّا قُلُوبٌ  
لَقَدْ مَدَقُوا وَلَكِنْ مِنْ وَدَادِي (١)

وهذا مماثل به الخطيب القزويني في كتابه لأحد نوعي  
القول بالموجب . (٢)

والاستثناء ، ونوعه الى نوعين : لغوي ومناعي "فالفغوى  
اخراج القليل من الكثير" (٣) وقد جاء في كتب النحاة مفعلا .

والمناعي "هو الذي يفيد بعد اخراج القليل من الكثير  
(٤) معنى زائدا يعد من محاسن الكلام" ومن أمثلته قوله تعالى :  
{فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا ابْلِيسَ} (٥) فان في هذا الكلام  
معنى زائدا على مقدار الاستثناء ، وذلك لتعظيم أمر الكبيرة  
التي أتى بها ابليس من كونه خرق اجماع الملائكة " . (٦)

والاشتراك وهو مسبوق به من ابن رشيق وقسمه قسمين لفظيا  
ومعنويا وكل من هذين القسمين معيب ، وغير معيب ، فالمعيب  
المعنوي مثل قول الفرزدق :

وَمَامِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُوكًا  
أَبُو أُمِّهِ حَيَّ أَبُوهُ يَقَارِبُهُ

فلفظة "حي مشتركة بين ضد الميت ولفظة القبيلة ، فلما  
لم يميز بينهما في البيت بقريئة أو ما يخلمه من الاشتراك  
ولا يبينه فيما بعد عد اشتراكا معيبا" . (٧) وأما المعنوي الذي  
ليس بمعيب قول كثير :

- 
- (١) المرجع السابق ص ٣٣١ .  
(٢) الايضاح تحقيق عبد المنعم ٨٨/٦ .  
(٣) التحرير ص ٣٣٣ .  
(٤) المرجع السابق ص ٣٣٤ .  
(٥) سورة الحجر : ٣٠-٣١ .  
(٦) العمدة لابن رشيق ٧٧/٢ .  
(٧) تحرير التحرير ص ٣٣٩ .

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ كُلَّ قَصِيرَةٍ  
إِلَى وَلَمْ يَشْعُرْ بِذَلِكَ الْقَمَائِرُ  
عَذِيتَ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أَرِدْ  
قِمَارَ الْخَطِيئَةِ شَرُّ النِّسَاءِ الْبَحَائِرُ

والتلفيف "وهو أن يقدم المتكلم التعبير عن معنى خطر  
له أو سئل عنه ، فيلف معه معنى آخر بلازم كلمة المعنى الذى  
سئل عنه كقوله تعالى : { وَمَا لَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ، قَالَ هِيَ  
عَمَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ }  
(١) أخرى .

ومنها جمع المختلغة ، والمؤتلفة ، والتوهيم وحده " أن  
يأتى المتكلم بكلمة يوهم مابعداها من الكلام أن المتكلم أراد  
تصحيها ، ومراده على خلاف مايتوهمه السامع فيها " كقول  
(٢)

المتنبى :  
وَإِنَّ الْفِئَامَ الَّتِي حَوْلَهُ  
لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الْأَرْؤُسُ

فلفظة الأرجل أوهمت السامع أن لفظة "الفئام" بالقاف  
لابالقاء ، ومراده بالفئام الجماعات .  
والاطراد ، وحده أن تطرد للشاعر أسماء متتالية يزيد  
الممدوح بها تعريفا ، كقول الأعشى :  
أَقْيَسُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ  
وَأَنْتِ الَّتِي تَرْجُو حِبَاءَكَ وَائِلُ

(١) تحرير التحرير ص ٣٤٣ .  
(٢) المرجع السابق ص ٣٤٩ .

(١) والتكميل ، والمناسبة وجعلها ضربين ، مناسبة فى المعانى ، ومناسبة فى اللفاظ ، ومثل الاولى بأمثلة تنطبق على مراعاة النظير كقوله تعالى : {لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير} وأما اللفظية عنده فهى الاتيان بكلمات متفرقات ، وهى على ضربين : تامة وغير تامة والتفريع وهو نوعان : أحدهما : "أن يبدأ الشاعر بلفظة هى اما اسم واما صفة ثم يكررها فى البيت مضافة الى أسماء وصفات يتفرع من جملتها أنواع من المعانى فى المدح (٤) وغيره " .

ثم نبه على أن هذا النوع لم يسبقه أحد اليه ولالى استخراجيه ، وعلى عدم وضعه فمن مخترعاته لآلوان البديع حيث قال : "فالذى يجب أن يسمى به تفريع الجمع لأن كل بيت ينطوى على فروع من المعانى شتى من المدح تفرعت من أصل واحد" (٥) .

أما النوع الآخر فهو مسبوق به .

والتكرار ، ونفى الشئ بإيجابه ، والأيدياع وحده أن "يعمد الشاعر أو المتكلم الى نصف بيت لغيره . يودعه شعره سواء أكان صدرا أم عجزا ، وأما الناشر فان أتى فى نشره بنصف بيت لغيره سمى أيدياعا ، وان كان لنفسه سمى تفعيلا" (٦) .

والاستعانة ، وهى "أن يستعين الشاعر ببيت لغيره ، فى شعره بعد أن يوطئ له توطئة لائقة به هنا بحيث لايبعد

- 
- |     |                       |
|-----|-----------------------|
| (١) | المرجع السابق ص ٣٥٧ . |
| (٢) | المرجع السابق ص ٣٦٣ . |
| (٣) | المرجع السابق ص ٣٦٧ . |
| (٤) | المرجع السابق ص ٣٧٢ . |
| (٥) | المرجع السابق ص ٣٧٢ . |
| (٦) | المرجع السابق ص ٣٨٠ . |



(١)

مابينه وبين أبياته " .

(٢)

(٣)

والتذييل ، والمشاكلة ، وقد نقل تعريف العلماء لها .

(٤)

والمواربة ، والتهذيب والتأديب وفسره بأنه عبارة عن

ترداد النظر فى الكلام بعد عمله لينقح ، ويتفبه منه لما مر

على الناشر أو الشاعر حين يكون مستغرق الفكر فى العمل ،

ومن ثم إعادة النظر فيه بعد الفراغ منه .

وحسن النسق "وهو أن تأتى الكلمات من النثر والأبيات

من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا لامعيا

(٥)

مستهجنا " .

والانسجام ، وبراعة التخلص ، والحل وهو تعيير الشعر

منشورا ، والعقد وهو ضد الحل والتعليق ، والادماج ،

والاتساع .

والمجاز وقد سلك فيه مسلك ابن الاثير حيث اشتمل على

التشبيه والاستعارة والتمثيل ، والارداف وزاد على ابن الاثير

بالمبالغة والاشارة .

والايجاز ، وسلامة الاقتراع من الاتباع ، وحسن الاتباع ،

وهو "أن يعتمد الشاعر الى معنى قد اخترعه غيره فيحسن

اتباعه فيه بحيث يستحقه بوجه من وجوه الزيادات . اما

باختصار لفظه أو عذوبة قافيته ، أو تتميم لنقصه أو تكميل

(٦)

لتمامه أو تحليلته بحلية من البديع يحسن بمثلها النظم " .

(١) المصدر السابق ص ٣٨٣ .

(٢) ص ٣٨٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٩٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٠١ .

(٥) المصدر السابق ص ٤٢٥ .

(٦) تحرير التعبير ص ٤٧٥ .

وحسن البيان ، والتوليد ، والتذكيت ، وهو قصد المتكلم الى ذكر شيء دون آخر يسد مسده لنكتة فى ذلك بشيء ترجح اختصاصه بالذكر دون غيره ، ومن ذلك قوله تعالى : {وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى} <sup>١</sup> خص الشعري بالذكر دون غيرها من النجوم لأن العرب كان فيهم رجل يعرف بابن أبى كبشة عبد الشعري ودعا الناس الى عبادتها .

ومنها الاتفاق ، والتوليد ، والاغراب والطرافة وهو آخر أبواب المتقدمين . كما ذكر ابن أبى الاصبع .<sup>(٢)</sup>

ومنها الالتزام ، ويسمى لزوم ما يلزم ، وهو الذى سماه ابن المعتز "اعنات المرء نفسه وهذا يعنى أن الالتزام ليس من ابتكار الاجدابی كما يقول بذلك ابن أبى الاصبع .<sup>(٣)</sup>

ومنها تشابه الاطراف قال : "وسماه الاجدابی بالتسبيغ وفسره بأن يعيد لفظ القافية فى البيت الذى يليها والتسبيغ زيادة فى الطول ، ومنه قولهم درع سابغة اذا كانت طويلة الانتيال وهذه اللفظة فى اصطلاح العروضيين ... وعلى هذا لا تكون هذه التسمية لائقة بهذا المسمى فראيت أن أسمى هذا<sup>(٤)</sup> الباب بما سميته به " كقول ليلى الاخيلية :

(١) سورة النجم : ٤٩

(٢) بديع القرآن ص ٤٩ .

(٣) الاجدابی : هو ابراهيم بن اسماعيل بن أحمد بن عبد الله الطرابلسي يعرف بابن الاجدابی نسبة الى أجدابية بلد بين برقة وطرابلس الغرب له أدب وحفظ ولغة وتصانيف ومشاهيرها كفاية المحقق وكتاب الانواء . توفي قبل ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م .

معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دار احياء التراث العربى ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م ١٣/١ - ١٤ ، الاعلام ، خير الدين الزركلى ، دار العلم للملايين بيروت ، ط/٦ ، ١٩٨٤م ٣٢/١ .

(٤) تحرير التحبير ص ٥٢٠ .

إِذَا نَزَلَ الْحَاجُّ أَرْضًا مَرِيضَةً  
 تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَافَهَا  
 شَافَهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا  
 غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ شَقَاها  
 سَقَاها فَرَوَاهَا بِشَرْبِ سَجَالِهِ  
 دِمَاءَ رَجَالٍ يَحْلِبُونَ صَرَاهَا

وقد أطلق الخطيب القزويني تشابه الأطراف على نوع من  
 مراعاة النظرير وفسره بتفسير يغاير تفسير ابن أبي الأصبع  
 قال ، ومن مراعاة النظرير "مايسميه بعضهم تشابه الأطراف وهو  
 أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى نحو "لا تدركه  
 الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير" (١) .

والتوأم ، قال ابن أبي الأصبع ، وسماء الأجدابي  
 التشريع ثم قال : "وهذه التسمية وإن كانت مطابقة لهذا  
 المسمى فهي غير معلومة عند الكافة ، فسميته التوأم" ، ثم  
 قال : "هذا آخر ما جمعته من كتب الناس بعد التنقيح  
 والتحريير ، وتغيير ما حسن فيه التغيير" (٢) .

ثم شرع في بيان الأنواع التي ادعى أنها من ابتكاره .  
 التخيير ، وحده أن يأتي الشاعر بببيت يسوغ أن يقفى  
 بقواف شتى فيتخير منها قافية مرجحة على سائرها بالدليل  
 (٣)  
 كقول الشاعر :

(١) الإيضاح للقزويني ، شرح محمد عبد المنعم خفاجي ٢١/٦ .  
 (٢) تحرير التحبير ص ٥٢٣ .  
 (٣) تحرير التحبير ص ٥٢٤ .  
 (٤) تحرير التحبير ص ٥٢٧ .

إِنَّ الْغَرِيبَ الطَّوِيلَ الذَّيْلَ مَمْتَحَنٌ  
فَكَيْفَ حَالُ غَرِيبٍ مَالِهِ قَوْتُ

فانه يسوغ أن يقول : فكيف حال غريب ماله حال أى ماله مال ... ولكن قوله ماله قوت أبلغ من الجميع وأدل على القافية ، وأمس بذكر الحاجة وأبين للضرورة وأشجى للقلوب . وقد سلم هذا اللون له .

والتدبيح : "وهو أن يذكر الشاعر أو الناثر ألوانا يقصد الكناية بها أو التورية بذكرها عن أشياء من مدح أو وصف أو نسيب أو هجاء أو غير ذلك من الفنون" وهو مسبوق بهذا اللون من ابن سنان حيث سماه "المخالف" وهو نوع من أنواع الطباق ولم يسلم لابن أبى الأصبغ إلا تغيير اسمه من المخالف الى التدبيح .

ومنها التمزيج ، وعرفه أن يمزج المتكلم معانى من البديع بفنون الكلام من حيث الأغراض والمقاصد بعضها من بعض بشرط أن يجمع معانى البديع والفنون فى الجملة أو الجمل من النثر ، والبيت أو البيوت من الشعر .

ومنها الاستقماء "وهو أن يتناول الشاعر معنى فيستقصيه

الى أن لا يترك فيه شيئا كقول ابن الرومى :

وحديثها السحرُ الحلالُ لو أنه

لم يجنِ قتلَ المسلمِ المتحرزِ

- 
- (١) المصدر السابق ص ٥٣٢ .  
(٢) سر الفصاحة ص ٢٧٤ .  
(٣) تحرير التحبير ص ٥٣٦ .  
(٤) تحرير التحبير ص ٥٤٠ .

إِنْ طَالَ لَمْ يَمَلِّ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ  
وَدَّ الْمَحْدَثُ أَنَّهَا لَمْ تَوْجِزْ  
شَرَكَ الْعُقُولَ وَنَزَهَةَ مِثْلَهَا  
لِلْمُطْمِئِنِّ وَعَقْلُهُ الْمُسْتَوْفِزْ<sup>(١)</sup>

ومنها البسط وعرفه بقوله : "أن يأتى المتكلم الى  
المعنى الواحد الذى يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل ،  
فيدل عليه باللفظ الكثير ليضمن اللفظ معانى آخر يزيد بها  
الكلام حسنا" وقد سبقه البلاغيون من قبل فسموه الاطناب  
والتطويل .

ومنها الهجاء فى معرض المدح وهو من الأنواع التى سلمت  
له وهو أن يقصد المتكلم الى هجاء انسان فيأتى بالفاظ  
موجهة ظاهرها المدح وباطنها الهجاء فيوهم أنه يمدحه .<sup>(٢)</sup>  
والعنوان ، وعرفه بقوله : أن يأخذ المتكلم فى غرض له  
من وصف أو فخر أو مدح أو هجاء أو غير ذلك ثم يأتى لقصد  
تكميله بالفاظ تكون عنوانا لآخبار متقدمة ، وقصص سالفة .<sup>(٣)</sup>  
الايضاح . وهو ما عرف باسم التفسير لذا فهو مسبوق اليه  
وليس له فيه من فضل سوى اطلاق اسم الايضاح عليه بدل  
التفسير .<sup>(٤)</sup>

(٥)

ومنها التشكيك ، وهو أن يأتى المتكلم فى كلامه بلفظة  
تشكك المخاطب هل هى حشو أو أصلية لاغنى للكلام عنها كقوله

- 
- (١) تحرير التحرير ص ٥٤٤ .  
(٢) المصدر السابق ص ٥٥٠ .  
(٣) المصدر السابق ص ٥٥٣ .  
(٤) المصدر السابق ص ٥٥٩ .  
(٥) المصدر السابق ص ٥٦٣ .

تعالى : {يا أيها الذين آمنوا إذا تداینتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه} فكلمة بدين تشكك السامع ، فالضعيف النظر يخالها ففلة لا يغنى لفظ تداینتم عنها . والبصير بعلم البيان يعلم أنها أصلية .

والشماتة ، وهى اظهار المسرة بمن نالته محنة ومن أمثلتها التى مثل بها قوله تعالى : {ذق انك أنت العزيز الكريم} (٣)

ومن أمثلة الشماتة المحفة فى القرآن قوله تعالى : {الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين} (٤)

التهكم ، وهو داخل فيما قبله وقد أطلق عليه من قبله اسم الاستعارة التهكمية . (٥)

والتندير ، وعرفه أن يأتى المتكلم بنادرة حلوة أو محنة مستطرفة ، ويقع فى الجد والهزل ، ومن أمثلته قوله تعالى : {فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت} (٦)

هذا الكلام من طريف التندير لمن يتدبره ما يبهرج كل نادرة . (٧)

والاسجال يعد المغالطة ، وهو أن يقدم الشاعر غرضاً من ممدوح فيأتى بالفاظ تقرر بلوغه ذلك الغرض ، وهو من الانواع التى سلمت لابن أبى الاصبع .

- 
- (١) سورة البقرة : ٢٨٢  
 (٢) تحرير التحبير ص ٥٦٧ .  
 (٣) سورة الدخان : ٤٩  
 (٤) سورة يونس : ٩١  
 (٥) تحرير التحبير ص ٥٧١ .  
 (٦) سورة الاحزاب : ١٩  
 (٧) تحرير التحبير ص ٥٧٤ .

(١)

الألفاظ والتعمية ، ويسمى المحاجاة والتعمية أعم  
أسمائه وهو أن يريد المتكلم شيئا فيعبر بعبارات يدل  
ظاهرها على غيره وباطنها عليه ويكون فى النثر والشعر وقد  
سبقه بهذا المصطلح ابن الاثير فى "المثل السائر" .

(٢)

التصرف : وعرفه بقوله هو أن يتصرف الشاعر فى معنى  
فيبرزه فى عدة صور تارة بلفظ الاستعارة وطورا بلفظ التشبيه  
وأحيانا بلفظ الأرداف وهكذا وقد حدده السكاكى قبله فقال هو  
"أعلم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح  
الدلالة عليه" .

ومن الأنواع التى سلمت له النزاهة وهى تختص بقرن  
الهجاء إلا ما ندر .

(٣)

ومن الأنواع التى سلمت له أيضا "التسليم" وهو أن يفرض  
المتكلم فرضا محالا أو منفيًا أو مشروطا بحروف الاقتناع .  
وهذا النوع قريب من المذهب الكلامى الذى عده ابن المعتز من  
الأمول .

والافتنان ، وهو أن يفتن الشاعر فيأتى بفننين متضادين  
من فنون الشعر فى بيت واحد كالنسيب والحماسة وهذا هو  
الادماج بعينه عند ابن رشيق .

(٤)

الايهام ، وحده أن يقول المتكلم كلاما مبهما يحتمل  
معنيين متضادين لا يتميز أحدهما عن الآخر ولا يأتى فى كلامه بما  
يأتى به التمييز فيما بعد ذلك بل يقصد به إيهام الأمر .

- 
- (١) تحرير التحرير ص ٥٧٢ .  
(٢) تحرير التحرير ص ٥٨٢ .  
(٣) تحرير التحرير ص ٥٨٧ .  
(٤) تحرير التحرير ص ٥٩٠ .

ومن أمثلته :  
خَاطِلِيْ عَمْرُو قَبَاءَ      لَيْتَ عَيْنِيْهِ سَوَاءَ

وهذا هو التوجيه عند السكاكى فى كتابه المفتاح .  
(١)  
ومنها القول بالموجب ، وحده أن يخاطب المتكلم مخاطبا  
بكلام يعتمد المخاطب الى كل كلمة مفردة من كلام المتكلم  
فينبىء عليه من لفظة ما يوجب عكس معنى المتكلم ، ومن

أمثلته :  
قَلْتُ ثَقُلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرَارَ      قَالَ ثَقُلْتُ كَاهِلِيْ بِالْأَيَادِي  
قَلْتُ طَوَلْتُ قَالَ لَا بَلْ تَطَاوَلْتُ      وَأَبْرَمْتُ قَلْتُ حَبْلٌ وَدَادِي

المقارنة ، وهو أن يقرن الشاعر الاستعارة بالتشبيه أو  
المبالغة أو غير ذلك من المعانى من كلامه ، وسبق أن وضحنا  
أن التمزيج من مبتكراته فهو مزج لمعان من البديع بفنون  
الكلام ، وهنا مزج الاستعارة بالتشبيه أو المبالغة فهى  
بمعنى واحد فى نظرى ولذا فلامعنى لكثرة الاصطلاحات مادام  
أحدهما يغنى عن الآخر .

(٢)  
ومن الأنواع التى سلمت له فن المناقضة ، وهو تعليق  
الشرط على معنيين ممكن ومستحيل وفن الابداع مسبوق اليه من  
ابن رشيق .

(٤)  
أما عن حسن الخاتمة التى ادعى أنها من ابتكاره فليس

- 
- (١) تحرير التحرير ص ٥٩٩ .  
(٢) المصدر السابق ص ٦٠٣ .  
(٣) المصدر السابق ص ٦٠٧ .  
(٤) المصدر السابق ص ٦١٦ .



الأمر كذلك بل هو مسبق اليها من قدامى المؤلفين حيث سموه  
**حسن الخصال** .

وبعد ، لعل دعوة ابن المعتز البلاغيين أن يزيدوا أو  
يبحثوا عن مواطن الجمال هي التي أدت الى ماأضاف قدامة ،  
والعسكري ، وابن رشيق ، ومن ثم أخذ التزايد الكمي للفنون  
يظهر بشكل آخر غير الذي عهدناه في القرون الأولى حتى أصبح  
البديع فنا كميا ، لم تعد أقوى ذاكرة على مجرد عددها اضافة  
الى التشعيبات التي تتعلق بكل مصطلح بديعي .

ومن ثم نرى الاتجاه حول تأليف البديع بدأ يتزايد حتى  
أصبح "علم البديع الذي تعرف به وجوه تحسين الكلام لاوجه  
لاقتمار الممنفين فيه على أنواع مضمومة ، ولااقتمار أهل  
البديعيات على تلك البديعيات التي أوردوها من نظمهم ، بل  
ماكان له مدخل في التحسين كان من علم البديع ويسميه  
مستخرجه بأى اسم كان ... ثم قال الشوكاني وقد أخبرنا بعض  
علماء الديار القاصية أنها قد انتهت عندهم الى سبعمائة  
نوع "وهكذا يبدأ البديع بملك وينتهى بملك" (١) .

ورحم الله ابن سنان فقد كان ذا نظرات شاقبة جيدة ،  
لو طبقت منذ دعوته اليها لما وصل البديع الى ماوصل اليه  
من اختلاف حول تسمية مصطلحاته وتشعبه بهذا الشكل الذي عليه  
الآن .

ان الباحث يجد ضيقا وعنتا حين يحاول أن يجد علة لهذه  
الاختلافات حول تسمية النوع الواحد من فنون البلاغة باسمين

(١) المصباح البديعي ص ٤٦٥ .

أو أكثر كما رأينا فى التجنيس جناسا وتجانسا ومماثلا  
ومماثلا ، والتورية ايهاا وتوجيها وتخبيلا ، ولزوم مالايلزم  
الزاما والتزاما واعناتا ، وتشديدا وتضييقا ، والتكميل  
احتراسا .

والمطابقة ، طباقا وتضادا وتكافؤا وتطبيقا ، وتجاهل  
العارف ، سوق المعلوم مساق غيره وهكذا وقد يريد بالتوشيح  
فنا آخر غير الذى يريده الآخر ، فهو يختلف عن التعريف  
والمثال ، فالتوشيح عند معظم البلاغيين الارصاد والتسهيم ،  
وعند أسامة بن منقذ "هو أن تريد للشئ فتعبر عنه عبارة  
(١)  
حسنة وان كانت أطول منه " .

وعند ضياء الدين بن الاثير ، هو "أن يبنى الشاعر أبيات  
قميدته على بحرین مختلفين فاذا وقف من البيت على القافية  
الأولى كان شعرا مستقيما من بحر على عروض ، وصار ما يضاف  
الى القافية الأولى للبيت كالوشاح ، وكذلك يجرى فى  
الفقرتين من الكلام المنشور" . وهكذا .

وأخيرا أقول ما قاله ابن سنان حين رفض منيع بعض  
العلماء عندما جعلوا للمعنى الواحد عدة أسماء مختلفة  
كالترصيع الذى يسمونه ترصيعا ، وموازنة ، وتسميطا وتسجيعا  
وهو كله راجع الى شئ واحد . فينبغى أن ينظر هذه النظرة  
حتى يكون البديع كما كان عليه سابقا بلامنازع .

(١) نقد الشعر لأسامة بن منقذ ص ٨٤ .

(٢) المثل السائر ٢٥٧/٣ .

الباب الثانى

أثر البديع القرآنى  
فى بعض التفاسير

الفصل الأول : تفسير أبى السعود

الفصل الثانى : تطبيقات على سور من القرآن الكريم  
سورة الرعد - سورة التكويد

الفصل الأول

منهج أبى السعود فى التفسير  
وتأثره ببديع القرآن الكريم

التعريف بمؤلفه :

هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى ، العمادى  
الحنفى المولود سنة ٨٩٣هـ بقريّة قريبة من القسطنطينية ،  
ونشأ فى بيت عرف أهله بالعلم والفضل ، وقد قالوا عنه تربى  
فى حجر العلم حتى ربى ، وارتفع شدى الفضل الى أن ترعرع  
وحبا . وتوفى - رحمه الله - بمدينة القسطنطينية فى أوائل  
(١)  
جمادى الأولى سنة ٩٨٢هـ .

المنهج الصحيح لتفسير القرآن الكريم :

قبل أن أتناول منهج أبى السعود بالدرس والتحليل  
ينبغى لى أن أبين نقاطا يجب على المفسر أن يطرقها فى  
منهجه فهى قرائن مرشدة ومعالم هادية بمن سلكها الى الوصول  
الى التفسير المقبول ، ومبعدة له عن الوقوع فى الخطأ ومن  
ثم يستطيع أن يقحم نفسه ليكون مفسرا للقرآن الكريم .  
ونقاط هذا المنهج هى :

---

(١) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى ، دار  
الكتب الحديثة ، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م  
٣٤٥/١ - ٣٤٦ .  
وانظر كتاب نشأة التفسير ومنهجه للدكتور بسيونى  
محمود فودة ، مطبعة الأمانة ، مصر ، الطبعة الأولى  
١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ص ١٦٢ .

أولا : تفسير القرآن بالقرآن نفسه ، ذلك لأنه يعد المصدر الأول لتفسير القرآن الكريم ، ولا ينبغي له أن يرجع الى عقل أو منطق قبل الرجوع الى هذا المصدر الكريم .  
ومن المعلوم أن القرآن يفسر بعضه بعضا وماعليه الا أن ينظر فى القرآن نظرة شمولية وفاحصة ، خاصة وهو يجمع الآيات التى ترتبط بالآية التى تفسرها .

ثانيا : تفسير القرآن بالسنة . وذلك اذا لم يجد فى القرآن شيئا يرجع الى المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم فهو المعلم الأول للقرآن الكريم وذلك شريطة أن يتحرى المفسر الدقة فى تجنب الأحاديث الضعيفة والموضوعة فلا يأخذ الا بالأحاديث الصحيحة .

ثالثا : فان لم يجد فى المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجوع الى ما جاء عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم أولى بمعرفة القرائن والأحوال التى نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلها .  
ثم ان معرفة أسباب النزول للمفسر أمر مهم ، فكثيرا ماتعين على فهم المغزى للآيات بل ان كثيرا ما يتوقف معناها على معرفة سبب نزولها .

وأخيرا : تفسير القرآن بالرأى ، وهو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ، ومناهجهم فى القول ، ومعرفته بدقائق اللفاظ ووجوه دلالتها ، واستنتاجه من ذلك من معين الشعر العربى ، ووقوفه على أسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ ثم آيات القرآن الكريم .

وبعد هذه النظرة العامة ، لمعرفة النقاط أو الخطوات  
التي يجب على المفسرين الالتزام بها ، فإننا نقف وقفات  
مثنائية مع أبى السعود وتفسيره لنعرف مدى تطبيقه لتلك  
الخطوات السابقة .

## التفسير بالمأثور

تفسير القرآن بالقرآن :

فى آيات كثيرة كان يحتكم فيها ابو السعود الى النص  
القرآنى فمثلا قوله تعالى فى سورة هود : { أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ  
بِثِيَابِهِمْ ، يَعْلَمَ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ } .<sup>(١)</sup>

يقول : "أى يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن  
شداد أو حين يأوون الى فراشهم ويتدشرون بثيابهم فان ما يقع  
حينئذ حديث النفس عادة ، وقيل الرجل من الكفار يدخل بيته  
ويرخى ستره ويحنى ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله  
مافى قلبى {يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ} أى يغمرون فى قلوبهم  
{وَمَا يُعْلِنُونَ} أى يستوى بالنسبة الى علمه المحيط سرهم  
وعلنهم ، فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه ، وانما قدم السر  
على العلن نعيانا عليهم من أول الأمر ما منعوا وايداننا  
بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين  
على أبلغ وجه ، فكان علمه بما يسرونه أقدم منه بما  
يعلنونه ، ونظيره قوله تعالى : { قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِى صُورِكُمْ  
أَوْ تَبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ }<sup>(٢)</sup> حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على  
عكس ما وقع فى قوله تعالى : { وَإِنْ تَبْدُوا مَا فِى أَنْفُسِكُمْ أَوْ  
تَخَفُوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ }<sup>(٣)</sup> اذ لم يتعلق باشعار أن المحاسبة  
بما يخفونه أولى منها بما يبدونه غرض بل الأمر بالعكس ،  
وأما هنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما

(١) سورة هود : ٥  
(٢) سورة آل عمران : ٢٩  
(٣) سورة البقرة : ٢٨٤

يسرونها أولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية ، كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة (١) والكامنة " .

ومن ذلك قوله تعالى : { إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ } (٢) قال : " أى باشراككم اى اى بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى : { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ } (٣) يعنى أن اشراككم لى بالله سبحانه هو الذى يطمعكم فى نصرتى لكم بأن كان على حق حيث جعلتمونى معبودا وكنت أود ذلك ، وأرغب فيه فالיום كفرت بذلك ولم أحمده ولم أقبله منكم ، بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بينى وبينكم علاقة ، أو كفرت من قبل حين أبليت السجود لأدم بالذى أشركتمونيه وهو الله تعالى كما فى قوله سبحانه { ماسخركن لنا } ، فيكون تعليلا لعدم اصرافه ، فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة والاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة أو الشفاعة وأما جعله تعليلا لعدم اصرافهم اياه فلاوجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل ولأن تعليل عدم اصرافهم بكفره يوهم أنهم بسبيل من ذلك لولا (٤) المانع من جهته " .

(١) تفسير أبى السعود ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، تحقيق عبد القادر عطا ، دار الفكر ، بيروت ، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض ، ط/٢ ، ١٩٨٢م ١٤٠٢هـ - ٩/٣ .

(٢) سورة ابراهيم : ٢٢

(٣) سورة فاطر : ١٤

(٤) تفسير أبى السعود ٢٥٥/٣ .



### تفسير القرآن بالسنة عند أبي السعود :

يعد المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبين الأول للقرآن بنص القرآن ، شريطة أن يتحرى المفسر ، وأن يكون حذرا من الضعيف والموضوع .

وقد وردت أحاديث كثيرة ، شارحة لآيات قرآنية أشكل فهمها على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لبيان نسخ بعض الآيات ، أو لبيان أسباب النزول .

وأبو السعود وان كان أحد المفسرين بالرأى الا أنه تطرق لآيات كثيرة فسرهما بأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم . فعلى سبيل المثال في سورة آل عمران في قوله تعالى { رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا } يقول : "من تمام مقالة الراشدين أي لا تَزِغْ قُلُوبَنَا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا يرتضيه قال صلى الله عليه وسلم : "قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء أقامه على الحق وان شاء أزاعه عنه " (٢) (٣) .

- 
- (١) سورة آل عمران : ٨  
 (٢) مسند الامام أحمد بن حنبل ، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، المكتب الاسلامي ببيروت ١٨٢/٤ ولفظه : "ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع رب العالمين ان شاء أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيغه أزاعه ..."  
 ورواه مسلم كتاب القدر ، باب ١٧ ، ٢٠٤٥/٤ ولفظه "ان قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن ، كقلب واحد ، يصرفه حيث يشاء ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك"  
 انظر صحيح مسلم للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج ، كتاب القدر ، باب ١٧ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث ، ط/٢ بدون تاريخ ٢٠٤٥/٤ .  
 (٣) تفسير أبي السعود ٤٤١/١ .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : {وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ} (١) قال : "وهو كل ما ينبسط على الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل ، وهو يفعل من قطن بالمكان اذا أقام به والاكثر من على أنه الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : "انك تحب القرع قال أجل هي شجرة أخى يونس" (٢) وقيل هي التين وقيل الموز يغطي بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها" (٣).

ومنه قوله تعالى : {وَتَكَلَّمْنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (٤) يقول : "يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائهم فيحلفون ماكانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم ، وفي الحديث : "يقول العبد يوم القيامة انى لأجيز على شاهدا الا من نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت

- 
- (١) سورة الصافات : ١٤٦  
 (٢) مسند الامام أحمد بن حنبل ٢٠٤/٣ ولفظه عن أنس بن مالك قال : "كان القرع من أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو كان القرع يعجب رسول الله ...".  
 وبنحوه فى سنن ابن ماجه ١٠٩٨/٢ ولفظه "كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب القرع" تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة العلمية ، بيروت لبنان .  
 أما بقية الحديث "أجل هي شجرة أخى يونس" لم أقف عليها فى كتب الحديث ولا فى كتب التفسير .  
 (٣) تفسير أبى السعود ٥٥٠/٤ .  
 (٤) سورة ياسين : ٦٤

(١) (٢)  
أناضل "..." .

وقد يستشهد بالحديث لتوضيح النسخ في حكم مدر في  
أوائل الاسلام ثم جاء ما ينقذه من السنة النبوية المطهرة  
كقوله تعالى : { وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ } (٣) "وهما الزانى  
والزانية وقال السدى أريد بهما البكران منهما كما ينبىء  
عنه كون عقوبتهما أخف الحبس المخلد ... الا أنه يبقى  
حكم الزانى المحصن مبهما لاختصاص العقوبة الاولى بالمحصنات  
وعدم ظهور الحاقه بأحد الحكمين دلالة لخفاء الشركة في  
المناط ... { فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَمْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا } ، قال  
"وقد جوز أن يكون الخطاب للشهود والواقعين على هاتهما  
ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى  
الولاة وبالأعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع اليهم قيل  
كانت عقوبة الفريقين المذكورين في أوائل الاسلام ثم نسخ لما  
نوى عن النبى عليه الصلاة والسلام قال : "خذوا عنى قد جعل

(١) صحيح مسلم ٢٨٨٠/٤ كتاب الزهد والرقائق ، ولغظه عن  
أنس بن مالك قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فضحك فقال : هل تدرون مم أضحك ؟ قال : قلنا :  
الله ورسوله أعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربه ،  
يقول : يارب ألم تجرنى من الظلم ؟ قال يقول بلى .  
قال فيقول : فانى لأجيز على نفسى الا شاهدا منى قال  
فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا أو بالكرام  
الكاتبين شهودا قال : فيختم على فيه فيقال لأركانه  
انطقى . قال : فتنطق بأعماله . قال ثم يخلى بينه  
وبين الكلام ، قال : فيقول : بعدا لكن وسحقا فعنكن  
كنت أناضل .

(٢) تفسير أبى السعود ٥١٦/٤ .

(٣) سورة النساء : ١٦ .

(٤) تفسير أبى السعود ٦٦٣/١ .

(١)

الله لمن سبيلا الشيب ترجم والبكر تجلد " .

وقد يكون التفسير بالسنة لبيان سبب النزول كما فى قوله تعالى : {وقالوا ان تتبع الهدى معك فتخطف من ارضنا} قال : "نزلت فى الحرث ابن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث اتى النبى عليه الصلاة والسلام فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب ، وانما نحن اكلة رأى ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم بقوله تعالى : {أو لم نمكن لهم حرما آمنا} (٣) (٤) .

وأما قوله تعالى : {ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين} (٥) "فانها نزلت فى أبى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لاله الا الله كلمة أحاج بها لك عند الله قال له يا بن أخى قد علمت أنك لصادق ولكنى أكره أن يقال فزع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بنى أبيتك غفامة بعدى لقلتها ولاقررت بها عينيك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصحتك ولكنى سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف" (٦) .

(١) صحيح مسلم ١٣١٦/٣ كتاب الحدود ولفظه "عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لمن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم" وفى أخرى البكر تجلد وتنفى ، والثيب يجلد ويرجم " . وهى كذلك بنفس الرواية عن عبادة نفسه فى سنن أبى داود ٥٧١، ٥٧٠/٤ تعليق عزت عبيد الدعاس ، وعادل السيد الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، دار الحديث حلب . وجاء بنحوه فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ، كتاب الحدود باب ٣٢ ، ١٥٧/١٢ دار الفكر بدون ط ، وتاريخ ، والحديث عن عبادة نفسه وفيه البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم .

(٢) ، (٣) سورة القصص : ٥٧

(٤) تفسير أبى السعود ٣١٣/٤ .

(٥) سورة القصص : ٥٦

(٦) تفسير أبى السعود ٣١٢/٤-٣١٣ .

وان كان فى بعض الاحيان يورد سببا ليس محل اجماع من  
المفسرين وهو رأى فيه من الهجنة ما لا يصح أن ينسب الى  
الرسول صلى الله عليه وسلم . فمن ذلك ما جاء فى قوله تعالى  
{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ  
زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ، وَتُخْفَى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ  
وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ } (١) .

وملخص كلام أبى السعود أن الرسول صلى الله عليه وسلم  
جاء الى بيت زيد فلم يجده ورأى زينب فى سترها فأعجبته ،  
فذهب وهو يقول سبحان مقلب القلوب ، فسمعتة زينب فلما جاء  
زيد أخبرته بالذى حدث ، فقال زيد لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم بلغنى يا رسول الله أنك جئت منزلى فهلا دخلت  
يارسول الله لعل زينب أعجبتك فأفارقها ، فقال عليه الصلاة  
والسلام أمسك عليك زوجك واتق الله ، فما استطاع زيد اليها  
سبيلا بعد . (٢)

أقول : لقد أورد الدكتور أبو موسى فى كتابه من أسرار  
التعبير القرآنى ردا جميلا لهذه الفلالة التى ذكرها جل  
المفسرين فيقول : "هذه الفلالة التى ذكرها معظم المفسرين  
ساقطة فى نظرنا ، ذلك لأن مريح مدلول الآية يرفضها ، ذلك لأن  
الشيء الذى يخفيه فى نفسه عليه الصلاة والسلام ليس حب زينب  
ورغبتة فى الزواج منها لما أعجبه حسننها ، بل ان الذى  
أخفاه النبى صلى الله عليه وسلم هو ما الله مبديه والذى

(١) سورة الأحزاب : ٣٧-٣٨

(٢) انظر تفسير أبى السعود ٤/١٩ بتصرف .

أبداه الله هو {فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ، لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً} وهذا يعنى أن طلاق زيد زينب وزواج النبی منها لاستئصال آثار التبني ، ولو كان الذى أخفاه هو رغبته فى الزواج من زينب لكان الذى أبداه الله هو ذلك الهوى والحب أى لاظهر الله هذا الذى خطر فى قلبه وهو اعجابه بزينب ووقوعها فى نفسه وهو مايدل عليه النص الكريم (١) .

وقد وقع أبو السعود فيما وقع فيه العلامة البيضاوى فى تفسيره ، من إيراد الأحاديث موضوعة عقب كل سورة فى فضل هذه السورة ، ولم ينتبه الى ما نقله العلامة القرطبى فى تفسيره حيث يقول :

"الاتفات لما وضعه الواضعون واختلقه المختلقون من الأحاديث الكاذبة والأخبار الباطلة فى فضل سور القرآن ، وغير ذلك من فضائل الأعمال وقد ارتكبتها جماعة كثيرة اختلفت أغراضهم ومقاصدهم فى ارتكابها ، فمن قوم من الزنادقة مثل المغيرة بن سعيد الكوفى ، ومحمد بن سعيد الشامى المملوب فى الزندقة ... ومضوا أحاديث وحدثوا بها ليوقعوا بذلك الشك فى قلوب الناس ، فمما رواه محمد بن سعيد عن أنس بن مالك فى قوله صلى الله عليه وسلم "أنا خاتم الأنبياء لأنبى بعدي إلا ما شاء الله" فزاد هذا الاستثناء لما كان يدعو اليه من الأحاد والزندقة .

(١) من أسرار التعبير القرآنى ، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب للدكتور محمد أبو موسى ، ط/دار الفكر العربى ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ص ٢٢١-٢٢٢ .

ومنهم قوم وضعوا الحديث لهوى يدعون الناس اليه . قال شيخ من شيوخ الخوارج بعد أن تاب أن هذه الأحاديث دين فانظروا ممن تأخذون دينكم ، فانا كنا اذا هويتنا أمرا ميرناه حديثا .

ومنهم جماعة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا ، يدعون الناس الى فضائل الأعمال ، قيل لأبى عصمة : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضل سور القرآن سورة سورة ؟ فقال انى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقاه أبى حنيفة ومغازى محمد بن اسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة .

ومنهم قوم من السؤال والمكدين يقفون فى الأسواق والمساجد فيضعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث بأسانيد صحاح قد حفظوها فيذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد (١) .

وقد ذكر المفسرون أحاديث صحاح فى فضائل سور القرآن الكريم وفى هذا يقول الدكتور محمد أبو شهبة : "ولايتوهمن متوهم أن جميع ما ذكره الزمخشري والبيضاوى وأمثالهما فى الفضائل موضوع ، فان هذا لم يقله أحد من أهل العلم بالحديث ، ولا أصل التحقيق ، فقد ذكرا وغيرهما أحاديث فى غاية الصحة وذلك مثل ما ذكره الزمخشري من قوله صلى الله عليه وسلم "من قرأ الأيتين من آخر سورة البقرة فى ليلته

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ط/الثانية دار احياء التراث العربى ، بيروت ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م ٧٨-٧٩ .

(١)

كفتاه " فقد رواه البخارى ومسلم ... " ثم يقول :

وتفسير الحافظ بن كثير أجل ما يعتمد عليه من أحاديث الفضائل ماصح منها وما لم يصح والصور التى صحت فى فضائلها الأحاديث :

الفتاح ، والزهران ، والأنعام ، والسبع الطوال مجلدة ، والكهف ، ويس ، والدخان ، والملك ، والزلزلة ، والعمر ، والكافرون ، والاخلاص ، والمعوذتان ، وماعداهما لم (٢)  
يمح فيها شيء .

الفقه فى منهجه :

من المعلوم أن أبا السعود حنفى المذهب ، ويلاحظ عليه أنه كان يهتم بذكر رأى امامه فى معظم آيات الأحكام ، فيقول فى قوله تعالى : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزَلُوا } النساء فى المَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ (٣) .

يقول : " تأكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على أن المراد به عدم قربانهم لاعداء القرب منهن وبيان لغايته ، وهو انقطاع الدم عند أبى حنيفة - رحمه الله - فان كان ذلك فى أكثر المدة حل القربان كما انقطع والأ فلا بد من الاغتسال " (٤) .

بل يتعصب أحياناً لرأى امامه فيحتج له بوجه القراءة واللغة والشعر ، فنجده يقف عند قوله تعالى : { وَالْمُطَلَقَاتُ

- 
- (١) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للاستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ٤٣٥ .  
(٢) المصدر السابق ص ٤٣٦ .  
(٣) سورة البقرة : ٢٢٢  
(٤) تفسير أبى السعود ١/ ٣٤٦-٣٤٧ .



يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ } فيقول : (١)

"والمطلقات : أى ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين أن لعدة على غير المدخول بها وأن عدة من لاحتيف لصغر أو كبر أو حمل بالاشهر ووضع الحمل ، وأن عدة الأمة قرءان أو شهران ، يتربصن ، خبر فى معنى الأمر مفيد للتأكيد باشعاره بأن المأمور به مما يجب أن يتلقى بالمسارعة الا الاتيان به فكأنهن امتثلن بالأمر بالتربص فتخبر به موجودا متحققا وبنأؤه على المبتدأ مفيد لزيادة تأكيد بأنفسهن . الباء للتعدية أى يقمعنها ويحملنها على مالاتشتميه بل يشق عليها من التربص .. ثلاثة قرء نصب على الظرفية أو المفعولية ، والقراء جمع قرء والمراد به الحيف بدليل قوله صلى الله عليه وسلم "وعن الملة أيام اقراءك" وقوله : "طلاق (٢) الأمة تطليقتان وعدتها حيفتان" وقوله تعالى : {وَاللّٰى يَخْسَرُ (٣) مِنَ الْمَحِيفِ مَنْ نَسَاكُمْ إِنَّ إِرْتَبْتُمْ فَعَدَّتْكُمْ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ } (٤) .

(١) سورة البقرة : ٢٢٨

(٢) سنن أبى داود ، كتاب الطهارة ٧٥/١ .

(٣) سنن ابن ماجة ، كتاب الطلاق باب ٣٠ ، ٦٧٢/١ ولفظه "طلاق الأمة اثنتان وعدتها حيفتان" .

وجاء بنحوه أيضا فى نفس الصفحة من سنن ابن ماجة قوله طلاق المرأة تطليقتان وقرؤها حيفتان .

(٤) تفسير أبى السعود ٢٢٥/١ .

التفسير بالرأى عند أبى السعود :

وهو المنهج الذى التزمه أبو السعود فى تفسيره ،  
ولذلك لم يقف على لفظ الجلالة فى قوله تعالى : {وما يعلم  
تأويله إلا الله والراسخون فى العلم} (١) بل حاول أن يجعل  
الخلافاً لفظياً على قراءة من يقف على لفظة الجلالة ، قال :  
"والحال أنه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده  
الراسخين فى العلم أى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم  
يتزلزلوا فى مزال الأقدام ، وفى تعليل الاتباع بابتغاء  
تأويله دون نفس تأويله وتجريد التأويل عن الوصف بالصحة أو  
الخفية ائذان بأنهم ليسوا من التأويل فى شيء ... ومن وقف  
على إلا الله فسر المتشابه بما استأثر الله عز وجل وعلا  
بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة " (٢)  
وللعلامة الشنقيطى فى كتابه (أضواء البيان) آراء حول  
الآية الكريمة تدل دلالة قاطعة على أن الواو فى قوله  
والراسخون فى العلم استثنائية وليست عاطفة وأن الوقف  
الصحيح عند قوله تعالى : {وما يعلم تأويله إلا الله} وفى  
هذا يقول :

"وفى الآية اشارات تدل على أن الواو استثنائية لاعاطفة  
قال ابن قدامة فى روضة الناظر مائمه : ولأن فى الآية قرائن  
تدل على أن الله سبحانه منفرد بعلم المتشابه ، وأن الوقف

(١) سورة آل عمران : ٧

(٢) تفسير أبى السعود ٤٤٠/١ .

(٣) محمد الأمين محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد الشنقيطى ولد عام ١٣٠٥هـ بموريتانيا الإسلامية ، وقد تلقى تعليمه على طريقة القدماء من أفراد أسرته ، ثم تولى التدريس بالجامعة الإسلامية ، والمسجد النبوى والرياض ، وتوفى رحمه الله سنة ١٣٩٣هـ بمكة المكرمة .

الصحيح عند قوله تعالى {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} لفظا ومعنى .

أما اللفظ فلأنه لو أراد عطف الراسخين لقال : ويقولون آمنا به بالواو .

وأما المعنى فلأنه ذم مبتغى التأويل ، ولو كان ذلك للراسخين معلوما لكان مبتغيه ممدوحا لامذموما .

ولأن قولهم آمنا به ، تدل على نوع تفويض وتسليم لشيء لم يقفوا على معناه سيما إذا اتبعوه بقولهم . كل من عند ربنا . فذكرهم ربهم هاهنا يعطى الثقة والتسليم لأمره .

ولأن لفظه أما لتفصيل الجمل فذكره لها في الذين في قلوبهم زيغ مع وصفه إياهم باتباع المتشابهة وابتغاء تأويله يدل على قسم آخر يخالفهم في الصفة ، وهم الراسخون ، ولو كانوا يعلمون تأويله لم يخالفوا القسم الأول في ابتغاء التأويل .

ومما يؤيد أن الواو استئنافية لاعاطفة ، دلالة الاستقراء في القرآن أنه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئا وأثبتته لنفسه ، أنه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك كقوله : {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} (١) وقوله : {لَا يَجْلِيهَا لَوْنُهَا إِلَّا هُوَ} (٢) وقوله : {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} (٣) فالمطابق لذلك أن يكون قوله {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} معناه : أنه لا يعلمه إلا هو وحده كما قاله الخطابي وقال : لو كانت الواو في قوله {وَالرَّاسِخُونَ} للنسق لم يكن لقوله

(١) سورة النمل : ٦٥

(٢) سورة الاعراف : ١٨٧

(٣) سورة القصص : ٢٨

(١) {كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} فائدة " .

ومهما يكن فإن الكتاب يعتبر معجما لغويا لمن أراد مواد الكلمات وأصولها ، فقد وقف المؤلف - رحمه الله - أمام كل كلمة وتناولها بالتحليل الدقيق من حيث مادتها واعرابها وأوجه القراءة فيها ، واللغات المشهورة فيها وبيان وجه اعجازها ، ولم يقف عند هذا الحد بل حاول أن يتخطاه الى معرفة مراد الله عز وجل وإيراداته المختلفة كما اهتم اهتماما بالغاً بفواصل القرآن الكريم ومناسبة الآيات لما قبلها وربط بعضها ببعض .

فمن حيث مادتها يقول فى قوله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ} : "وأصل ناس أناس ، كما يشهد له انسان وأناس وأنس ، حذفت همزته تخفيفاً كما قيل لوقه من الوقه وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما " . (٢)

وانظر اليه فى قوله تعالى : {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ} يقول : "وجعل سيبويه نون الشيطان تارة أصلية فوزنه فيعمل على أنه من شطن إذا بعد فائه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم لشيطن ، وأخرى زائدة فوزنه فعلان على أنه من شاط أى هلك أو بطل وقيل معناه هاج واحترق " . (٣)

ويقول فى مادة ملائكة "جمع ملك باعتبار أصله الذى هو ملاك على أن الهمزة مزيدة كالمثائل فى جمع شمال ، وقيل على أنه مقلوب من مائل ، من الملوكة وهى الرسالة أى موضع

(١) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطى ، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ١٤٠٣هـ - ١/٣٣١-٣٣٢ .

(٢) تفسير أبى السعود ٦٩/١ .

(٣) المرجع السابق ٨١/١ .

(١)  
الرسالة " .

وقد يحتكم أبو السعود الى النظم والمنثور فى لغة  
العرب وذلك اما لتأييد معنى يريده كما فى قوله تعالى :  
{مَآءٍ يَّأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارُ} قال : "ومعنى أكلهم النار  
أنهم يأكلون فى الحال ما يستتبع النار ويستلزمها فكأنه عين

النار وأكله أكلها كقوله :  
أَكَلْتُ دَمَا إِنْ لَمْ أَرَعْ بِضْرَةً  
بَعِيدَةً مَهْوًى الْقَرْطِ طَيِّبَةً النَّشْرِ" (٢)

ومن الآيات التى استشهد بها لتأييد المعنى قوله :  
{ضربا باليمين} قال : "فراغ عليهم ضاربا باليمين أى ضربا  
شديدا قويا وذلك أن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما وقوة  
الآلة تقتضى قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما فى  
قوله :

إِذَا مَارَايَةٌ رَفِيعَتْ لِمَجْدٍ  
تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

أى بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لأنه  
يقوى الكلام ويؤكدده " . (٣)

واما لتأييد الاعراب كما فى قوله تعالى : {ليس البر  
أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب} قال : "على أن البر  
خبر ليس مقدما على اسمها كما فى قوله :

سَلَى إِنْ جَهِلَتِ النَّاسَ عَنِّي وَعَنَهُمُ  
فَلَيْسَ سِوَاءَ عَالَمٍ وَجْهٍ

(١) تفسير أبى السعود ١/١٣٩ .

(٢) المصدر السابق ١/٣٠٣ .

(٣) نفس المصدر ٤/٥٤١ .

وقوله :

أَلَيْسَ عَظِيمًا أَنْ تَلَمَّ مَلَمَةً

وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْخُطُوبِ مَقُولٌ

وانما أخر ذلك لما أن المصدر المؤول أعرف من المحلى باللام لأنه يشبه الضمير من حيث أنه لا يوصف ولا يوصف به والأعرف أحق بالاسمية ولأن في الاسم طولاً فلو روى الترتيب المعهود لفات تجاوب النظم الكريم" (١).

وقد يستشهد بالشعر لتأييد القراءة كما في قوله تعالى {كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ} قال : "وقرىء كلا بفتح الكاف والتثنيين على قلب الالف نونا في الوقت قلب ألف الإطلاق في قوله :

أَقْلَى الْيَوْمَ عَاذِلٌ وَالْعِتَابُ

وَقَوْلِي أَنْ أَجِبْتَ لَقَدْ أَصَابَنِي

أو على معنى كل هذا الرأي كلا وقرىء كلا على ضمير فعل يفسره ما بعده أى سيجحدون كلا سيكفرون" (٢).

وأما من حيث اعرابها ، فنستطيع أن نقول في غير مبالغة أنه قد أعرب القرآن كله فلم يترك تركيباً ولا كلمة غريبة ولا قراءة متواترة إلا وبين وجه اعرابها بل وجوه اعرابها المختلفة ، ثم لم يكتف بذلك بل وجه الاعراب ، انظر اليه في قوله تعالى : {وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ} قال : "من نبي تمييز لها لأنها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوباً كما في قوله :

(١) نفس المصدر ٣٠٥/١ .

(٢) نفس المصدر ٦٠٤/٣ .

أَطْرَدَ الْيَأْسَ بِالرَّجَا فَكَأَيِّنْ

أَمِلَا حَمَّ يَسْرَهُ بَعْدَ عُسْرِ

وقوله تعالى : { قَاتِلْ مَعَهُ رَبِّيُونَ } خبر لها على أن الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور فى معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبنى للمفعول مخففة ومشددة وقرئ بضمها وفتحها .. فالظرف متعلق بقاتل أو بمحذوف وقع حالا من فاعله كما فى القراءتين الأخيرتين اذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل أى قتلوا أو قتلوا كائنين معه فى القتال لافى القتل .

وقيل الفعل مسند الى ضمير النبى والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع اليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلاخوف أى كم نبى قاتل كائنا معه فى القتال ربيون كثير ، وأما على القراءتين الأخيرتين فغير ظاهر . لاسيما قراءة التشديد وقد جوزة بعضهم وإيده بأن مدار التوبيخ انخاذهم للارجاف بقتله عليه السلام . أى (١) كم من نبى قتل كائنا معه فى القتال أو فى القتال ربيون " . ويبدو أن نزعتة اللغوية أحيانا قد تغلب عليه حتى أنه ليكاد ينسى نفسه فيخرج عن المعنى الذى وطن نفسه على شرحه فيكاد يخرج موضوعا متكاملا .

انظر اليه فى قوله تعالى : { يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ } (٢) كلما أضاء لهم مشوا فيهم وإذا أظلم عليهم قاموا { يقول : " وإذا أظلم عليهم أى خفى البرق واستتر ، والمظلم وان كان

(١) تفسير أبى السعود ٥٧١/١ .

(٢) سورة البقرة : ٢٠

غيره لكن لما كان الاظلام دائرا على استتارة أسند اليه مجازا تحققا لما أريد من المبالغة في موجبات تخطيهم وقد جوز أن يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ، ومنه ما جاء في قول أبي تمام :

هَمَّا أَظْلَمَا حَالِي شَمْتُ أَجْلِيَا

ظلاميهما عن وجه أمرد أشيبا

ويعنّده قراءة أظلم على البناء للمفعول "قاموا" أي وقفوا في أماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترمدين لحقيقة أخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى القصد أو الالتجاء الى ملجأ يعممهم ، وإيراد كلما مع الإضاءة وإذا مع الاظلام للايذان بأنهم حراس على المشى مترقبون لما يمحده فكلما وجدوا فرصة انتمزوها ولاكذلك الوقوف ، وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطايير اللب ما لا يوصف" .

وأما ما يخص القراءات فقد تعرض لها على طريقة المتنون حيث لخص في معظم الآيات أوجه القراءة المختلفة واستشهد لها بطرق الاعراب النحوية ، ووجه القراءة التوجيه الصحيح ، فاما أن تكون القراءة لتأييد التفسير كما في الآية السابقة {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ} وأما أن تكون دغاغا عن حق الانبياء فيتعصب لها دون غيرها كما في قوله تعالى : {وَكَايْنِ مَنْ نَبَى قَاتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} .

(١) تفسير أبي السعود ٩٦/١ .

(٢) المصدر السابق ٥٧٢/١ .



### علم الكلام فى تفسير أبى السعود :

نلاحظ أن أبى السعود لم يكن مفسرا وشاعرا وأديبا  
ولغويا فحسب ، بل كان فيلسوفا منطقيا جهبذا من جمايذة  
المتكلمين ، فكثيرا ماكان يستخدم الاقيسة المنطقية فى  
تناوله للآيات وتفسيره لها ، انظر وهو يعالج قوله تعالى :  
{إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} <sup>(١)</sup> فيقول : "تعليل لما سبق وتقرير له  
واقع موقع الكبرى من القياس وفى صيغة الفعل وتحلية المدور  
بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبها من  
البراعة مالايمفقه الواصفون كانه قيل انه مبالغ فى الاحاطة  
بمفمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة فى صدورهم  
(٢)

بحيث لاتفارقها أصلا فكيف يخفى عليه مايسرون ومايعلمون " .  
وقد رد على المعتزلة فى قولهم بخلق القرآن فيقول :  
"واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ  
الماضى على وجه الاخبار ، فانه يستدعى المخبر عنه لامحالة ،  
وأجيب بانه من مقتضيات التعلق وحدثه لا يستدعى حدوث الكلام  
(٣)  
كما أن حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعى حدوث العلم " .  
(٤)

- 
- (١) سورة هود : ٥  
(٢) تفسير أبى السعود ١٠/٣ .  
(٣) المعتزلة : فرقة بدأ ظهورها فى العصر الأموى فى صورة  
آراء فردية ثم تبلورت فى صورة مبادئ عامة حتى بلغت  
الذروة فى العصر العباسى ، وأصل هذه الفرقة هو وأصل  
ابن عطاء الملقب بالغزال ، الذى ولد سنة ٨٠هـ وتوفى  
سنة ١٣٨هـ فى عهد هشام بن عبد الملك .  
انظر كتاب نشأة التفسير ومناهجه ، دكتور محمد بسيونى  
فودة ص ، كتاب دراسات فى العقائد الاسلامية ، دكتور  
عرفان عبد الحميد ، ط/أولى مؤسسة الرسالة بيروت ،  
لبنان ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص ١٠٣، ١٠٤ .  
(٤) تفسير أبى السعود ٦٢/١ .

ورد عليهم فى قولهم بايراد الخير والشر بقوله :  
 "والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على مسلكه  
 فكبوا الى شعاب التأويل ، فأجابوا أولا بأنهم لما أصروا  
 على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم الطاقه فتزايد الرين  
 فى قلوبهم فسمى ذلك مددا فى الطغيان فأسند ايلاؤه اليه  
 تعالى .

وثانيا أنه أريد بالمد فى الطغيان ترك القسر والالغاء  
 الى الايمان كما فى قوله تعالى : {ونذرهم فى طغيانهم  
 يعمهون} .

وثالثا : أن المراد به معناه الحقيقى وهو فعل  
 الشيطان لكنه أسند اليه مجازا" .  
 (١)  
 ورد على الكرامية بقوله : "ومدلول الآية الكريمة أن  
 (٢)  
 من أظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمنا ، فلاحجة فيها  
 على الكرامية القائلين بأن التفوه بكلمتى الشهادة فارغ  
 القلب عما يوافقه أو ينافيه مؤمن" .  
 (٣)  
 ويبدو أن المؤلف كان متأثرا بمنهج الفلاسفة ، فقد  
 توسع فى شرح معنى الهدى والضلال رد من خلاله على مذهب

- 
- (١) تفسير أبى السعود ٨٣/١-٨٤ .  
 (٢) الكرامية : تنسب الى عبد الله بن كرام المتوفى سنة  
 ٢٥٥هـ وقد غالى ابن كرام فى اثبات الصفات حتى أدى به  
 الأمر الى التجسيم ، وهم طوائف بلغ عددهم ثلثا عشرة  
 فرقة وأصولها ست : العابدية ، والتونية ، والزريبتية  
 والاسحاقية ، والواحدية ، والهييمية .  
 كتاب الملل والنحل ، تأليف أبى الفتح محمد عبد  
 الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى ، تحقيق عبد  
 العزيز محمد الوكيل ، دار الفكر بدون طبعة وتاريخ  
 ص ١٠٨ .  
 (٣) تفسير أبى السعود ٦٦/١ .

(١) الجبرية ، وفى ذلك يقول : "وأما تخلف الهدى عن الهداية  
فليس لشائبة قَمُور من جهتها بل إنما لفقد سببه الموجب له  
(٢)  
من جهة المهدى بعد تكامل ما يتم من قبل الهادى" .  
وقد استطرد فى شأن توضيح طريق الهداية وتبيين أنها  
"مبارة عن مطلق الدلالة على مامن شأنه الايصال الى البغية  
بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من غير أن يشترط فى مدلولها  
الوصول ولا القبول ، وهذا كله استطراد لتوضيح قوله تعالى  
{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} وقوله : {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَّكُمْ} مما  
(٣)  
اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز" .

- 
- (١) الجبرية : هم أتباع الجعد بن درهم والجهم بن صفوان  
الراس الذى شار على الدولة الأموية فقتله مسلم بن  
أحوذ المازنى والى الأمويين بخراسان ، فالانسان فى  
نظرهم مجبر على أفعاله .  
انظر دراسات فى الفرق والعقائد الاسلامية ، د. عرفان  
عبد الحميد ، وكتاب الفرق بين الفرق للبغدادى ،  
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة  
بيروت ص ١٢٨ .  
(٢) تفسير أبى السعود ٤٧/١ .  
(٣) نفس المصدر ٤٧/١ .

موقفه من الاسرائيليات :

كان نصيبه من الوقوع فيها قليلا جدا بل انه نبه الى فساد كثير منها فمثلا دافع عن يوسف عليه السلام دفاعا طيبا فى قوله تعالى : {وهم بها لولا أن رأى برهان ربه} فقعد قواعد اللغة العربية فى هذا الشأن تطويعا عجيبا بليغا اذ يقول : "وهل هو الا تسجيل باستحالة مدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما وأنه عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه فى محبة همها فى الذكر بطريق المشاكلة للشبهة به كما قيل" .<sup>(١)</sup>

الا انه ذكر رأيين متناقضين فى قصة الذبيح حيث اثبت فى القصة الاولى أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام ونفى أن يكون الذبيح اسحاق والقصة الثانية تناقض الاولى ولم ينبه اليها فيقول ان يوسف ابن مفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحاق ابن خليل الله ابراهيم" .<sup>(٢)</sup>

ودافع عن نوح عليه السلام فيقول : "وما يقال من أنه كان لغير رشده لقوله تعالى {فَخَانَتْهُمَا} فارتكاب عظمى لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء علوات الله تعالى عليهم وسلامه ارفع من أن يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة فى الدين" .<sup>(٣)</sup>

ودافع عن داود عليه السلام فى قوله تعالى : {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُمِّ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ...} الى قوله سبحانه : {فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا}

(١) تفسير أبى السعود ١٢٨/٣ .

(٢) المصدر السابق ٥٤٤/٤ .

(٣) المصدر السابق ١٤٤/٣ .

(١) وأنبأ { يقول : "وأما ما يذكر من أنه عليه الصلاة والسلام دخل ذات يوم محرابه وأغلق بابه وجعل يملأ ويقرأ الزبور ، فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان فى صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطار فامتد اليها فطار فوقعت فى كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقت شعرها فغطى بدنهما وهى امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى أيوب ابن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن أبعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففتح الله على يديه فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل وأتاه خبر قتله ، فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء ، وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بثسما مكروه تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه وأشاعه وتبا لمن اخترعه وأذاعه ولذلك قال على رضى الله عنه : من حدث بحديث داود عليه السلام على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم " .  
(٢)  
(٣) وان كان لم ينهج نهج البيضاوى حين تناول هذه الآية التى دافع فيها عن داود عليه السلام .

وقد يتعرض أحيانا الى مالا بأس به من الاسرائيليات وان كان عدم ذكره أولى كتعرضه مثلا لنسب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .  
(٤)

- 
- (١) سورة ص : ٢١-٢٤  
(٢) تفسير أبى السعود ٥٧١/٤ .  
(٣) مجموعة من التفاسير ، البيضاوى والنسفى والخازن وابن عباس ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، ط/أولى ١٣١٩هـ ص ٢٦٩ .  
(٤) تفسير أبى السعود ٣١/٣ ، ٤٦٧/١ .

## بديع المعنى وبديع اللفظ فى تفسير أبى السعود

---

قبل أن أشير الى الفنون البديعية التى ذكرها أبو السعود فى تفسيره ، أود أن أنوه الى أننى ارتأيت أن أضع كلمة بديع للالوان التى جاءت فى تفسيره بدل كلمة محسن ، ذلك لأن درجات الحسن تتفاوت من كاتب لآخر ، ومن شاعر لشاعر ومن عصر لآخر نظرا لتفاوت القدرات العقلية لدى هؤلاء بخلاف كلام الله فإنه يعلو ولا يعلو عليه ، حيث جاء بديعا فى نظمه ولفظه ولا اختلاف فى مراتب الحسن والنظم بين آياته ، ومن هنا آثرت كلمة بديع بدل محسن لما أشرت اليه سابقا .

أما الأنواع التى ذكرها أبو السعود فى تفسيره ، والتى جعلها المتأخرون من علم البديع فهى :

### (١) الطباق :

---

يقول فى قوله تعالى : {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ} (١) : "بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لاتنال غايته حيث جعل الشئ محلا لضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليبدل على أن هذا الجنس نوع من الحياة عظيم لا يبلغه الوصف ، وذلك لأن العلم به يروغ القاتل عن القتل (٢) فيتسبب الحياة نفسين" .

وقد قال البلاغيون فى تعريف الطباق : "الجمع بين

---

(١) سورة البقرة : ١٧٩

(٢) تفسير أبى السعود ٣١٠/١ .

(١)  
المتضادين أى معنيين متقابلين فى الجملة " ، والمعنى  
بالتضاد والتقابل هنا أن يكون بين المعنيين تنافى فى وجه  
من الوجوه على حد ما سنعرف من صور التقابل الاعتبارى  
والحقيقى . وهو المراد بقولهم فى الجملة اذ ليس المراد  
بهما الجملة التى هى واحدة الجمل ، وإنما المراد أن يكون  
التقابل تقابلا من الناحية الاجمالية وليس من الناحية  
الاصلاحية التى تراد من التقابل والتضاد عند أهل النظر .

وقد تعرض ابن يعقوب الدسوقي الى مناسبة هذا الضرب  
مطابقة أو طباقا وقال ان ذلك راجع الى أن المتكلم حين  
يجمع بين معنيين بينهما قدر من التنافى فى تركيب واحد أو  
فى كلام واحد فكأنه جمعها على حذو واحد على حد ما أشار أبو  
سعيد فيما نقل عن ابن المعتز . (٢)

ويقول فى قوله تعالى : {فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْسِ جُنُفًا أَوْ إِثْمًا  
فَأَمْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَاثِمًا عَلَيْهِ إِنْ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (٣) . يقول :  
"وعد للمملح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من  
جنس مايؤثم " (٤)

وقد يذكر الطباق بمعنى لا يختلف عن معنى اللف يقول فى  
قوله تعالى : {كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ  
خَبِيرٍ} (٥) يقول :

"من لدن حكيم خبير عفة للكتاب وصف بها بعد ما وصف

(١) الايضاح فى علوم البلاغة للقزوينى ، تحقيق عبد المنعم  
خفاجى ص ٧ .

(٢) شروح التلخيص ٢٨٦/٤ .

(٣) سورة البقرة : ١٨٢

(٤) تفسير أبى السعود ٣١٣/١ .

(٥) سورة هود : ٢

باحكام آياته وتفاصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شأنه من حيث الاضافة أو خبر للمبتدأ المذكور أو المحذوف أو صلة للفعلين وفى بنائها للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلالها ودقائقها منكرًا بالتذكير التفخيمى وربطها به لاعلى النهج المعمود فى اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق من الجزالة والدلالة على فخامتها وكونهما على أكمل ما يكون ما لا يكتنه كفهه " .<sup>(١)</sup>

ويقول فى قوله تعالى : {وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ} يقول :<sup>(٢)</sup>

"وتفصيل هذه الآية الكريمة بلا يعلمون أكثر طباقا لذكر السفه الذى هو فن من فنون الجهل ولأن الوقوف على أن المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال" .<sup>(٣)</sup>

ويقول فى قوله تعالى : {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} يقول :<sup>(٤)</sup>

"أى بسبب أنه تعالى من شأنه وسننته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الأشياء المتفاداة وعبر عن ذلك بادخال أحد الملوين فى الآخر بأن يزيد فيه ما ينقص عن الآخر أو بتحصيل أحدهما فى مكان الآخر لكونه أظهر المواد

(١) تفسير أبى السعود ٤/٣ .

(٢) سورة البقرة : ١٣ .

(٣) تفسير أبى السعود ٨٠/١ .

(٤) سورة الحج : ٦١ .



(١)  
وأوضحها " .

وقد قسم البلاغيون الطباق الى قسمين : أحدهما طباق  
الايجاب ، ومنه الأمثلة المتقدمة ، وطباق السلب ، وضابطه  
عند البلاغيين أن تجمع بين فعلى مصدر واحد مثبت والآخر منفي  
أو أمر ونهى كقوله تعالى : {ولكن أكثر الناس لا يعلمون ،  
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا} ، وقوله تعالى : {فلاتخشوا  
الناس واخشون} <sup>(٢)</sup> فوق الطباق بين النهى عن الفعل من جانب  
والأمر به من جانب آخر .

فالمهم أن طرفى الطباق فيه متفقان فى اللفظ والمعنى  
وانما الاختلاف بينهما هو أن أحدهما مثبت والآخر منفي .  
وقد يدخل فى طباق السلب قوله تعالى : {من مضغة مخلقة  
وغير مخلقة} وان كان التعريف لايشمله لأنهم خصوا طباق السلب  
بالأفعال دون الأسماء كما يتضح من تعريفهم ، والمفروض أن  
يكون التعريف شاملا لأنواع المعارف ، وقد رأيت فى حاشية  
الدسوقي مايؤيد هذه النظرة ، وكذلك فعل صاحب الأطول .  
<sup>(٥)</sup>

## (٢) . المقابلة :

يقول فى قوله تعالى : {وادعوا شهداءكم من دون الله  
ان كنتم صادقين} يقول :  
<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) تفسير أبى السعود ٤٠/٤ .  
(٢) سورة الروم : ٦-٧  
(٣) سورة المائدة : ٤٤  
(٤) سورة الحج : ٥  
(٥) انظر البديع من المعانى والألفاظ ، د . عبد العظيم  
المطعنى ص ١٥ .  
(٦) سورة البقرة : ٢٣

"وانما قدر المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان أولياء الله تعالى يقابلون أولياء الأصنام ، كما أن ذكر الله تعالى يقابل ذكر الأصنام والمقمود بهذا الأمر ارخاء العنان والاستدراج الى غاية التبكيت كأنه قيل تركنا الزامكم بشهداء لاميل لهم الى أحد الجانبين كما هو المعتاد واكتفيننا بشهداءكم المعروفين بالذات عنكم ، فانهم أيضا لا يشهدون لكم حذرا من اللائمة وأنفة من الشهادة البيضة (١) بالبطلان" .

وفى المقابلة شيء من التنظيم بين المتقابلات لا يكون فى مطلق الطباق عموما وقد عرفها البلاغيون بقولهم : "هى أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب" فالمقابلة ليست كالطباق بين مفردات فحسب ، وانما يلاحظ فيها ضرب من التنظيم للمعاني المتوافقة ثم يذكر فى محاذاتها ما يقابلها من المعانى .

ويقول فى قوله تعالى : {وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ، أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّٰهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (٣) .

يقول : "... هذا وقد قيل معنى والله يدعو وأولياء الله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم ، وأنت خير بأن الضمير فى المعطوف على الخبر أعنى قوله تعالى {ويبين الله} تعالى فيلزم

(١) تفسير أبى السعود ١١٥/١ .

(٢) الايضاح للقزوينى ١٦/٦ .

(٣) سورة البقرة : ٢٢١

التفكيك ، وقيل معناه أى يدعو بأحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصلة بمن عمل بها اليها ، هذا وان كان مستدعيا لاتحاد مرجع الضمير بين الكائنين فى الجملتين المتعاطفتين الواقعتين خبرا للمبتدأ لكن حينئذ يفوت حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى {أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} (١) .

(٢) ويقول فى قوله تعالى : {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} يقول : "انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه فى مقابلة النص مع ما يشير اليه من عدم الاشتراك فى المناط" (٣) .

ويقول فى قوله تعالى : {أَقِمْنَ رَبِّهُنَّ لِقَاءَ رَبِّهِنَّ فِي الْبَيْتِ الْمَحْرُومِ} (٤) : "بَاءً بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ" يقول :

"والمراد تأكيد نفي الغلول عن النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ماوصف به الآخر ، فقبول رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبؤء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما" (٥) .

ومن المقابلة قوله تعالى : {وَمَنْ يَفْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} (٦) يقول :

"وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالفضلال محل بحسن

(١) تفسير أبى السعود ٣٤٥/١ - ٣٤٦ .

(٢) سورة البقرة : ٢٧٥ .

(٣) تفسير أبى السعود ٤١٢/١ .

(٤) سورة آل عمران : ١٦٢ .

(٥) تفسير أبى السعود ٥٩١/١ .

(٦) سورة النساء : ٨٨ .

(١)

المقابلة بين الشرط والجزاء " .

ومن المقابلة قوله تعالى : {ولا ينفَعُكم نصحي إن أردت

(٢)

أن أنصح لكم} يقول :

"وتقييد عدم نفع النصح بارادته مع أنه مخفق لامحالة

للايذان بأن ذلك النصح منه مفارقة للارادة والاهتمام به

ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ماوقع بازائه من ارادته

تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء

دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة في بيان

غلبة جنابه عز وعلا حيث دل ذلك على أن نصحه المقارن

للاهتمام به لايجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه

(٣)

لاغوائهم " .

ويقول في قوله تعالى : {بل بدأ لهم ماكانوا يخفون من

(٤)

قبل} .

"اضراب عما ينبئ عنه التمني من الوعد بتمديد الآيات

والايمان بها أى ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في

الايمان وسوق الى تحصيله والالتفاف به بل لانه ظهر لهم في

موقفهم ذلك ماكانوا يخفونه في الدنيا من الداهية الدهياء

وظنوا أنهم مواقعوها ... والمراد بها النار التي وقعوا

عليها اذ هي التي سبق الكلام لتحويل أمرها والتعجب من

فضاعة حال الموقوفين عليها وباخفائها وتكذيبهم بها ، فان

التكذيب بالشئ كفر به واخفاء له لامحالة وايشاره على صريح

(١) تفسير أبى السعود ٧٥٢/١ .

(٢) سورة هود : ٣٤

(٣) تفسير أبى السعود ٣٩/٣ .

(٤) سورة الانعام : ٢٨

التكذيب الوارد فى قوله عز وجل {هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ} وقوله تعالى : {هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ} مع كونه أنسب بما قبله من قولهم ولا تكذب بآيات ربنا لمراعاة ما فى مقابلته من البدو هذا هو الذى تستدعيه جزالة النظم الكريم " .<sup>(١)</sup>

ويقول فى قوله تعالى : {لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ} .<sup>(٢)</sup>

"أى المصيرين على الكفر وفى إيرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بأنهم لخلوهم عن آثار الحياة وأحكامها التى هى المعرفة أموات فى الحقيقة " .<sup>(٣)</sup>

ويقول فى قوله تعالى : {وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ} .<sup>(٤)</sup>

"وادخال لا على المتقابلين لتذكير نفى الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد " .<sup>(٥)</sup>

ويقول فى قوله تعالى : {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ} .<sup>(٦)</sup>

"... حين يرونهم أذلاء مغلوبين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التمتع والترفيه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة أى فالיום هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا

(١) تفسير أبى السعود ١٩٢/٢ .  
 (٢) سورة يس : ٧٠ .  
 (٣) تفسير أبى السعود ٥٩٨/٤ .  
 (٤) سورة فاطر : ١٩ .  
 (٥) تفسير أبى السعود ٤٨٠/٤ .  
 (٦) سورة المطففين : ٢٩ .

(١)

يفعلون فى الدنيا " .

تلك نماذج لما ورد لفن المقابلة من أمثلة فى تفسير أبى السعود ، ويكفى أن أشير فى النهاية لكلام الدكتور محمد أبو موسى حول أثر هذا الفن على النفس فيقول : "وهناك أيضا وجه من وجوه تأثيرها فى الكلام يجرى معها دائما مانجده فى جميع هذه المتناقضات وتجاوزها وتغاريها فى العبارة والنفس من توتر وإشارة فالرضامح الكره ، والتوحيد مع الشرك ، والتوحيد مع التفريق وهذه الخصومية تعطى الأسلوب قدرة على الإيقاظ وصيرورة الحس كأنه يكون مستغزا ومشارا حين يحس بما وراء هذه المتناقضات من مراعات وتجاذبات وهو يشب على قيمها المتغايرة المتناقضة " .  
(٢)

(٣) مراعاة النظير ويسمى التناسب :

يقول فى قوله تعالى : { الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان } .  
(٣)

"... والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظى تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوى إذ لايتوهم ذهب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولاالى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له وإخلاء الجملة الأولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف

(١) تفسير أبى السعود ٥٠١/٥ .

(٢) قراءة فى الأدب القديم ، دكتور محمد محمد أبو موسى ، القاهرة دار الفكر العربى ، الطبعة الأولى ١٩٧٨م ص ٢٢٨ .

(٣) سورة الرحمن : ٦

بينهما وبين الثانية لتناسيهما من حيث التقابل لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ، ومن حيث أن كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لأمر الله عز وجل " .<sup>(١)</sup>

والملاحظ أن مراعاة النظير فن يأتي على وجه غير الوجه الذى يجيء عليه الطباق كأن يجمع بين الصور المتقابلة فيحدثنا عن اليمين ليذكر بعدها الشمال ويمضى الى الامام ليعود الى الخلف وينظر الى الليل ليذكر النهار . وهكذا يتراعى بالكلام من جهات متقابلة ، فان مراعاة النظير يبحث عن المعانى المتجانسة وينتقل بينها ، فاذا حدثنا عن السماء لا يثب منها الى الأرض وانما يظل يحدق فيذكر النجوم والقمر والسحاب والرياح والطيور وهكذا يطرح فى أيدينا جملة صالحة مما يدور هناك ، واذا حدثنا عن البحر لا يعبر منه الى البر وانما يقف فيه ليذكر أفلاكه وحيتانه وأمواجه ودره ومدفه وغوامه وهكذا يمتعنا بمزيد من عطائه . ولذلك عرفه البلاغيون بقولهم : "هو أن يجمع فى الكلام بين أمرين<sup>(٢)</sup> أو أمور متناسبة لابلتضاد " .

#### (٤) الاستطراد :

يقول فى قوله تعالى : {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى} .<sup>(٣)</sup>

(١) تفسير أبى السعود ٢٤٣/٥ .  
(٢) الايضاح للقزوينى ١٩/٦ .  
(٣) سورة البقرة : ١٨٩ .

يقول : "... ووجه اتصاله بما قبله أنهم سألوا عن  
 الأمرين أو أنه لما ذكر أنها مواقيت للحج ذكر بقية ما هو من  
 أفعالهم في الحج استطراداً " (١) .

والاستطراد هو "ذكر الشيء في غير محله لمناسبة بأن  
 يخرج المتكلم من الكلام الذى هو مسترسل فيه الى غيره  
 باستدعاء مناسبة ثم يرجع الى ما كان فيه " (٢) .

ويقول في قوله تعالى : {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ} (٣) .  
 "... وكيفية اثر بيان بعض الأحكام المتعلقة بأنفسهن  
 أعنى نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من  
 الأجنبات من حيث النفس ومن حيث المال استطراداً " (٤) .

ويقول في قوله تعالى : {وَقَتَلَهُمُ الْاَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقِّ  
 وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ} بل طبع الله عليها بكفرهم { (٥) .

"... كلام معترض بين المعطوفين جىء به على وجه  
 الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد أى ليس كفرهم وعدم  
 وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر  
 بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم " (٦) .

ويقول في قوله تعالى : {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
 يَقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ} (٧) .

- 
- (١) تفسير أبى السعود ٣٢٠/١ .  
 (٢) البديع فى ضوء أساليب القرآن الكريم ، د. عبد الفتاح  
 لاشين ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط/الثالثة ص ٦٩ .  
 (٣) سورة النساء : ٥ .  
 (٤) تفسير أبى السعود ٦٤٧/١ .  
 (٥) سورة النساء : ١١٥ .  
 (٦) تفسير أبى السعود ٨٠٨/١ .  
 (٧) سورة طه : ١١٤ .



"... كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى اليه عليه السلام الوحي يتبعه عند لفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقن والحفظ فنهى عن ذلك اشر ذكر الانزال بطرق الاستطراد لما أن استقرار اللفاظ فى الأذهان تابع لاستقرار معانيها فيها" .<sup>(١)</sup>

ومن الاستطراد قوله تعالى : {وَأَيُّهَا أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُم فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ، وَخَلَقْنَا لَهُم مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ، وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقَهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ ... } .<sup>(٢)</sup>

يقول : "... وفى تعلق المشيئة اشعار بأنه قد تكامل ما يوجب اهلاكهم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق مشيئته تعالى به أى ان نشأ نغرقهم فى اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل حينئذ كلام جرى به من خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الابل والفلك فكأنها نوع منه أو مع ما يركبون من السفن والزوارق" .<sup>(٣)</sup>

ومن الاستطراد قوله تعالى : {يَا بَنَى آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا} .<sup>(٤)</sup>

يقول الطيبي فى تفسيره عن الآية : "... كما أن قوله تعالى {يَا بَنَى آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا} مستطرد لذكر بدو السوءات ، وقوله واذا فعلوا فاحشة استطراد فى استطراد لآئه حكاية عن فعل قبيح كانوا يفعلونه ويزعمون أنه نسك من المناسك وهو طواغهم بالبيت عراة فشنع عليهم بتسميته

(١) تفسير أبى السعود ٦٦٩/٣ .  
(٢) سورة يس : ٤١-٤٣ .  
(٣) تفسير أبى السعود ٥٠٦/٤ .  
(٤) سورة الأعراف : ٢٦ .

فاحشة . والدليل على كونه مستطردا العود الى حديث الاستطراد الاول بقوله {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} وفائدة تأخيره عنه الامر بالتستر وأكل المباحات يعد تقبيح تلك الفعل ، والتزين بزي المتقين ولذلك صرح بذكر كل مسجد .

ويؤيد قول الامام وان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون الطعام في الموسم الا القليل ويحترزون عن الدسم تعظيما فأنزل الله تعالى : {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا} بيانا لفساد تلك الطريقة وسبيل هذا الاستطراد سبيل قوله تعالى : {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا} سواء بسواء " . (٢)

#### (٥) الف والنشر :

وقد عرفه البلاغيون بقولهم : "هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الاجمال ثم ذكر مالم كل واحد من غير تعيين شقة بآن السامع يرده اليه " . (٣)

وقد ذكر أبو السعود صورا من الف منها ذكر المتعدد على جهة الاجمال ثم ذكر مالم كل على جهة التفصيل شقة بآن السامع سيرده اليه . يقول في قوله تعالى : {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} . أى "قالت اليهود

(١) سورة الاعراف : ٣١

(٢) فتوح الغيب في الكشاف عن قناع الريب ، الطيبي ، تحقيق ودراسة جميل محمد الحسين المحمود ، رسالة دكتوراه ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م جامعة الأزهر اشرف د . المحمد عبد العزيز الحفناوى ، المجلد الثانى ص ٣٤٤-٣٤٥ .

(٣) الايضاح للقزويني ٤٢/٦ .

(٤) سورة البقرة : ١١١

لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل  
الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع  
يرد كلا منهما الى قائله " (١)

ومنه قوله تعالى : { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى  
حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ } (٢)

يقول : "بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة  
اثر بيان مايجمعهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه  
الى الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتأكيد النفي  
لما مر من أن تملب اليهود فى أمثال هذه العظائم اشد  
من النصارى والاشعار بأن رضى كل منهما مباين لرضى الأخرى أى  
لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشأنهم حتى تتبع ملتهم  
ولا النصارى ولو تركتهم حتى تتبع ملتهم فأوجز النظم ثقة  
بظهور المراد " (٣)

ويشير الى ذكر المتعدد على جهة التفصيل والترتيب ،  
فيقول فى قوله تعالى : { لَا تَدْرِكُهُ الْبُصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبُصَارَ }  
وهو اللطيف الخبير : (٤)

"فيدرك مالاتدركه البصار ويجوز أن يكون تعليلا  
للحكمين السابقين على طريقة اللف أى لاتدركه البصار لأنه  
اللطيف وهو يدرك البصار لأنه الخبير فيكون اللطيف مستفادا  
من مقابل لما لايدرك بالحاسة ولاينطبع فيها " (٥)

(١) تفسير أبى السعود ٦٤٧/١ .

(٢) سورة البقرة : ١٢٠ .

(٣) تفسير أبى السعود ٢٤٧/١-٢٤٨ .

(٤) سورة الأنعام : ١٠٣ .

(٥) تفسير أبى السعود ٢٦١/٢ .

وقد أشار الطيبي في تفسيره الى هذه الآية حيث يقول :  
 "ذكر ادراكه الابصار والتلويع الى المحافظة التامة لئلا  
 يسترق المرائى النظر الى الخالق ، وفي ذكر اللطيف الخبير  
 الرمز الى المراقبة الكاملة لجنبات الصدور ، وخفيات  
 الهواجس ليكون المريد واقفا على مواقف الاختبات والخضوع  
 (١)

آخذا أهبة الحذر عن الشرك الخفى" . وهو كلام نفيس جدا .  
 ويقول في قوله تعالى : {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ  
 نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ} (٢) .

"... انها من باب اللف التقديرى أى لاينفع نفسا  
 ايمانها ولاكسبها فى الايمان لم تكن آمنّت من قبل أو كسبت  
 (٣)  
 فيه " .

ويقول في قوله تعالى : {وَمِنْ آيَاتِهِ مَفَامَكُمْ بِاللَّيْلِ  
 وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ} (٤) .

يقول : "فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع فى  
 الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول فى الاول والثانى فى  
 الثانى أو منامكم بالليل وابتغائكم بالنهار كما هوالمعتاد  
 والموافق لسائر الآيات الواردة فى ذلك خلا أنه فصل بين  
 القرينين الاخيرين لانهما زمان والزمان مع ماوقع فيه كشيء  
 (٥)  
 واخذ مع اعانة اللف على اليجاد " .

وهذا يكون من ذكر المتعدد وتوابعه على غير ترتيب ،  
 وقد أشار الى ترتيبه أبو السعود كما وضع لنا .

(١) تفسير الطيبي ١٩٥/١ .  
 (٢) سورة الانعام : ١٥٨  
 (٣) تفسير أبى السعود ٣١٢/٢ .  
 (٤) سورة الروم : ٢٣  
 (٥) تفسير أبى السعود ٣٥٨/٤ .

## (٦) الكلام الموجه :

يذكر أبو السعود احتمال الكلام لوجهين مختلفين ويسميه القول ذا الوجهين حيث يقول في قوله تعالى : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ} (١) :

"... قال الإمام الواحدى : انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لاعدد المؤمنين فأخبر الله تعالى نبيه عليه السلام والمؤمنين بذلك عنهم ، وأنت خبير بأن ابراز ماصدر عن أحد المتجاورين فى الخلاء فى معرض ماجرى بينهما فى مقام المحاورة مما لاعهد به فى الكلام ، فضلا عما هو فى منسوب الاعجاز فالحق الذى لامحيد عنه أن قولهم هذا وإن صدر عنهم بمحض من الناصحين لا يقتضى كونهم مجاهرين ، فانه ضرب من الكفر أنيق وفن فى النفاق ثريق مموغ على شاكلة قولهم "واسمع غير مسمع" فكما أنه كلام ذو وجهين مثلهم محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما نرضاه ونحوه ، وللخير بأن يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير ، وهم مضمرون فى أنفسهم المعنى الأول ، مطمئنون به ولذلك نهوا عنه .

كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما مر فى تفسيره ، وللخير بأن يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق ، على معنى أنؤمن كما آمن السفهاء

(١)

والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم " .

ويقول فى قوله تعالى : { واسمع غير مسمع } .

"عطف على سمعنا وعمينا داخل تحت القول ... وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما أصلا بصمم أو موت أى مدعوا عليك بلاسمعت أو غير مسمع كلاما ترضاه " .

وقوله "وراعنا" وهى كلمة ذات وجهين محتملة للخير يحملها على معنى أرقبنا وانظرنا نكلمك وللشر يحملها على السب بالرعونة أى الحمق أو باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها " .  
(٢)

#### (٧) المشكلة :

يكثر هذا الفن فى تفسير أبى السعود وكثيرا ما يشير اليه . وان دل هذا على شئ قائما يدل على علو هذا النوع فى البلاغة وجمال فى العبارة اذ الناظر فيه لأول وهلة يتوهم ان المعنى الآخر هو الاول بعينه ، فاذا أمعن النظر وأطال التدبر علم أنه غيره ، وهذا النوع فيه مواته وذكاء ، ويعتمد على البديهة والفطنة والطرفة اللماحة ، ولذلك كثر فى كلام الاعراب .

وقد عرف البلاغيون المشكلة بقولهم : "هى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى محبته تحقيقا أو تقديرا" .  
(٣)

ومن الشواهد التى ساقها أبو السعود لهذا الفن فى تفسيره قوله تعالى : { الله يستهزئ بهم } اذ يقول :  
(٤)

(١) تفسير أبى السعود ٧٨/١-٧٩ .

(٢) تفسير أبى السعود ٧٠٦/١-٧٠٧ .

(٣) مواهب المفتاح للمغربى ضمن شروح التلخيص ٣٠٩/٤ .

(٤) سورة البقرة : ١٥

"سمى جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة في اللفظ أو المقارنة في الوجود . أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم ، فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء أو يعاملهم معاملة المستهزئ بهم " .<sup>(١)</sup>

ويقول في قوله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّابْعُوضَةً} .<sup>(٢)</sup>

"فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحي من ضربه .. ويجوز أن يكون وروده على طريقة المشاكلة فانهم كما يقولون أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالأشياء المحقرة كما في قول من قال :

من مبلغ أفناء يعرب كلها  
أنى بنيت الجار قبل المنزل"<sup>(٣)</sup>

ومن أمثلة المشاكلة عند أبي السعود قوله تعالى : {مُبْغَةً لِلَّهِ} حيث يقول :

"وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه (المعمودية) ويزعمون أنه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم ، وأضافتها الى الله عز وجل ... للتشريف والايذان بأنها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحميلها " .<sup>(٤)</sup>

(١) تفسير أبي السعود ٨٢/١ .  
(٢) سورة البقرة : ٢٦ .  
(٣) تفسير أبي السعود ٨٢/١ .  
(٤) المصدر السابق ١٢٥/١ .

وعن قوله تعالى : {وَمَكُرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ} (١) .

يقول : "والمكر من حيث أنه في الأمل حيلة يجلب بها غيره إلى مفرة لا يمكن اسناده إليه سبحانه إلا بطريق (٢) المشاكلة" .

ويقول في قوله تعالى : {قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ} (٣) .

"واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا أما لأن سخريتهم منه عليه الصلاة والسلام سخرية من المؤمنين أيضا أو لأنهم كانوا يسخرون منهم أيضا إلا أنه اكتفى بذكر سخريتهم منه عليه الصلاة والسلام" (٤) .

ويقول في قوله تعالى : {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا} (٥) .

"... وأنه عبر بالهم لمجرد وقوعه في محبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لاشبهة كما قيل" (٦) .

ومن المشاكلة قوله تعالى : {ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ...} (٧) .

يقول : "أى لم يزد في الاقتصاص وإنما سمى الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية للمشاكلة" (٨) .

- 
- |     |                          |
|-----|--------------------------|
| (١) | سورة آل عمران : ٥٤       |
| (٢) | تفسير أبي السعود ٤٩١/١ . |
| (٣) | سورة هود : ٣٨            |
| (٤) | تفسير أبي السعود ٤٢/٣ .  |
| (٥) | سورة يوسف : ٢٤           |
| (٦) | تفسير أبي السعود ٢٨/٣ .  |
| (٧) | سورة الحج : ٦٠           |
| (٨) | تفسير أبي السعود ١٢٨/٣ . |



(٨) تجاهل العارف :

يقول في قوله تعالى : {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (١) . يقول :

"أى نبذوه وراء ظهورهم مشبهين بمن لا يعلمه فان أريد بهم أخبارهم فالمعنى كأنهم لا يعلمونه على وجه الايقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام ففيه ايذان بأن علمهم رصين لكنهم يتجاهلون أو كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله أو لا يعلمونه أصلا كما اذا أريد بهم الكل" (٢) .  
ولورود هذا الفن في القرآن الكريم سماه السكاكى سوق المعلوم مساق غيره والصواب مافعل السكاكى وان لم يغير من جوهر المعنى شيئا .

(٩) المناسبة :

يقول في قوله تعالى : {وَلِئِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ وَلِئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ، وَلِئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَّسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ} (٣) . يقول :

"ووجه تعلق الآيات الثلاث بما قبلهن من حيث أن اذاقة النعماء وماس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل

(١) سورة البقرة : ١٠١

(٢) تفسير أبى السعود ٢٢٣/١ .

(٣) سورة هود : ٨

من الاجمال الواقع فى قوله تعالى : { لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } والمعنى أن كلا من اذاقة النعماء ونزعها مع كونها ابتلاء للإنسان أيشكر أم يكفر لايهتدى الى سلك الصواب بل يحيد فى كلتا الحالتين عنه الى مهاوى الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين أو من حيث أن انكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم " (١)

ويشير الى المناسبة فى قوله تعالى : { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ } فيقول : (٢)

"مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية قال ابن عباس رضى الله عنهما والمراد بالناس المشركون وهو الذى يفمح عنه ما بعده والمراد باقترابه حسابهم اقترابه فى ضمن اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لالى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الأحوال والأحوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم به " (٣)

والمناسبة كما يقول السيوطى هى : "المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها فى الآيات ونحوها الى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلى أو حسى أو خيالى أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهنى ، كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول ، والنظيرين والمضدين ، ونحوه " (٤)

(١) تفسير أبى السعود ١٦/٣ .

(٢) سورة الانبياء : ١

(٣) تفسير أبى السعود ٦٨٢/٣ .

(٤) الانتقان للسيوطى ، تحقيق محمد أبو الفل ابراهيم مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ٣٢٣/٣ .

والمناسبة من أروع الصور البلاغية التى جاءت فى القرآن الكريم وعلمها يعتبر سرا من أسرار بلاغته لأدائه الى تحقيق معانيه لمقتضى الحال . وقد عرفوها أيضا بقولهم :  
 (١)  
 "علم تعرف منه علل الترتيب بين أجزائه بعضها اثر بعض" .  
 وأبو السعود يعد من المفسرين الذين أبانوا حقيقة هذا الفن أو العلم الشريف وأوضحوا منزلته ، فهو علم دقيق المسلك لايهتدى اليه الا من أوتى ناصية البيان وقليل ما هم .  
 يقول فى قوله تعالى : {وَلَيُمْكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ} (٢) :

"... والتعبير عن ذلك بالتمكين الذى هو جعل الشئ مكانا لآخر يقال له مكن له فى الأرض أى جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى : {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ} وكلمة فى لايذان بأن ما جعل مقرا له قطعة منها لأكملها للدلالة على كمال ثبات الدين ورمانة أحكامه وسلامته من التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالأرض فى الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف فى الأرض ، وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمصارعة الى بيان كون الموعد من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم فى قبوله عند وروده " (٣)

ويقول فى قوله تعالى : {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُشَّةَ فُورِهِ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضَرْمِهِ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٤) .

(١) الإعجاز البيانى فى ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره ، د. محمد أحمد يوسف القاسم ، دار المعارف الدولية القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ص ٣١ .  
 (٢) سورة النور : ٥٥  
 (٣) تفسير أبى السعود ١٤١/٤ .  
 (٤) سورة يونس : ١٢

يقول : "... ووجه تعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث أن فى كل منهما املاء للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر فى الاولى ومن الضر المقرر فى (١) الأخرى " .

(١٠) التجريد :

يقول فى قوله تعالى : {ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يحدون} (٢) .  
"لهم فيها دار الخلد ، جملة مستقلة مقررة لما قبلها أو النار مبتدأ هى خبره . أى هى بعينها دار اقامتهم على أن فى التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله (٣)  
مبالغة لكماله فيها " .

ومنه قوله تعالى : {فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان} (٤) .

يقول : "... كوردة حمراء وقرىء وردة بالرفع على أن كان تامة أى حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال :

ولئن بقيت لأرحلن بغزوة

(٥)  
تحوى الغنائم أو يموت كريم"

وتقدير التجريد أو يموت منى كريم ، وفيه نظر حيث أن

- 
- (١) تفسير أبى السعود ٦٣٨/٢ .  
(٢) سورة فملت : ٢٨ .  
(٣) تفسير أبى السعود ٤٤/٥ .  
(٤) سورة الرحمن : ٣٧ .  
(٥) تفسير أبى السعود ٢٤٩/٥ .

(١)  
حصول التجريد واقع بدون هذا التقدير .

(١١) المذهب الكلامي :

ويسميه أبو السعود "الطريق البرهاني" ويعرفه  
البلاغيون بقولهم :

"هو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل  
(٢)  
الكلام" .

وهذا الفن يكثر عند أبي السعود فكثيرا ما يرد ذكره  
وهو يتكلم عن آيات القرآن الكريم وهذا يدل على أصالته في  
بلاغة الكلام .

يقول أبو السعود في قوله تعالى : {لقد كفر الذين  
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله  
شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض  
(٣)  
جميعا} .

"ومن حق من يكون لها ألا يتعلق به ولا بشأن من شأنه ،  
بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه ، فضلا عن  
أن يمجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه ، فلما كان  
عجزه بينا لاريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه ،  
والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا ، لا بطريق السخط  
والغضب ، واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه  
الالوهية في مقام الاضمار لزيادة التقرير ، والتنميص على  
أنه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى

---

(١) انظر الايفاح ٥٦/٦ .

(٢) الايفاح للقزويني ٦٥/٦ .

(٣) سورة المائدة : ١٧

ونفى المالكية المذكورة بالاستفهام الانكارى عن كل أحد مع تحقق الالتزام والتبكيث بنفيها عن المسيح فقط ، بأن يقال فهل يملك شيئاً من الله ان أراد ... الخ لتحقيق الحق بنفى الألوهية عن كل ماعداه سبحانه ، وإثبات المطلوب فى ضمنه بالطريق البرهانى فان انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الألوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح (١)  
على أبلغ وجه وأكدته " .

ويقول فى قوله تعالى : {كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله } . (٢)

يقول : "... وللمشركين اما تبين واما حال من عهد واما متعلق بىكون أو بالاستقرار الذى تعلق به الخبر ولايبالى بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الأخيرين نصب على التشبيه بالظرف أو الحال كما فى صورة الكون التام وهو الأولى لأن فى انكار ثبوت العهد فى نفسه من المبالغة ما ليس فى انكار ثبوته للمشركين لأن ثبوته الرابطة فرع ثبوته العينية فانتفاء الأمل يوجب انتفاء الفرع رأسا وفى توجيه انكار الى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس فى توجيهه الى ثبوته لأن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال قطعاً فاذا انتفى جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهانى أى أو فى أى حال يوجد لهم عهد معتد به " . (٣)

(١) تفسير أبى السعود ٢٩/٢ .  
(٢) سورة التوبة : ٧  
(٣) تفسير أبى السعود ٥٢١/٢ .

ويشير للمذهب الكلامي وهو يتحدث عن قوله تعالى :  
 {اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ  
 فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَنَةَ الْأُولَئِينَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ فَلَئِنْ تَجَدَّ لِسَنَةِ اللَّهِ  
 تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجَدَّ لِسَنَةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا } (١)

يقول : "... ونفى وجدان التبديل والتحويل عبارة عن  
 نفى وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفى مستقل  
 (٢)  
 لتأكيد انتفاءهما " .

ويتضح هذا النوع بجلاء حين يعرض لقوله تعالى : {لَوْ  
 كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا } (٣) .

يقول : "ابطال لتعدد الالهة باقامة البرهان على  
 انتفائه بل على استحالة . وايراد الجمع لوروده اثر انكار  
 اتحاد الالهة لا لأن للجمعية مدخلا في الاستدلال وكذا فرض  
 كونهما فيهما والا بمعنى غير على أنها صفة لآلهة ولا مساغ  
 للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها وما بعدها واقتضائه الى فساد  
 المعنى لدلالته حينئذ على أن الفساد لكونهما فيهما بدونه  
 تعالى ولا للرفع على البطل لأنه متفرغ على الاستثناء ومشروط  
 بأن يكون في كلام غير موجب أي لو كان في السموات والأرض  
 آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل ، لبطلتا بما فيهما  
 جميعا ، وحيث انتفى التالي علم انتفاء المقدم قطعاً بيان  
 الملازمة أن الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتمرف  
 فيهما على الإطلاق تغييراً وتبديلاً وإيجاداً واعداماً وأحياء  
 وأماتة فبقاؤهما على ما هما عليه أما بتأثير كل منهما وهو

(١) سورة فاطر : ٤٣  
 (٢) تفسير أبي السعود ٤/ ٤٨٩ .  
 (٣) سورة الانبياء : ٢٢

محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلى متعددة واما بتأثير واحد منها فالبواقي بمعزل عن الالهية قطعاً وأعلم أن جعل التالى فسادهما بعد وجودهما لما انه اعتبر فى المقدم تعدد الالهة فيهما والا فالبرهان يقضى باستحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافق الكل فى المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت تعاوقت فلايوجد موجود أصلاً وحيث انتفى التالى تعين انتفاء المقدم " .<sup>(١)</sup>

وقد أشار الجرجانى المتوفى سنة ٧٢٩هـ الى هذه الآية بقوله : "هى مقدمة وشرطية ، والاستثنائية فقيض التالى ، أى لكن لم تفسد السموات والأرض ، تنتج : ليس فيهما اله غير الله ، وبيان الملازمة مذكره المتكلمون وسموه برهان<sup>(٢)</sup> التمانع " .

تلك نماذج لما استشعر به أبو السعود لهذا الفن الأصيل وهى غيظ من فيض ولو أردت رمد كل ماجاء من أمثلة لطلال بى الكلام ، ولكنى أقول هو فن تحدث عنه أبو السعود كثيراً خلال تحليله للآيات ، مما جعلنا نذهب الى أن هذا من صميم البلاغة العربية وان كانت المعالجة فيه بطريقة المتكلمين .

(١) تفسير أبى السعود ٦٩٤/٣ .

(٢) الاشارات والتنبیہات فى علم البلاغة ، محمد بن على بن محمد الجرجانى ، تحقيق د. عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة القاهرة ١٩٨١م .



(١٢) التقسيم :

"وهو ذكر متعدد ثم اضافة مالكل على التعيين" كقول

الشاعر :

وَلَا يُقِيمُ عَلَى فِيم يَرَادُ بِهِ  
إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرِ الْحَى وَالْوَتْدِ  
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرَمْتِهِ  
وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرَى لَهُ أَحَدٌ

حيث ذكر عير الحى ، والوتد ، ثم ذكر مالكل ، فذكر  
ماللحمار ، من أنه مربوط على الخسف وماللوتد من أنه يبدق  
ويشج ، ولم يترك ارجاع كل الى السامع كما هو الحال فى  
الف والنشر . وكيفية التعيين فى البيتين هى الاشارة فى  
قوله هذا وذا حيث أضاف "ها" التنبيه عندما أشار الى العير  
وهو قريب ، وها التنبيه تدل على زيادة القرب ، وهذه هى  
الفارقة بين الاشارتين .

وهذا الفن يكثر فى القرآن الكريم ، وقد أشار أبو  
السعود الى شواهد من هذا النوع فمما ذكر قوله تعالى فى  
سورة الاحزاب : {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ مَّدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ  
عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا  
(٢) تَبْدِيلًا} .

يقول : "تفصيل لحال المادقين وتقسيم لهم الى قسمين  
أما الذين قفوا فظاهر وأما الباقون فيشهد به انتظارهم

(١) الايضاح للقزوينى ٦/٤٧

(٢) سورة الاحزاب : ٢٣

أصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الأول مع ظهور حالهم  
للايذان بمساواة الفريق الثانى لهم فى الحكم ويجوز أن يكون  
ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على أن المحتاج الى  
(١)  
البيان حالهم " .

ويقول فى قوله تعالى : { فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ  
الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ } .  
(٢)

"تقسيم وتنويع للأزواج الثلاثة مع الإشارة الاجمالية الى  
(٣)  
أحوالهم قبل تفصيلها " .

### (١٣) الاستدراج :

يقول فى قوله تعالى : { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ } .  
(٤)  
"عطف على مقدر ينساق اليه النظم الكريم أى فأنهمكوا  
فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه  
{ فَتَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ } من فنون النعماء على منهاج  
(٥)  
الاستدراج " .

والاستدراج "هو استمالة المخاطب بما يؤثـره ويأنس اليه  
(٦)  
أو ما يخوفه ويرغبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه " .  
ويشير الى الاستدراج فى قوله تعالى : { قُلْ لَوْ أَن عِندِي  
مَاتَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُفَى الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِالظَّالِمِينَ } فيقول :  
(٧)

- 
- (١) تفسير أبى السعود ٤١٠/٤ - ٤١١ .  
(٢) سورة الواقعة : ٨  
(٣) تفسير أبى السعود ٢٥٦/٥ .  
(٤) سورة الانعام : ٤٤  
(٥) تفسير أبى السعود ٢٠٧/٢ .  
(٦) الاقصى القريب ص ١٠٣ ، البديع فى ضوء أساليب القرآن  
د. عبد الفتاح لاشين ، مكتبة الانجلو المصرية ،  
ط/الثالثة ١٩٨٦م ص ١٢١ .  
(٧) سورة الانعام : ٥٨

"اعتراض مقرر لما أفادته الجملة الامتناعية من انتفاء  
أمر العذاب مفوضا اليه صلى الله عليه وسلم المستتبع  
لانتفاء قضاء الأمر وتعليل له ، والمعنى - والله تعالى  
أعلم - بحال الظالمين وبأنهم مستحقون للاهمال بطريق  
الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الأمر الى فلم يقض  
الأمر بتعجيل العذاب" (١)

(٢)  
وقد قال عنه ابن الأثير أنه من مخادعات الأقوال التي  
تقوم مقام مخادعات الأفعال ، ورأى أن له الفضل في ابتكاره  
واستخراجه من كتاب الله ، ولكن سبقه بذلك الزمخشري في  
كتابه الكشاف (٣)

والم تأمل في تفسير أبي السعود يلاحظ أن هذا النوع  
كثير في تفسيره انظر اليه وهو يتحدث عن قوله تعالى :  
{أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنيين نسارع لهم في  
الخيرات بل لا يشعرون} (٤)

يقول : "أيحسبون أن الذي نمدهم به من المال والبنين  
نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واکرامهم .. كلا بل لانفعل ذلك  
بل هم لا يشعرون بشيء أصلا كالبهائم لافطنة لهم ولا شعور  
ليتأملوا ويعرفوا أن ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار الى  
زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات" (٥)

- 
- (١) تفسير أبي السعود ٢٢١/٢ .  
(٢) راجع الباب الأخير من البحث .  
(٣) تفسير الكشاف ١٢٧/١ .  
(٤) سورة المؤمنون : ٥٦ .  
(٥) تفسير أبي السعود ٧٠/٤ .

## (١٤) الاستقصاء :

ويعرفه ابن أبى الاصبع بقوله : "هو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه ، فيأتى بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصى جميع أوصافه الذاتية بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده (١) فيه مقالا " .

ومن شواهد هذا الضرب عند أبى السعود قوله تعالى :  
{يَكَادُ زَيْتُهَا يَضَىءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} (٢) حيث يقول :

"أى هو فى المضاء والانارة بحيث يكاد يضىء بنفسه من غير مساس نار أصلا وكلمة لو فى أمثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شىء فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لما جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد المناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفى على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على أبعدها منه اما لوجود المانع كما فى قوله تعالى : {أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ} (٣) واما لعدم الشرط كما فى هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفائه مع ماعداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشىء متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع أو عدم الشرط فلائ يتحقق بدون ذلك أولى

(١) بديع القرآن ص ٢٤٧ .

(٢) سورة النور : ٣٥

(٣) سورة النساء : ٧٨

ولذلك لا يذكر معه شيء آخر من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر  
الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة  
لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم  
أنها لاستقضاء الأحوال على سبيل الاجمال ... وتقدير الآية  
الكريمة يكاد زيتها يفيء لو مسته نار ولو لم تمسه نار أى  
يفيء كائننا على كل حال من وجود الشرط وعدمه " . فقد استوعب  
جميع ما تقع الخواطر عليه فيه فلا يبقى لأخذه مساع ولا لاستحقاقه  
مجال كما يقول ابن أبى الاصبع ، والآية كما نعلم من شواهد  
المبالغة عند البلاغيين .

ومن شواهد هذا النوع عند ابن أبى الاصبع قوله تعالى :  
{يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يَسِيغُهُ} (٣) .

وقد علق عليها بقوله : " فاستخرجت منها عشرة أوجه من  
المبالغة لم يتسع هذا الهامش لذكرها " . (٤)

ومنه قوله تعالى : {قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ  
لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي  
مِلَّتِنَا قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارْهِينَ} يقول : (٥)

"ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها  
المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند  
تعدددها وهذا معنى قولهم أنها لاستقضاء الأحوال على سبيل  
الاجمال ، وهذا المعنى ظاهر فى الخبر الموجب والمنفى والأمر  
والنهي " . (٦)

- 
- (١) تفسير أبى السعود ١٢٠/٤ - ١٢١ .  
(٢) بديع القرآن ص ٢٥١ .  
(٣) سورة إبراهيم : ١٧ .  
(٤) بديع القرآن ص ٢٥١ .  
(٥) سورة الاعراف : ٨٨ .  
(٦) تفسير أبى السعود ٣٧٢/٢ .

## (١٥) التفصيل :

وهو فن قريب من التقسيم ، وقد أشار ابن أبى الاصبع الى أن التفصيل على قسمين متصل ، ومنفصل ، فالمتصل منه كل كلام وقع فيه أما وأما ... ؟ وقيل ذلك اجمال وما بعد أما (١) تفصيل " .

ومن شواهد أبى السعود لهذا الفن قوله تعالى : {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ أِيمَانِكُمْ ، فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} حيث يقول :

"تفصيل لأحوال الفريقين بعد الإشارة إليهما اجمالاً وتقدير بيان هؤلاء لما أن المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الأجمال والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدىء بذلك عند الأجمال" (٣) .  
ومنه قوله تعالى : {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ، أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَأْثُورِ لَمْ يُزَلَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا ...} يقول :

"تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر أحوالهما في الدنيا وأضيفت الجنة الى المأوى لأنها المأوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لامحالة" (٥) .

(١) بديع القرآن ص ١٥٤ .  
(٢) سورة آل عمران : ١٠٦-١٠٧ .  
(٣) تفسير أبى السعود ٥٣١/١ .  
(٤) سورة السجدة : ١٨ .  
(٥) تفسير أبى السعود ٢٥٦/٥ .

وقد يأتى هذا النوع بدون أما وأما ، ومن شواهد قوله تعالى : { أَنَّى لَا أُمِيعَ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ } (١) .

حيث يقول : "تفصيل لما أجمل فى العمل وتعداد محاسن افراده على وجه المدح والتعظيم ، أى فالذين هجروا الشرك والأوطان ، والعشائر للدين" (٢) .

وهذه الآية غير مرتبطة بأما وأما إلا أنها جاءت على سبيل التفصيل ، أما النوع الآخر الذى سماه المفضل وهو ما يأتى مجمله فى سورة ومفصله فى أخرى أو فى مكانين مفترقين من سورة واحدة كقوله تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } الى قوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُمْ يُرْجَوْنَ } الى قوله : { فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ } فقوله وراء ذلك (٣) اجمال المحرمات جاءت مفسرة فى قوله تعالى : { وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ } (٤) .

#### (١٦) الاحتراز "الاحتراز" :

يقول فى قوله تعالى : { فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ ، فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى } (٥) .

"ولعل ايشار ما عليه النظم الكريم على أن يقال أن تضل احداهما فتذكرها الاخرى لتأكيد الابهام والمبالغة فى الاحتراز

- 
- (١) سورة آل عمران : ١٩٥  
 (٢) تفسير أبى السعود ٣٦٢/١ .  
 (٣) سورة المؤمنون : ٧٠، ٥٠، ١  
 (٤) انظر بديع القرآن ص ١٥٥ .  
 (٥) سورة البقرة : ٢٨٢

(١)  
 عن توهم اختصاص الضلال باحداهما بعينها والتذكير بالآخرى .  
 وهذا النوع سماه ابن سنان "التحرز" وعرفه بقوله : "وأما  
 التحرز مما يوجب الطعن كأن يأتى بكلام لو استمر عليه لكان  
 فيه طعن فيأتى بما يتحرز ذلك الطعن" (٢) .  
 وهذا الفن يكثر عند أبى السعود وحسبنا أن نشير الى  
 بعض من أمثلته التى ساقها :

يقول فى قوله تعالى : {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ  
 الطَّاغُوتُ} (٣) .

"ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت فى مقابلة  
 الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى  
 التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التغيير" (٤) .  
 ويشير الى الاحتراز فى قوله تعالى : {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ  
 الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} (٥) .

فيقول : "واسناد الحرمة الى جمعها لالى الثانية  
 منهما بأن يقال وأخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة  
 المؤبدة كما فى الحرمات السابقات ولكونه بمعزل من الدلالة  
 على حرمة الجمع بين الأختين افضاؤه الى قطع ما أمر الله  
 بوصله" (٦) .

- 
- (١) تفسير أبى السعود ٤١٨/١ .  
 (٢) سر الفصاحة ص ٣٢٢ .  
 (٣) سورة البقرة : ٢٥٧ .  
 (٤) تفسير أبى السعود ٣٨٨/١ .  
 (٥) سورة النساء : ٢٣ .  
 (٦) تفسير أبى السعود ٦٧٤/١ .



## (١٧) الاستدراك :

قال البغدادي : "وأما الاستدراك والرجوع فهو أن  
يبتدىء الشاعر بمعنى فينفي شيئا ثم يستدركه بما يؤيد هذا  
(١)  
المعنى أو يثبت مانفاه أولا" .

وعرفه السبكي بقوله : "أن الاستدراك إما بعد تقدم  
(٢)  
تقرير كقوله تعالى : {إِذْ يَرْيَكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ  
أَرَاكُمْ كَثِيرًا لَفُشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ} (٣)  
بعد تقدم نفي كقوله تعالى : {وَمَارِمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
(٤)  
رَمَى} وهذا القسم يرجع إلى الطباق والرجوع".

وقد أسهب أبو السعود في هذا النوع وأورد كثيرا في  
تفسيره ، والمتصفح لتفسيره يراه بعد لحظة وأخرى .

يقول في قوله تعالى : {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ  
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ...} (٥)  
"... وهو أقوى بحسب المعنى لأن كل فريق يدعى أن البر

هذا فيحب أن يكون الرد موافقا لدعواهم وماذلك إلا أن يكون  
البر اسما كما يفصح عنه جعله في الاستدراك بقوله ولكن البر  
من آمن بالله ، وهو تحقيق لملحق بعد بيان الباطل وتفصيل  
لخصال البر مما لا يختلف باختلاف الشرائع ومايختلف باختلافها

(١) قانون البلاغة في نقد النثر والشعر ، تأليف أبي طاهر  
محمد بن حيدر البغدادي ، تحقيق د. محسن غياض عجيل ،  
مؤسسة الرسالة ، بيروت ط/الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م  
ص ١١١-١١٢ .

(٢) عروس الافراح ٤/ ٤٦٩ .

(٣) سورة الانفال : ٤٣

(٤) سورة الانفال : ١٧

(٥) سورة البقرة : ١٧٧

أى ولكن البر المعهود الذى يحق أن يهتم بشأنه ويجد فى  
تفصيله بر من آمن بالله وحده ايمانا بريئا من شائبة  
(١)  
الاشراك .

ويقول فى قوله تعالى : {عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ  
وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُونَهُنَّ سِرًّا} (٢) .

"استدراك محذوف دل عليه ستذكروهن أى فاذكروهن ولكن  
(٣)  
لاتواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض".

وهذا النوع من الكلام سماه ابن المعتز بالرجوع "وهو  
العود على الكلام السابق بالنقض لنكته" (٤) . ومن ذلك قوله  
أيضا :

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ  
مَآجَاءِ تَهُمِ الْبَيِّنَاتِ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا} (٥) .

يقول : "استدراك من الشرطية أشير به الى قياس  
استثنائى مؤلف من وضع نقيض تاليها إلا أنه قد وضع فيه  
الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايدان بأن الاقتتال  
ناشئ من قبلهم لامن جهته تعالى ... كانه قيل ولكن لم يشأ  
(٦)  
عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا" .

ومنه قوله تعالى : {وَلَوْ أَنَّا فُزِلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ،  
وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى ، وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبِلًا .. مَا كَانُوا  
لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْعَلُونَ} (٧) .

- 
- (١) تفسير أبى السعود ٣٠٦/١ .  
(٢) سورة البقرة : ٢٣٥  
(٣) تفسير أبى السعود ٣٦١/١ .  
(٤) الايضاح ٦/  
(٥) سورة البقرة : ٢٥٣  
(٦) تفسير أبى السعود ٣٨٢/١ .  
(٧) سورة الانعام : ١١١

يقول : "استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء  
(١)  
لاقبله " .

### (١٨) التتميم :

وقد عرفه ابن أبى الاصبع بقوله : "هو أن تأتي فى  
الكلام كلمة اذا طرحت من الكلام نقص معناه فى ذاته أو فى  
(٢)  
مفاته ولفظه تام " .

وهذا الفن طرقه أبو السعود فى تفسيره خلال تحليله

لايات القرآن .

يقول فى قوله تعالى : {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ  
وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٣) .

"ان أجرى السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون  
مامر من الجملتين تقريراً ظاهراً وان أريد سببه أعنى الجزاء  
(٤)  
فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له " .

ومن قوله تعالى : {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً  
بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} (٥) .

يقول : "فان المراد به معية نصره وتوقيفه حتماً  
وحملها على المعية بالاثابة كما فعل ياباه انهم انما قالوه  
تتميماً لجوابهم وتأييداً له بطريق التذييل تشجيعاً لأصحابهم  
(٦)  
وتشبيهاً لهم على المبر المؤدى للغلبة " .

(١) تفسير أبى السعود ٢٦١/٢ .

(٢) بديع القرآن ص ٤٥ .

(٣) سورة البقرة : ١٣٤

(٤) تفسير أبى السعود ٢٦٦/١ .

(٥) سورة البقرة : ٢٤٩

(٦) تفسير أبى السعود ٣٧٧/١ .

وعن قول الله تعالى : { ... وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ }<sup>(١)</sup> يقول :

"والمراد هنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالنعيم اشر تحقيق بعض مشاهيرها بالذكر كما فى قوله تعالى : { فَأَنْزَلْنَاهَا فِيهَا حَبًّا وَعَنْبًا } الى قوله : { وَفَاكِهَةً } وأما نفس التى أعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظة الانزال تنزيلا للتغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى" <sup>(٢)</sup>.

ومنه قوله تعالى : { نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ } حيث يقول : <sup>(٣)</sup>

"الفرقان فى الاصل مصدر كالغفران أطلق على الفاعل مبالغة ، والمراد به ههنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم اشر تخميص بعض مشاهيرها بالذكر كما فى قوله عز وجل : { فَأَنْزَلْنَاهَا فِيهَا حَبًّا وَعَنْبًا } الى قوله : { وَفَاكِهَةً } وأما نفس الكتب المذكورة أعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى" <sup>(٤)</sup>.

ويشير أحيانا الى التتميم مع التكميل كما فى قوله

(١) سورة آل عمران : ٤  
(٢) تفسير أبى السعود ١/٣٥٥ .  
(٣) سورة آل عمران : ٣-٤  
(٤) تفسير أبى السعود ١/٣٥٥ .

تعالى : {مِمَّ بَكْمَ عَمَى فَمَّ لَا يَرْجَعُونَ} (١) فيقول :

"فالآية الكريمة تنمة للتمثيل وتكميل له بأن ما أمامهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم فى ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها ، بل اختلت مشاعرهم جميعا ، واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه أو الحقيقة فبقوا جامدين فى مكاناتهم ، لا يرجعون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون" (٢) .

ويقول عن قوله تعالى : {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَمَّ لَا يَبْصُرُونَ} (٣) .

"تنمة للتمثيل وتكميل له أى تكميل أى جعلنا مع ما ذكر من أمامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهم أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرّون على أبصار شيء ما أصلا" (٤) .

والذى يبدو لنا من خلال عرفنا للأمثلة السابقة أن أبا السعود سار على نهج معظم البلاغيين أى أنه لم يفرق بين الممطلحين السابقين وان كنا نلاحظ أن الأمثلة التى ساقها تنطبق على التتميم دون التكميل .

(١٩) التهذيب :

يقول فى قوله تعالى : {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ} (٥) :

- 
- (١) سورة البقرة : ١٨  
 (٢) تفسير أبى السعود ٩١/١ .  
 (٣) سورة يس : ٩  
 (٤) تفسير أبى السعود ٤٩٤/٤ .  
 (٥) سورة البقرة : ١٤٠

"وتقديم الأول مع أنه متأخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقى من الأدنى الى الأعلى والمعنى أنه لأحد من أهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة وأثبتوا نقيضها مما ذكر على (١) الافتراء " .

فحسن الترتيب في النظم حصل بالاستقاء من الأدنى الى الأعلى .

#### (٢٠) الادماج :

يقول في قوله تعالى : {الذين يفرحون بما آتوا ويحبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا} (٢) .

"وقد أدمج فيها بيان بعض آخر من شنائعهم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لأن يوصفوا بما ليس فيهم من الأوصاف الجميلة وقد نظم ذلك في سلك الملة التي حقها أن تكون معلومة الثبوت عند المخاطب ايذاً بشمرة اتمافهم بذلك" (٣) .

(٤)

والادماج هو "أن يضمن كلام سبق لمعنى آخر" سواء كان مدحاً أو غيره .

#### (٢١) العنوان :

قال تعالى : {ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم} (٥) .

- 
- (١) تفسير أبي السعود ٢٧٣/١ .
  - (٢) سورة آل عمران : ١٨٨
  - (٣) تفسير أبي السعود ٦١٩/١ .
  - (٤) الايضاح ٧٩/٦ .
  - (٥) سورة آل عمران : ١٠١

يقول : "وكان العنوان الأخير مما يتناقض فيه المتنافسون أبرز في معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى {فَمَنْ زَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} (١) .

#### (٢٢) التفسير بعد الإبهام :

يشير أبو السعود إلى فن التفسير أثناء تحليله للآية القرآنية الكريمة {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ...} فيقول : (٢)

"وهذا أسلوب بديع يمار إليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان بوقوع بلاواسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل إلى تفغيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادى ثم وصف بالنداء للإيمان على طريقة قولك سمعت متكلمًا يتكلم بالحكمة كما أن التفسير بعد الإبهام والتقييد بعد الإطلاق أوقع عند النفس وأجدر بالقبول" . (٣)

وعن قوله تعالى : {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} يقول : (٤)

"وماعطف عليه بيان لاشتراطها المذكور وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعيت في النظم طريقة التفسير بعد الإبهام ، والتفصيل اثر الاجمال ، وبالإضافة يقتضيه الحال" . (٥)

وقد عرف ابن أبي الأصبع التفسير بقوله : "هو أن يأتي المتكلم في أول كلامه بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه

- 
- (١) تفسير أبي السعود ٥٢٥/١ .  
 (٢) سورة آل عمران : ١٩٣ .  
 (٣) تفسير أبي السعود ٦٢٩/١ .  
 (٤) سورة النساء : ١٦ .  
 (٥) تفسير أبي السعود ٧٠٥/١ .

(١)  
 أما أن يكون مجملا يحتاج الى تفصيل" .

(٢٣) تأكيد المدح بما يشبه الذم :

يقول في قوله تعالى : {الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغَيْرِ  
 حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ} (٢)

"... والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة  
 المعظمة ... أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون  
 موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لاعلى الظاهر  
 بل على طريقة قول النابغة :

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم  
 بهن فلول من قراع الكتائب" (٣)

فقوله : لاعيب فيهم نفى لصفات العيب عنهم ، ومجىء  
 أداة الاستثناء "غير أنهم" توحى لنا بأنه سيثبت لهم عيبا  
 إلا أنه فاجأنا بخلاف ذلك حيث قال "بهن فلول" وهذه العبارة  
 ومغنتهم بالشجاعة ، وهى مدح وليست عيبا فأكد لهم المدح بما  
 يشبه الذم .

وقد عرف البلاغيون هذا الضرب فقالوا :

(١) هو أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح  
 بتقدير دخولها فيها . (٤)

(٢) وأن يثبت لشيء صفة مدح ، ويعقب بأداة استثناء تليها  
 صفة مدح أخرى له .

(١) بديع القرآن ص ٧٤ .

(٢) سورة الحج : ٤٠

(٣) تفسير أبى السعود ٢٨/٤ - ٢٩ .

(٤) الايضاح للقزوينى ٧٤/٦ - ٧٥ .



وقالوا ان الفرع الاول أفضل من الآخر لأن التأكيد فيه

من وجهين :

أحدهما : أنه كدعوى الشئ ببينة .

وثانيهما : أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلا فاذا

نطق المتكلم بأداة الاستثناء توهم سامعه أن ماسيأتى بعدها مخالف لما قبلها . فيكون شيئا من صفة الذم . وهذا ذم .

فاذا أثبت بعدها صفة المدح تأكد المدح لتكراره ، ولهذا

(١)

الفن موقع طريف في النفوس لما فيه من خلاصة وخداع برى .

ويقول في قوله تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ

(٢)

مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا } .

"... فلاستثناء من أعم العلل أى ماتتقون منا وبيننا

لعلة من العلل الا لأن آمننا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من

قبل من كتبكم ، ولأن أكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما

ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم

به ، واسناد الفسق الى أكثرهم لانهم الحاملون لآعقابهم على

(٣)

التمرد والعناد " .

وهذا الضرب من تأكيد المدح بما يشبه الذم يؤتى

بالاستثناء فيه مفرغا ، ويكون العامل مما فيه معنى الذم ،

ويكون المستثنى مما فيه معنى المدح .

ومعنى "تَتَّقُمُونَ" تعيبون ، "وهذا لايقح الا على واحد من

العيوب فلما سلط على الايمان بآيات الله ، وهو من أجل

(١) المصدر السابق ص ٧٥ .

(٢) سورة المائدة : ٥٩

(٣) تفسير أبى السعود ٨١/٢ .

المناقب والمفاخر كان تأكيدا للمدح بما يشبه الذم . لأن  
(١)  
المستثنى فيه معمول الفعل الذى فيه معنى الذم " .

#### (٢٤) الاكتفاء :

يشير أبو السعود لفن الاكتفاء كثيرا ، وهو يحلل الآيات  
القرآنية ، وهذا الفن البلاغى بحثه البلاغيون من قبل أبى  
السعود تحت باب الإيجاز ، وجعله المتأخرون فى أنواع البديع  
وأفردوا له بابا خاصا .

يقول الحموى عن الاكتفاء : "هو أن يأتى الشاعر ببيت  
من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم يفتقر الى ذكر  
المحذوف لدلالة باقى لفظ البيت عليه ويكتفى بما هو معلوم  
فى الذهن فيما يقتضى تمام المعنى . وهو نوع ظريف ينقسم  
الى قسمين : قسم يكون بجميع الكلمة وقسم يكون ببعضها ،  
والاكْتفاء بالبعض أصعب مسلكا لكنه أحلى موقعا ولم أره فى  
كتب البديع ولا فى شعر المتقدمين ... " (٢)

غير أن ابن رشيق قال بوجوده فى الشعر القديم وكذلك  
المحدث منه كثير فهم يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على  
(٣)  
الذاهب كما يقول .

وأبو السعود ذكر هذا الفن فى مواضع كثيرة من تفسيره  
يقول فى قوله تعالى : {سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ} (٤) :

(١) البديع من المعانى والألفاظ ، عبد العظيم المطعنى

ص ٦٦ .

(٢) خزانة الادب ص ١٢٦ .

(٣) العمدة ص ٢٥١ .

(٤) سورة النحل : ٨٠ .

"تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء بذكر أحد الضدين عن الآخر أو لأن وقايته هي الأهم عندهم" .<sup>(١)</sup>

وقد ذكر الخفاجي في كتابه هذه الآية شاهدا للاكتفاء ، وذكر تعليقا جيدا حولها ينبغي ذكره لأنه أولى بالقبول ، إذ يقول : "وأعلم أنه في الآية المستشهد بها نكتة لطيفة ، لم ينبهوا عليها وهو أنه إنما اقتصر على الحر لأنه أهم هنا ، لما عرف من غلبة الحر على ديار العرب ، ثم إن ما يقى الحر يحصل منه برودة في الهواء ، في الجملة فوقاية الحر إنما هي لتحميل البرد ، وهذا فيه من اللطف ما هو اللفظ من النسيم فله در التنزيل ، فكم فيه من أسرار لا تتناهى" .<sup>(٢)</sup>

ويقول في قوله تعالى : {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَأْتَاهُمْ} .<sup>(٣)</sup>

"... وقد اكتفى عن ذكر المستدرك ههنا بذكر ما يوجب من جهته تعالى كما اكتفى عنه في الأول بذكر ما يوجب من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنميما على ما هو المقصود واشعارا بأنه المراد فيهما أيضا وله در شأن التنزيل" .<sup>(٤)</sup>

ويقول في قوله تعالى : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ

- 
- (١) تفسير أبي السعود ٣/ ٣٩٠ .  
 (٢) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري ، ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة ، وتوفي سنة ١٠٦٩ هـ . انظر مقدمة المحقق ص ٤ .  
 (٣) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م ١٠٩/٢ .  
 (٤) سورة القصص : ٤٦  
 (٥) تفسير أبي السعود ٤/ ٣٠٩ .

لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون } (١)

"... كأنه قيل أتتبعون دين آبائكم حال كونهم غافلين وجاهلين فالين انكارا لما أفاده كلامهم من الاتباع على أى حالة كانت من الحالتين غير أنه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيهاً على أنها هى الواقعة فى نفس الأمر وتعويلاً على اقتضاها للحالة الأولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذى تعلق به الانكار حيث تحقق مع كون آبائهم جاهلين فالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين أولى ان قلت الانكار المستفاد من الاستفهام الانكارى بمنزلة النفى ولاريب فى أن الأولوية فى صورة النفى معتبرة بالنسبة الى النفى ...". (٢)

ولهذا الفن وقع جليل على النفس ، وقد لحظ ذلك السجلمانى ، فعن النفس تمدر الفنية وترجع اليها لتذوقها وتتفاعل معها يقول السجلمانى : "وهذا النوع بالجملة هو من القول الجميل ذى الطلاوة والبهجة والعذوبة ، الجزل المقطع الغريب المنزع ، اللذيذ المسمع ، لما بين أجزائه من الارتباط ، ولما للنفس الناطقة من الالتذاذ بادراك النسب والوصل بين الأشياء ، ثم بابرار مافى القوة من ذلك الى الفعل وبالشعور به ، فلذلك توفر له من المزية ماتراه يباين به سائر المنظوم " (٣)

(١) سورة البقرة : ١٧٠

(٢) تفسير أبى السعود ٣٠١/١ .

(٣) المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع للسجلمانى ص ١٩٥ .

## (٢٥) الالتفات :

لون من ألوان المياغة أضافه كثير من المتأخرين الى  
البديع ، وهو فن يعين المتذوقين على الايحاء بكثير من  
اللطائف والأسرار التى تكمن وراءه ، وله قدرة على استجلاب  
النفوس الواعية ، واستمالة القلوب الى كثير من المزايا  
وذلك بايقاظها وتحريكها . وتلك ميزة يحرس عليها كل من  
المتكلم والاديب .

وقد أدرك الزمخشري القيمة الادبية لهذا الفن من قبل  
فأشار اليه بقوله : "كأنه فربة على أوتار النفس يزيدها  
(١)  
تنبيهها وايقاظا أو هذا وتحريكا" .

ويلحظ أبو السعود تلك القيمة الفنية لهذا الفن ، حيث  
يقول فى قوله تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنُ  
الرَّحِيمُ . مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } (٢) :  
"الفتات من الغيبة الى الخطاب ، وتلوين للنظم من باب  
الى باب ، جار على نهج البلاغة فى افتنان الكلام ،  
ومسلك البراعة حسبا يقتضى المقام ، كما أن التنقل من  
أسلوب الى أسلوب ، أدخل فى استجلاب النفوس واستمالة القلوب  
يقع من كل واحد من التكلم الى الخطاب ، والغيبة الى كل  
واحد من الآخرين كما فى قوله تعالى : { وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ  
الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا } (٣) ، وقوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي  
الْفُلِكِ وَجُرِينُمْ بِهِمْ } (٤) الى غير ذلك من الالتفات الوارد فى

(١) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري ص ٣٧٠ .

(٢) الفاتحة : ١-٤

(٣) سورة فاطر : ٩

(٤) سورة يونس : ٢٢

التنزيل لأسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ، ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على أن تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما أجرى عليه من النعوت الجليلة التي أوجبت له تعالى أكمل تميزا ، وأتم ظهورا بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور ، فاستدعى استعمال صيغة (١) الخطاب " .

ومن صور الالتفات التي جاءت عند أبي السعود صيغة الالتفات من المتكلم الى الغيبة حيث يقول في قوله تعالى : {يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ، فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ} (٢) :

"عطف على محذوف على أنه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع للايدان بعلية عنوان البارئ والخلق والاحياء لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره فعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم وانما لم يقل فتاب عليهم على أن الضمير للقوم كم أن ذلك نعمة أريد التذكير بها للمخاطبين لئلا سلاهم " (٣) .

ويشير الى الالتفات في قوله تعالى : {ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن

(١) تفسير أبي السعود ٢٥/١ - ٢٦ .

(٢) سورة البقرة : ٥٤

(٣) تفسير أبي السعود ١٧٦/١ .

(١)

الخالقين { يقول :

"... والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة  
وادخال الروعة والاشعار بأن ماذكر من الافاعيل العجيبة من  
أحكام الألوهية وللايذان.. بأن حق كل من سمع مافصل من آثار  
قدرته عز وعلا أولاحظه أن يسارع الى التكلم به اجلا واعظاما  
(٢)  
لشؤونه تعالى" .

(٣)

ويقول فى قوله تعالى : {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ} :

"أى ختما يمنعها عن الكلام التفات الى الغيبة للايذان  
بأن ذكر أحوالهم القبيحة استدعى أن يعرض عنهم ويحكى  
أحوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء الى أن ذلك من  
مقتضيات الختم لأن الخطاب لتلقى الجواب وقد انقطع  
(٤)  
بالكلية" .

وهذا الفن يكثُر فى تفسير أبى السعود ، ويكفى ما أشرنا  
اليه من نماذج وحسبنا أن نقول انه فن كلما أمعنا النظر فى  
مواطنه من الكلام الرفيع تظهر لنا وجوه من الحسن تزيدنا  
احساسا بجمال الصياغة وجلال التعبير .

وقد بين ابن الأثير لنا علاقة التسمية بالموضوع فيقول  
"وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله فهو  
يقييل بوجهه تارة كذا وتارة كذا وكذلك يكون هذا النوع من  
الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه من صيغة الى صيغة كالانتقال من  
خطاب الى حاضر الى غائب ... ويسمى أيضا شجاعة العربية

(١) سورة المؤمنون : ١٤

(٢) تفسير أبى السعود ٥٢/٤ - ٥٣ .

(٣) سورة يس : ٦٥

(٤) تفسير أبى السعود ٥١٥/١ - ٥١٦ .

وانما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الاقدام ، وذاك أن الرجل  
الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره ، ويتورد ما لا يتورده سواه ،  
وكذلك هذا الالتفات في الكلام ، فإن اللغة العربية تختص به  
(١)  
دون غيرها من اللغات" .

---

(١) المثل السائر ١٨١/٢ .



بديع اللفظ عند أبى السعود :

(١) براعة الاستهلال :

يقول فى قوله تعالى : {يوسف أيها الصديق} "أى أرسل اليه فأتاه فقال يا يوسف ووصف بالمبالغة فى الصديق حسبما شاهده وذاق أحواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس أنواره فهو من براعة الاستهلال" (١).

والاستهلال الافتتاح والابتداء ، فاستهل : أى رأى الهلال واستهل المولود صاح فى أول زمان الولادة واستهلت السماء جادت بالهمل وهو أول المطر قال المدنى : "ولك من هذه المعانى مناسب للنقل منه الى المعنى الاصطلاحي وان خصه بعضهم بالنقل من المعنى الثانى وانما سمي هذا النوع الاستهلال لأن المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به" (٢).

(٢) حسن التخلص :

يقول فى قوله تعالى : {وراودته التى هو فى بيتها ..} يقول : "ولا يخفى أن مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة انما هو بالتمكين المبالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الاتجاه السابق تحت الإشارة بذلك فى قوله وكذلك مكننا ، كما فعله الجمهور ناء عن التقرب .. وهذا باب لطيف المسلك" (٣).

(١) تفسير أبى السعود ١٥٣/٣ .  
(٢) أنوار الربيع للمدنى ٥٦/١ .  
(٣) تفسير أبى السعود ١٢٦/٣ .

ومنه قوله تعالى : {ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} (١) يقول :  
 "وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل يحمل  
 الأنعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا  
 يحتاج الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا  
 لمراعاة حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى : {فَاجْتَنِبُوا  
 الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ} (٢) .

### (٣) التجانس :

يقول عند قوله تعالى : {وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ} (٣) :  
 "والتجانس بين لفظي الأسف ويوسف مما يزيد النظم  
 الكريم بهجة كما في قوله تعالى ، {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ  
 وَقَوْلُ تَعَالَى : {إِشَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ} (٥) ، وقوله {ثُمَّ كُلِي  
 مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} (٦) وقوله : {وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ} (٧)  
 ونظائرهما " ولنا وقفة مع هذا الفن في الباب الثالث ان شاء  
 الله .

### (٤) الفواصل القرآنية :

وينظر أبو السعود الى الفواصل القرآنية ويبين وجه  
 الملاءمة بين مدلولها ومدلول الآيات السابقة حيث يقول في

- 
- (١) سورة الحج : ٣٠  
 (٢) تفسير أبي السعود ٢٣/٤ .  
 (٣) سورة يوسف : ٨٤  
 (٤) سورة الأنعام : ٢٦  
 (٥) سورة التوبة : ٣٨  
 (٦) سورة النحل : ٦٩  
 (٧) سورة النمل : ٢٢  
 (٨) تفسير أبي السعود ١٨١/٣ .

قوله تعالى : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ} (١) :

"وتفصيل هذه الآية بلا يعلمون كما أنه أكثر طباقا لذكر السفه الذى هو فن من فنون الجهل ولأن الوقوف على أن المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى إلا بالنظر والاستدلال ، وأما النفاق وما فيه من الفتنة والافساد وما يترتب عليه من كون من يتصف به مفسدا فأمر بديهي يقف عليه من له شعور (٢) وكذلك الآية الكريمة السابقة بلا يشعرون" .

ويقول فى قوله تعالى : {وَمَا اللَّهُ بِخَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} "اعتراض تذييلى فيه تعديد ووعيد شديد قيل لما كان مدهم للمؤمنين بطريق الخفية حتمت الآية الكريمة بما يحسم مادة جبلتهم من احاطة علمه تعالى بأعمالهم كما أن كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية السابقة بشهادته تعالى على ما يعملون" (٣) .

ويلتفت الى الفواصل التى تشير الى اشارة قدرة الله فى هذا الكون ، ويوضح كيف تكون الفاصلة مشيرة اشارة واعية الى مدى هذه الآثار . يقول فى قوله تعالى : {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْزِلُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ

(١) سورة البقرة : ١٣

(٢) تفسير أبى السعود ٨٠/١ .

(٣) تفسير أبى السعود ٢٤٥/١ .

وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ<sup>(١)</sup> .

قال : "وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة مافيها من عظيم القدرة والحكمة على الوحدانية أظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التأمل ، والتفكير ، ويجوز أن يكون المراد لقوم يعقلون ذلك ، فالمشار اليه حينئذ تعاجيب الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لايتمدى لمعرفتها الا المهرة من أساطين علماء الحكمة ولاريب في أن احتياجها الى التفكير<sup>(٢)</sup> أكثر " .

ويلحظ أبو السعود أن القرآن يعدل من لفظ الى آخر مراعاة لحق الفاصلة ، يقول في قوله تعالى : {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ} .

"... فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل ، وتعيين الوقتين لأن مايدور عليه أمر الجمال من تزيين الانسية والاكفاف بها ويتجاوب شغاؤها ورغاؤها انما هو عند ورودها وخطورها في ذينك الوقتين وأما عند كونها في المراعى فينقطع اضافتها الحسية الى أربابها وعند كونها في الحظائر لايراه راء ولاينظر اليها ناظر وتقديم الراحة على المسرح لتقدم الورد على المدور ولكونها أظهر منه في استتباع ماذكر من الجمال وأتم في استجلاب الانس والبهجة اذ

(١) سورة النمل : ١٠-١٢

(٢) تفسير أبي السعود ٣/٣٤٥-٣٤٦ .

فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على أحسن ما يكون ملائ

(١)

البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع" .

ويقول في قوله تعالى : {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَسْكُرُونَ  
وَمَا تَعْلَنُونَ} (٢) :

"أى ما يظهرونه منهما وحذف العائد لمراعاة الفواصل أى  
يستوى بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلمكم وفيه من  
الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية  
(٣)  
مالايخفى" .

وكما نعلم أن الفواصل القرآنية فى سور كثيرة متحدة  
النغم الصوتى ، وفيه تأثير عميق فى نفس قارئه وسامعه  
مالايخفى "ولست أرفض أن يراعى القرآن حق الفاصلة فيبدل فى  
كلمة أو يضع مكانها أخرى لأن هذا ليس أمرا لفظيا هينا كما  
فهمه كثير من البلاغيين وقليل منهم تنبه الى قيمة الاثر  
الصوتى أو الاثر الموسيقى فى التأثير والايحاء وظل أكثرهم  
يفهم أن شؤون اللفظ لاتعدو أن تكون محسنات سطحية لاتتمل  
(٤)  
بجوهر البلاغة" .

وأبو السعود أحد المفسرين البلاغيين الذين يهتمون  
بالناحية الصوتية فى تفاسيرهم فهو يفسر بعض الخصائص  
القرآنية تفسيرا قائما على اهتمامه بالناحية الصوتية .  
يقول فى قوله تعالى : {وَتَبْتَلا إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} (٥) مكان تبتلا

(١) تفسير أبى السعود ٣/٣٣٧ .

(٢) سورة النحل : ٢٣

(٣) تفسير أبى السعود ٣/٣٥٠ .

(٤) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري ، دكتور محمد أبو موسى ص ٣٦٩ .

(٥) سورة المزمل : ٨

(١)

مع مافيه من رعاية الفواصل " .

ويقول فى قوله تعالى : { وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } (٢)

"بيان لفضله تعالى وعدله فى الجزاء اثر بيان لطفه فى التكليف وكتب الاعمال أى لا يظلمون فى الجزاء بنقص ثواب أو بزيادة عذاب بل يجزون بقدر أعمالهم التى كلفوها ونطقت بها صائغها بالحق ، وقد جوز أن يكون تقريراً لما قبله من التكليف وكتب الاعمال أى لا يظلمون بتكليف مالى فى وسعهم ولا بعد كتابة بعض أعمالهم التى من جملتها أعمال المقتصدين بناء على قمورها عن درجة أعمال السابقين بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الأمور بالظلم مع أن شيئاً منها ليس بظلم ما تقرر من أن الأعمال المألحة لا توجب أصل الثواب فضلاً عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى تعد الاثابة بما دونها نقماً وكذلك الأعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى بعد التعذيب بما فوقها زيادة ، وكذا تكليف مافى الوسع وكتب الاعمال ليس مما يجب عليه سبحانه حتى تركهما ظلماً لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل مدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه " . (٣)

وبعد ، فان الكتب التى جاءت فى نهاية القرن الثانى الهجرى ، تعتبر ثروة كبيرة تتناول بلاغة القرآن واعجازه ، ولعل من أهم هذه الكتب "مجاز القرآن" لأبى عبيدة ، و"معانى القرآن" للفراء ، و"مشكل القرآن" لابن قتيبة ،

(١) تفسير أبى السعود ٤١٣/٥ .

(٢) سورة المؤمنون : ٦٢

(٣) تفسير أبى السعود ٧٢-٧٣/٤ .

و"طبقات الشعراء" لابن سلام ، و"البيان والتبيين" للجاحظ ،  
و"الشعر والشعراء" لابن قتيبة ، و"الكامل فى اللغة والأدب"  
للمبرد .

ان الدراسات القرآنية أشارت كثيرا من المسائل الفنية  
والجمالية فى الأسلوب ، والتي كان لها القفل فى توجيه  
دراسات بلاغة القرآن فى مراحلها المختلفة ، فقامت جهود  
العلماء فى دراسات القرآن لحل اللغز الذى حير الناس وهو  
"الاعجاز" فتوصلوا الى دراسات ونتائج خدمت الأدب والبلاغة  
على السواء .

وقد كان للقرآن الكريم أثر مباشر فى توجيه آراء أبى  
السمود ، فنراه يبدأ القول عن النوع البديعى أحيانا  
بالتعريف ثم يسوق أمثلة له من القرآن الكريم كما فعل فى  
التجريد .

وأحيانا يعقد الشواهد القرآنية بشواهد أخرى من الشعر  
والنثر لتطبيق الفن عليهما ، كما فعل فى فن الاكتفاء ،  
والالتفات ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم وغيرها مما جاء فى  
تفسيره . انظر اليه وهو يعلق على الآية القرآنية التالية  
مستخدما حسه البلاغى .

يقول عن قوله تعالى : {ثَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا  
الَّذِينَ ظَلَمُوا} (١) :

"ثَلَا يكون لأحد من الناس حجة إلا المعاندين منهم الذين  
يقولون ماتحول الى الكعبة إلا ميلا الى دين قومه وحيا لبلده

أو بدا له فرجع الى قبلة آباءه ويوشك أن يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع أنها أفحش الأباطيل من قبل مافى قوله تعالى حجّتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل للاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة رأسا كالذى فى قوله :

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم

(١)

بهن فلول من قراع الكتائب"

وقد يعرض لآية قرآنية ، فيلاحظ كلمة فيها وجدت لغرض بلاغى تعين على فهم الآية القرآنية .

يقول فى قوله تعالى : {فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب إليم بما كانوا يكذبون} :

(٢)

"وكلمة كانوا مقحمة للمقابلة لافادة دوام كذبهم وتجذوه بسبب كذبهم أو بمقابلة كذبهم التجدد المستمر الذى هو قولهم {آمنا بالله وباليوم الآخر} وهم غير مؤمنين ، فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لانشاء للايمان ، ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبى بمعنى الادعان والقبول قطعاً " .

ويبرز ذوقه الأدبى حين يلحظ أن الفاصلة غير وزنها مراعاة للفاصلة حتى لا تختفى الناحية الصوتية فيقول عن قوله {وتبتل اليه تبتيلا} مكان تبتلا لرعاية الفواصل . وقوله :

(٤)

{أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون} ، حيث يقول :

(١) تفسير أبى السعود ٢٨٥/١ .

(٢) سورة البقرة : ٩

(٣) تفسير أبى السعود ٧٤/١ .

(٤) سورة النحل : ٢٩



"وتقديم الملة على الفعل للاهتمام أو لايهام الاختصاص  
مبالغة أو لرعاية الفواصل والالتفات للغيبة للايذان  
باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من  
السامعين تعجيبا لهم بما فعلوه { (١) .

وقد أشر القرآن الى حد ليس باليسير فى الذوق العربى  
والحس الأدبى عند أبى السعود ، وقد أمكن لهذا الذوق الذى  
رباه القرآن ونماه أن ينفذ خلال تفسيره حيث ظهر فى شواهد  
القرآن وما وجد حولها من معان وأحكام بيانية وجمالية .  
وقد لاحظ أبو السعود ما للشاهد القرآنى من جمال وروعة  
بمقارنته بالنصوص الشعرية والنثرية ، لذلك أكثر من الإشارة  
اليه ، وإيراده ثم المقارنة بين فنون القول فيه وفيها .  
وهذا وضع لنا من خلال عدنا لأنواع البديع عنده .

ان تعلق أبى السعود بالقرآن الكريم وما فيه من معان  
بيانية وجمالية هو الذى أشر فى نفسه فاعتمد عليه وعلى  
المصادر العربية القديمة التى تعين على فهمه من شعر ونثر  
مطبوعا فى ذلك فنون البلاغة على هذه المصادر .

---

(١) تفسير أبى السعود ٣/٣٨٣ .

## الفصل الثانى

## بديع المعنى وبديع اللفظ فى سورة الرعد

{أَنَّمْ ، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ . اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرَى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفْعَلُ الْآيَاتُ لَعَلَّكُمْ تَلْقَاءُ رَبَّكُمْ تَوَقُّنُونَ ، وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىً وَأَنْهَارًا وَمَنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَفِى الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ، يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِئِلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِى الْاُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (١)

(٢) لقد أفاض الباحثون والعلماء فى الكلام حول الحروف

المقطعة التى بدئت بها بعض سور القرآن الكريم ، فمنهم من توقف عن الادلاء بأى رأى فيما قائله الله أعلم بمراده ، ومنهم من قال بأنها امتداد للتحدث بالقرآن الكريم وقد لفت نظرى رأى لصاحب الكشف أرى أنه من أرجح الأقوال وأفضلها وفيه يقول : "ماورد فى هذه القوافح من أسماء الحروف هو نصف أسامى حروف المعجم اذ هى أربعة عشرة وهى : الالف ،

(١) الآيات : ١-٥

(٢) انظر مباحث فى علوم القرآن ، د. صبحى المالح ، ط/العاشره ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٨٥هـ ص ٢٣٤-٢٤٦ ، كتاب مناهل العرفان فى علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقانى ، دار الفكر ، بدون تاريخ ٢٢٨٠/٢٢٥/١ .

واللام ، والميم ، والمصاد ، والراء ، والكاف ، والهاء ،  
والياء ، والعين ، والطاء ، والسين ، والحاء ، والقاف ،  
والنون فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ، وهذه  
الأربعة عشر مشتملة على أنصاف أجناس صفات الحروف ففيها  
من المجهورة نصفها الألف ، واللام ، والميم ، والراء ،  
والهاء ، والعين ، والطاء ، والقاف ، والياء ، والنون ،  
ومن الشديدة نصفها : الألف ، والكاف ، والطاء ، والقاف ،  
ومن الرخوة نصفها : اللام ، والميم ، والراء ، والماد ،  
والهاء ، والعين ، والسين ، والحاء ، والياء ، والنون ،  
ومن المطبقة نصفها : الماد ، والطاء ، ومن المنفتحة نصفها  
الألف ، واللام ، والميم ، والراء ، والكاف ، والهاء ،  
والعين ، والسين ، والقاف ، والياء ، والنون ، ومن  
المستعلية نصفها : القاف والماد ، والطاء ، ومن المستقلة  
نصفها : الألف ، واللام ، والراء ، والكاف ، والهاء ،  
والعين ، والسين ، والحاء ، والنون ، ومن حروف القلقة  
نصفها : القاف ، والطاء ، ثم قال :

"ثم اذا استقرت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التى  
ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة  
فسبحان الذى وقت فى كل شيء حكمته" (١) . وهو من أجل وأفضل  
الآراء حيث كشف عن مزايا صوتية أبان عنها الزمخشري حين  
تكلم عنها . وقد تكلم السيوطى عنها أثناء حديثه عن حسن  
الابتداء فى البلاغة لأنه أول ما يقرع السمع ويوقظ الأذهان حيث  
قال : "وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها

(١) الكشف للزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت ، توزيع دار  
الباز للنشر والتوزيع ١٠٠/١-١٠٣ .

(١)  
وأكملها " .

وقد بدت طرائق الكلام فى هذه السورة قائمة على فنى الطباق والمقابلة ، والتي تعد "أى المقابلة" طباقا إلا أنها ليست بين مفردات فحسب كالطباق ، ولكنها مقابلة عدة معان ثم يذكر فى محاذاتها ما يقابلها من المعانى المتوافقة .

وفى هذه الآيات التى بين أيدينا جملة معان أو فنون بديعية قام نظم الآيات عليها ، حيث نلاحظ فيها فن الطباق بين قوله تعالى : السموات ، والأرض ، والشمس ، والقمر ، ورواسى وأنهارا ، والليل ، والنهار ، ومنوان وغير منوان ، وهكذا نجد العلاقة بين الكلمات التى جاءت فى الآيات السابقة هى التضاد كما رأينا أو التناقض فكل جمع بين كلمات متضادة أو متناقضة هو طباق ، والتضاد والتناقض من حيث الطباق سواء بلفرق "والفرق بين الضدين والنقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان كالعدم والوجود ، والضدين لا يجتمعان ولكن يرتفعان كالسواد والبياض" (٢) .

ثم ان الملاحظ أن الطباق فى الآيات السابقة طباق كله بين الأسماء ، السموات والأرض ، والشمس والقمر ، ورواسى وأنهارا ، وبين الليل والنهار ، وبين منوان وغير منوان . وهذا الأخير يسمى عند البلاغيين القدماء طباق السلب وهو طباق بين الأسماء كما نراه حيث جاء مرة مثبتا ومرة منفيًا

(١) الاتقان للسيوطى ص ٣١٨ .  
(٢) التعريفات ، الشريف على بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ص ١٣٧ .

وهذا النوع عرفه العسكرى بقوله : "هو أن تبني الكلام على  
نفي الشيء من جهة وإثباته من جهة أخرى أو الأمر والنهي  
عنه في جهة أخرى ومايجرى مجرى ذلك" . (١) وهو بهذا التعريف  
يتسع المعنى للأفعال والأسماء جميعا مما يجعلنا نجد له من  
فصيح الكلام ما يؤكد صحته ، وهذا لاينطبق على تعريف الخطيب  
الذى حصره في الأفعال دون الأسماء .

ومما يشهد بصحة هذا التعريف قول الشاعر وهو من شواهد

أبى هلال :

خَفِيفُ الْحَاذِرِ نَسَالَ الْفَيَافِي      وَعَبْدٌ لِلْمَحَابَةِ غَيْرُ عَبْدٍ

حيث جاء كلمة "عبد" مثبتة مرة ومنفية أخرى .

ومن شواهد هذا النوع في الأسماء قوله تعالى : {الَّذِينَ  
يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي  
وَلَدْنَهُمْ} (٢) حيث نجد في الآية أمومة مثبتة وأمومة منفية . ومن

شواهد أيضا قوله تعالى : {مِنْ مَفْعَةٍ مَخْلُوقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ} (٣) وقد

تعرضت لها في فصل التشعيب . وقوله تعالى : {وترى الناس  
سكارى وما هم بسكارى} (٤)

وهكذا نجد أن الطباق ليس الغاية

منه أن نجمع بين معنيين متضادين فحسب ، بل لابد أن يكون

هنالك مغزى وراء هذا الجمع وهدف لابد من أن يكون له في

المعنى أثر واضح يظل ببقائه ويذهب بذهابه . والا كان ضربا

من العبث لاجدوى من ورائه .

فالتضاد بين اللفاظ في المعاني كالتضاد في جوانب

(١) المناعتين لأبى هلال ص ٤٢١ .

(٢) المجادلة : ٢ .

(٣) الحج : ٥ .

(٤) الحج : ٢ .

الخلق وحقائق الوجود "ولن تكمل الحكمة والقدرة الا بخلق الشئ وضده ليعرف كل واحد منهما بماحبه ، فالنور يعرف بالظلمة ، والعلم يعرف بالجهل والخير يعرف بالشر ، والنفع يعرف بالضر ، والحلو يعرف بالمر" .<sup>(١)</sup>

فالقضية اذا ليست قضية جمع بين متضادين وكفى ولكنها قضية بناء المعانى وتجليتها فى صورة تعبيرية معينة تكون أمكن على وضوح المعنى المطلوب من غيرها . وهو ماوضح لنا من الآيات السابقة .

ثم ان هذه الآيات فى مجملها مقابلة بين الاشياء العلوية والسفلية ، والمقابلة كما عرفها البلاغيون هى "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما ،<sup>(٢)</sup> أو يقابلها على الترتيب" .

فحين نقف أمام الآيات السابقة نلاحظ خطوطها المتقابلة المتداخلة فى نظام عجيب واتساق تام ، فنحن أمام ارتفاع فى الفضاء المنظور يقابله ارتفاع فى الغيب المجهول ، وأمام استعلاء يقابله التسخير ، وأمام الشمس والقمر يتقابلان فى الجنس نجم وكوكب ويتقابلان فى الاوان بالليل والنهار ، ثم ينزل الخط التصويرى الهائل من السماء الى الأرض فيخط لوحاتها العريضة {وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون} حيث يبين المعالم التى اشتمل عليها العالم السفلى ، فهو الذى مد الأرض وبسطها ثم

(١) تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة ، دار الجبل ، بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ص ١٥-١٦ .

(٢) الايضاح للقزوينى ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ١٦/٦

(٣) فى ظلال القرآن لسيد قطب ص ٢٠٧ .

رسم عليها الرواسى والثوابت وخطوط الانهار الجارية فى الأرض  
ثم تميم هذه اللوحة بما يناسب هذه الخطوط وما تحتويه هذه  
الأرض من الكليات وملابسات الحياة فقال تعالى : { وَمِنْ كُلِّ  
الشَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ } .

ولعل من أبرز سمات هذا المشهد تلك المقابلات الرائعة  
بين الرواسى الثابتة والانهار الجارية ، وبين الزوج والزوج  
من كل الثمرات ، وبين الليل والنهار ، وبين مشهد الأرض كله  
ومشهد السماء السابق .. وهما متكاملان فى المشهد الكونى  
الكبير الذى يضمهما ويتألف منهما جميعا ، ثم يمتد السياق  
القرآنى المبدع فى تصوير وجه الأرض بصورة أدق من المورة  
السابقة لها { وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ  
وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِّلُ بَعْضَهَا عَلَى  
بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } . فنحن أمام  
تقابلات أخرى فى هذه الجزئية البسيطة من الآية حيث نجد  
التقابل بين القطع المتجاورات والنخل صنوان وغير صنوان ،  
والطعوم مختلفات وزرع ونخيل وأعناب ... وهكذا .

ومن أنواع البديع التى ألحظها فى هذه الآيات مراعاة  
النظير وهو فن يأتى على وجه غير الوجه الذى يكون عليه  
الطباق بجمع الصور المتقابلة فيحدثنا عن اليمين لىذكر  
بعدها الشمال ، ويمضى الى الأمام ليرجع الى الخلف ، وينظر  
فى الليل لىذكر النهار ، ويخوض فى البحر ليمل الى البر ،  
وهكذا يترامى بالكلام فى جهات متقابلة ، فان مراعاة النظير  
يبحث عن المعانى المتجانسة ويتجول بينها فاذا حدثنا عن  
السماء لا يثب منها الى الأرض وانما يظل متنقلا بينها فيذكر

النجوم والقمر ، والسحاب والرياح والطيور وهكذا يضع فى أيدينا جملة مألحة مما يدور هناك . وإذا حدثنا عن البحر لايعبر منه الى البر وانما يقف فيه ليذكر أفلاكه وحيثانه وأمواجه ودرره ومدفه وهكذا يؤنسنا بمزيد من عطائه .

والآيات السابقة أرى أنها من هذا القبيل فى جملتها فعند ذكر السماء ذكر استواءه على العرش ثم تنقل بينها فذكر الشمس والقمر وتسخيرهما وهى كما نرى فى العلو مع السماء ، ثم انتقل الى الأرض وذكر الرواسى والأنهار ثم شمرات الأرض والقطع المتجاورات ومابها من زرع وأغراب ونخيل وهى كما نرى متجانسة أشد التجانس وكأنها فى المصحف رقعة خضراء ذات يناعة وثمر وهكذا نشاهد فى النص التناسب ظاهرا حتى كأن هذه المجاميع المتناسبة ترى كالوان الخرائط .

وهذه الآية {وَفِى الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ} مسوقة للدلالة على قدرة الله سبحانه وتعالى وعجيب صنعه ودلائل وحدانيته ، وجاءت هذه الأشياء هنا لتقاربها فى الأشكال والألوان والروائح والمنافع ومايجرى مجرى ذلك . ولما كانت هذه الأشياء فى غاية الوضوح من التقارب جاء ختمها {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} . ومما جاء من هذا القبيل قوله تعالى : {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيقَةٍ أَوْ مِتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يُضَرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} (٢)

(١) ينظر البحر المحيط ٣٦٣/٥-٣٦٤ بتصرف .

(٢) الرعد : ١٧



يتوزع التشابه والتناظر فى هذه الآلية بين الماء والسيل والزبد والربو وهى متجانسة أشد التجانس وبين ألفاظ النار والذهب والايقاد والحلية والمتاع وهى أيضا متجانسة كما نرى .

وعند تأملنا للآيات السابقة مرة أخرى لاحظنا فنيين بديعيين آخرين هما نفى الشئ بإيجابه أو عكس الظاهر . وهذا الفن عرفه ابن الأثير بقوله أن "تذكر كلما يدل ظاهره أنه نفى لصفة موصوف وهو نفى للموصوف أصلاً" (١) وذلك فى قوله تعالى {بغير عمد ترونها} أى "رفع السموات خالية من العمد فالوجه انتفاء العمد والرؤية جميعاً فلا رؤية ولا عمد" (٢) .

وبها فن آخر يقال له فن الاكتفاء . وعرفوه بقولهم : "هو أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر" ومن ذلك قوله تعالى : {يغشى الليل النهار} (٣) حيث "اكتفى بذكر تغشية الليل والنهار مع تحقق عكسه للعلم به منه مع أن اللفظ يحتملها إلا أن التغشية بمعنى الستر وهى أنسب بالليل من النهار" (٤) . ومنه قوله تعالى : {وفى الأرض قطع متجاورات} "حيث اكتفى بذكر المتجاورات ولم يذكر غير المتجاورات" .

وأخيراً نلاحظ الآيات مرة أخرى فنجد أن الآلية الأولى ختمت بقوله تعالى {لعلكم بلقاء ربكم توقنون} ، والثانية ختمت

- 
- (١) المثل السائر ٢/٢٨٩ .  
 (٢) اعراب القرآن وبيانه ، محيى الدين الدرويش ، دار الارشاد بحمص ، ط/الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ١٣/٨٥ .  
 (٣) البرهان للزركشى ٣/١١٨ .  
 (٤) تفسير روح المعانى للآلوسى ، دار الفكر ، ط/١٤٠٣هـ ١٣/١٠١ .

بقوله تعالى : {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} والتي تليها بقوله : {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} . ففي الآية الأولى قال توقنون ولم يقل تؤمنون دليل الى أن الايمان الذى يأتى عن طريق التأمل والتدبر فى آيات الله جميعها هو الايمان الخالص والكامل الذى يمل بمصابه الى درجة اليقين .

وأما الآية الثانية فقد عقب سبحانه الآية بقوله {يَتَفَكَّرُونَ} اشارة الى أن ماذكر فى الأرض وما عليها من رواسى وأنهار وشمرات واغشاء الليل والنهار تنبيه الى عظم المشار اليه فعلى تحتاج الى تفكر واطالة نظر ودوام تأمل حتى يقف المرء على دقائق وأسرار لا تبدو واضحة فى النظرة الأولى الا بعد تفكير وامعان نظر ، وأما ما جاء فى الآية الأخيرة التى ختمها سبحانه بقوله : {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أى يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هاتيك الأحوال العجيبة وظهور الشمار المختلفة فى الاشكال والالوان والطعوم والروائح فى تلك القطع المتجاورة مع اتحاد ما تسقى به ، بل وسائر أسباب نموها لا يتلعثم فى الجزم بأن ذلك مانع حكيم قادر مدبر لها . ولما كانت هذه اللوحة أظهر وأبين من سابقتها تدرك كونها آيات بمحض العقل فلاحاجة للتفكير

(١)

فالنظر يدل على عظمة الخالق المدبر .

قال تعالى : {وَأَن تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ

(١) انظر التفسير الادبى لسورة الرعد ، الدكتور كامل سلامة الدقن ص ٦٤ .

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ  
(١)  
وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ .

#### المعاني اللغوية :

الانغلال : جمع غل وهو القيد الذى يوضع فى العنق وهو  
اشد التقيد . قال تعالى : { إِذِ الْغُلَّالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ }  
(٢) والسلاسل .

المثلات : جمع مثلة - بفتح الميم وضم الثاء - وفى  
القاموس : المثلة العقوبة وما أصاب القرون الماضية من  
العذاب وهى عبر يعتبر بها ، يقول الزمخشري : " المثلة لما  
بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة " . (٣)

عندما ذكر الله سبحانه وتعالى فى أول السورة الكريمة  
الآيات الدالة على قدرته والداعية الى الايمان بالبعث بقطع  
دابر الشك ببرهان اليقين { لَعَلَّكُمْ بَلَاءٌ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ } والتي  
اتفحت فيها قدرة القدير فى ملكوت السموات والأرض ، وتسخير  
الشمس والقمر وتسخير السحاب واجراء الانهار ، وتنويع  
الثمار ، وقد استمدت من غذاء واحد ، وسقيت بماء واحد ،  
ومع ذلك كان منها الحلو والمر والنافع والضار ومنها  
ما يملح للغذاء ، وما يملح للدواء ، وقد أبدع فيها من الحكم  
ما يبذو لكل ناظر ، ويزداد وضوحا عند كل متمعن ، فقدرفته  
لا يمكن أن تكون موطن ارتياب أو محل شك وأن من بقى عنده بعد

- 
- (١) الرعد : ٥-٧  
(٢) تفسير ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م  
٩١/١٣ .  
(٣) تفسير الزمخشري ٣٥١/٢ .  
(٤) اعراب القرآن وبيانه ، لمحيى الدين درويش ٨٦/١٣ .

هذه البراهين شك فقد أهمل قضية عقله وأعرض عن فطرته وحقت عليه كلمة الضلال ، ولا يعرف الى الهدى طريقا .<sup>(١)</sup>

وقد بدأ السياق القرآنى بحكاية أقوالهم العجيبة فى انكار البعث والجزاء ، { وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أُنْشَأُ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } .

ونلاحظ ارتباطها بما قبلها فهو تقرير وتأكيد "الذكر مسألة المعاد لأنه سبقه عرض هائل لذكر الدلائل القاهرة على ما يحتاج اليه من أمر المبدأ" .<sup>(٢)</sup>

ثم ان الربط الذى جاء بواسطة حرف العطف "الواو" قد أحدث تناسقا صوتيا يملأ جرسه القم ويقرع الاذان ، وفى تكرار اسم الاشارة "أولئك" الذى يدل على بعد المنزلة ما يستوجب امر هؤلاء المنكرين الذين أهملوا عقولهم وأبوا الا عمى البصيرة عن الحق ، فالأغلال والنار جزاء لهم من جنس عملهم . ثم ان التعبير بالجملة الاسمية يفيد الاستمرار والثبات ، فهم ملازمون للنار لا ينفكون عنها ولا تنتهى محبتهم لها .

ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلثات وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنْ رَبُّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ .<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) انظر التفسير الادبى لسورة الرعد ص ٣٦ .  
 (٢) تفسير الفخر الرازى ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ٩ .  
 (٣) انظر النظم القرآنى فى سورة الرعد ، محمد سعد الدبل عالم الكتب ص ٨٠-٨١ .  
 (٤) الرعد : ٦

ويبدو أنهم مولعون باستعجال السيئة قبل الحسنة ، وهذا يبين لنا مدى سخفهم وخساسة عقلهم ، وأن هذا الفعل ليس من العقل فى قليل ولا كثير ، والاستعجال هنا طلب التعجيل بالأمر ، والتعجيل تقديم الأمر قبل وقته ، والسيئة كل مايسوء ونقيضها الحسنة وهى كل مايسر ، فهى مقابلة ونسج بديع حيث جاء فى صدر الآية جملتان فعليتان الأولى فعلها مضارع يدل على التجدد والاستمرار لأن الآية توضح معنى تمادى الكافرين فى ضلالهم وتمسكهم برأيهم وهو عدم الايمان الذى بينه طلبهم فى تعجيل العذاب ، والاخرى جاءت بفعل ماض مصدر بقدر تحقيقا وتأكيدا لوقوع العذاب الذى قد حل بمن قبلهم سيحل بهم .

وفى عجز الآية نلاحظ جملتين اسميتين {وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ} تقابل أيضا من جنس مايعمله الناس . ومما يلفت النظر ذلك الجار والمجرور فى قوله {لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ} ، فان كان من منة فهذا أمن ، بل شمول صفحه تعالى عن الناس ، ومغفرته لمن شاء أرحب وأوسع ، ثم تأمل ختام الآية الكريمة حيث جاءت فاصلتها مبنية على حرف الباء وقبله حرف مديد الصوت وهو "الالف" بينما جاءت فاصلة الآيات السابقة منتهية بحرفى الواو والنون ، وفى هذا التنويع تجدد لنشاط السامع والقارىء .<sup>(١)</sup>

ثم ان تقديم مغفرة الله على عقابه فى مقابل تعجل

(١) انظر النظم القرآنى فى سورة الرعد ص ٨٢ .

هؤلاء الغافلين قبل الهداية "ليبدو الفارق الضخم الهائل بين الخير الذى يريده الله لهم والشر الذى يريدونه لأنفسهم ، ومن ورائه يظهر انطباع البصيرة وعمى القلب والانتكاس الذى يستحق درك النار" .<sup>(١)</sup>

وجملة {وَإِنْ رَبُّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ} "احتراس لثلاث يحسبوا أن المغفرة مغفرة دائمة تعريضا بأن العقاب حال بهم من بعد" .<sup>(٢)</sup>  
والمثلاث جمع مثله كسمرة وسمرات وسميت بها لما بين العقاب والمعقاب عليه من المماثلة كقوله تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} على سبيل المماثلة وهى فن بديعى عرفوه بقولهم "ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبتة تحقيقا أو تقديرا"<sup>(٣)</sup>  
وهذه الكلمة المثلاث ممورة لمعناها بجرسها الذى تلقىه فى

الأذن وبظلمها الذى تلقىه فى الخيال .  
{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} .<sup>(٤)</sup>

ويلاحظ أن رابطة التقابل فى المفات بين قوله {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ} ، {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} ، فالانذار من نصيب الكافر والهداية ثمرة الانذار الذى من نصيب المؤمنين فكأن المخصوص بالذكر فى هذه الآية المؤمنين والكافرين فذكر البشارة والانذار" .<sup>(٥)</sup>

وهكذا يبدو أن التقابل واضح فى هذه الآيات بين السيئة

(١) فى ظلال القرآن ٢٠٤٧/١٣ .

(٢) تفسير ابن عاشور ٩٥/١٣ .

(٣) الكشاف للزمخشري ٣٥١/٢ .

(٤) راجع هذا البحث ص ١٨٥ .

(٥) انظر تأملات فى سورة الرعد ، د. حسن محمد باجودة ، دار الاعتماد ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ص ٦٣ .

والحسنة وبين المغفرة والعقاب ، وبين الانذار والتبشير ، وكيف جسدت هذه المقابلة والمشاكلة هذه المعانى التى تتبعناها قبل قليل .

قال تعالى : {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ . سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ } (١)

#### المعانى اللغوية :

الأرحام : جمع رحم بفتح الراء وكسر الحاء وبكسر الراء وسكون الحاء مستودع الجنين فى أحشاء الحبلى وهى مؤنثة والرحم أيضا القرابة والمراد الاولى لالاشانية .

سارب : ذاهب فى سربه بالفتح أى فى طريقه ووجهه يقال سرب فى الأرض سروباً . وفى المصباح : سرب فى الأرض سروباً من باب فقد ذهب وسرب الماء سروباً جرى وسرب المال سرباً رعى نهارة بغير راع فهو سارب وسرب تسمية بالمصدر والسرب أيضا الطريق ومنه يقال خل سربه أى طريقه ، والسرب بالكسر النفس وهو السرب أى رعى البال ويقال واسع الصدر بطيء الغضب والسرب بفتححتين بيت فى الأرض لامنفذ له وهو الوكر . (٢)

(١) الآيات : ٨-١١

(٢) المصباح المثير ، مادة (سرب) .

معقبات : فيها احتمالان : الأول أن يكون جمع معقبة بمعنى معقب والتاء للمبالغة كعلامة ونسابة أى ملك معقب ، ثم جمع هذا كعلامات ونسابات ، والثانى أن يكون جمع معقبة صفة لجماعة ثم جمع هذا الوصف كجمل وجمال وجماليات ، وقال الزمخشري : "وقيل المعقبات الحرس والجلوزة حول السلطان يحفظونه فى توهمه وتقديره من أمر الله أى من قفاياه ونوازه ، أو على التهكم به " .<sup>(١)</sup>

لقد انتهت الجولة الأولى فى الآفاق ، وجاءت هذه تبين مدى احاطة علم الله الواسع وشموله بكل شئ مابان وخفى {الله يعلم ما تحمِل كل أنشى ..} وهنا "يقف الحس مشدوها تحت وقع هذه اللمسات العميقة فى التصوير وتحت ايقاع هذه الموسيقى فى التعبير ، يقف مشدوها وهو يقفو مسار علم الله ومواقعه ، وهو يتبع الحمل المكنون فى الأرحام والسر المكنون فى المدور والحركة الخفية فى جنح الليل ، وكل مستخف وكل سارب وكل هامس وكل جاهر ، وكل أولئك مكشوف تحت المجهر الكاشف يتبعه شعاع من علم الله ، وتتعبه حفظة تحمى خواطره ونواياه . ألا انها الرهبة الخاشعة التى لا تملك النفس معها إلا أن تلجأ الى الله تطمئن فى حماه وان المؤمن بالله ليعلم أن علم الله يشمل كل شئ ، ولكن وقع هذه القضية الكلية فى الحس لا يقاس الى وقع مفرداتها كما يعرض السياق بعضها فى هذا التصوير العجيب .. وأين أية قضية تجريدية ، وأية حقيقة كلية فى المجال من قوله {الله يعلم

---

(١) الكشف للزمخشري ٢/٣٥٢ .



ما تحمل كل أنثى وما تغيض ... { حين يذهب الخيال يتبع كل أنثى فى الوبر والمدر .. وفى البدو والحضر ، وفى البيوت والكهوف والمسارب والغابات كل أنثى من الانسان أو الحيوان أو الطير .. ويتصور علم الله مطلا على كل حمل فى أرحام هذه الاناث وعلى كل قطرة من دم تغيض أو تزداد فى تلك الأرحام !!

واين أية قضية تجريدية وأية حقيقة كلية فى هذا المجال من قوله {سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} حين يذهب الخيال يتبع كل هامس وكل جاهر وكل مستخف وكل سارب فى هذا الكون الهائل ويتصور علم الله يتعقب كل فرد من بين يديه ومن خلفه ويقيد عليه كل شاردة وكل واردة آناء الليل وأطراف النهار !!

ان اللمسات الأولى فى اللوحة الفنية السابقة المعروضة فى مجال الكون الهائل ليست بأضحى ولا أعظم ولا أعمق من هذه اللمسات الفنية الأصلية الآخذة فى أغوار النفس والغيب ومجاهيل السرائر .. وان هذا لكفى لتلك فى مجال التقابل والتناظر" (١) .

ان من بدائع التعبير القرآنى وجمال التصوير فى هذه الآيات انها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع ما قبلها . فهم أنكروا البعث والجزاء وكان فى مظانهم أن تفتت أجزاء الجسم واختلاط الأجسام ببعضها حتى يصير ترايباً فلا يمكن التمييز بينها فجاءت هذه الآية البديعية التى تحتوى على علاقة

التضاد بين كلماتها ، تنبيه على احاطة علمه جل شأنه ودخضا لمقولتهم الفارغة ، ثم ان علمه سبحانه لا يقتصر على ماتحملة كل أنثى من ذكر أو أنثى وانما يعلم أيضا ماتغيضه الأرحام ، وما ازداده بل يعلم سبحانه فوق ذلك . ونلاحظ أن التنظيم والتنسيق جاء فى الآية محتويا على بديع المعنى وهو الطباق وكيف أن الله يعلم مظهر وماخى من خلال أربع كلمات بينهما تضاد .

وقدم غيظ الأرحام على زيادتها ، لأن ملاحظة الغيظ للرحم أظهر للعين وأبين .

ثم ان علم الله واحاطته بكل شىء ، ضابط لكل شىء ومقدر لكل أمر قدره ، فكانت الفاصلة فى موقعها أحسن موقع فالأمر ليس فرطا ولا ابن ممدفة وانما {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} (١) .

والحاصل أن هذه الآية لها علاقة بما سيأتى بعدها من الماء الذى تسيل به الأودية بقدرها فى السيولة والتقدير .. كما أن فى الغيظ والزيادة تلك المقابلة المعهودة فى جو السورة على الإطلاق .

{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} ، لفظ الكبير ولفظ المتعال "كلتاهما تلقى ظلها فى الحس ، ولكن يصعب تموير ذلك الظل بألفاظ أخرى ، أنه مامن خلق حاوت الا وفيه نقص يمغره وما يقال عن خلق من خلق الله الكبير أو أمر من الأمور كبير ، حتى يتضاءل بمجرد أن يذكر الله وكذلك

(١) انظر التفسير الادبى لسورة الرعد ص ٦١ .

المتعال أترانى قلت شيئاً ؟! لا ولا مفسر آخر للقرآن وقف أمام  
(١)  
الكبير المتعال" كما قال الشهيد سيد قطب رحمه الله .

وفى الآية نوع من أنواع البديع سماه القزوينى "تشابه  
(٢)  
الاطراف" وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى .  
فذكر سبحانه { الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ } بعد قوله {عَالِمُ الْغَيْبِ  
وَالشَّهَادَةِ} فكونه سبحانه عالم الغيب والشهادة يناسبه أن  
يذكر من أسمائه الحسنى الكبير المتعال فبكبره وتعاليه  
يحيط بكل شيء علماً . وهذا النوع من مراعاة النظير يتميز  
عن بقية الصور بأنه يتوافر فيه قدر من التنظيم والملاحظة فى  
توزيع المعانى المتناسبة حتى كأنه صنعة مفردة فى بناء  
الكلام . وهو كما نرى يهدى الى دقائق فى أسلوب القرآن  
وبلاغته وقد عد ابن أبى الاصبع فى كتابه بديع القرآن قدراً  
صالحاً منها .

{سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ  
بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} .

نلاحظ وجود مقابلة بين قوله أسر ، وجهر ، ومستخف  
بالليل ، وسارب بالنهار . ثم ان كلمة مستخف تعنى المبالغة  
فى الاختفاء كأن فوق اختفائه طالب للمزيد من الخفية كما  
يفهم من السين والتاء .

والذى يفهم من الآية أن المقصود تقرير شمول العلم  
وذلك عن طريق المبالغة المدمجة فى المقابلة . وقدم سبحانه  
أسر على جهر ، ومستخف على سارب لأن تعلقه سبحانه بالمر

(١) فى ظلال القرآن ٢٠٤٩/٤ .

(٢) الايضاح للخطيب القزوينى ص ٢١٢ .

والمستخفى أمكن لتقرير الشمول ، وقد أردف سبحانه المستخفى بالليل والشارب بالنهار لتأكيد الاستخفاء والسروب ، فالليل أعون على الاستخفاء والنهار أجلى للسروب وهو تأكيد قائم على فن المقابلة كما نرى .

{لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} (١)

والآية وطيدة الصلة بسابقتها ، حيث يتكلم عن الانسان الذى يسر القول ، ويخافت أو يظهره ويجهر به ، أو يحتجب عن الانظار فى هدأة الليل أو يتحرك بين الناس فى ونح النهار .. هذا الانسان له جند يحرسونه ويحفظونه ، يرقبون كل خطوة له فيرمدونها .

والمعقبات هم هؤلاء الجند ، يرون الانسان ولا يراهم ويرمدون أعماله وهو لا يدري من أمرهم شيئا . ثم تأمل كيف جاء النظم قائما على الفن البديعى الغالب على آيات السورة الكريمة وذلك أنها تتحدث عن الشيء وما يقابله ، ففي قوله {مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ} طباق معنوى أى من أمامه ومن ورائه ثم أنها تشتمل على صفتين متقابلتين فالصفة الأولى هى صفة الحفظ ، والاخرى هى المقابلة لها وهو الحاق السوء بمستحقه وانزال الهلاك بهم . ثم ان قوله واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، تتميم لتدارك ما ذكر سابقا . وهو فن بديعى معناه (٣)

(١) آية : ١١

(٢) انظر التفسير الادبى لسورة الرعد ص ٦٣ .

(٣) انظر روح المعانى للآلوسى ١١٦/٥ .

(١)

أن يتم الكلام ، فيلحق به ما يكمله اما مبالغة أو احترازا  
أو احتباكا . وفى الآية على ما يبدو أنه وقع احتراز ذلك  
لأنها تدفع ما قد يتوهمه متوهم من أن العالم خاضع لما يجرى  
من العباد ويأتونه من خير أو شر فإين قدرة الله واطلاق  
مشيئته وإرادته ؟ فجاءت هذه الآية لدفع ذلك التوهم ورد  
الأمر الى وضعه الحقيقى ، ببيان أن من يهد الله فلا مضل له  
ومن يضل فلا هادى له ، وما تشاءون الا أن يشاء الله . (٢)

قال تعالى : {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ  
السَّحَابَ الثِّقَالَ ، وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ  
وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ  
شَدِيدُ الْمُنَالِ . لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ  
لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ  
وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ . وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ  
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . قُلْ  
مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ، قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ  
لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ  
هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ  
فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ  
الْقَهَّارُ } (٣)

#### المعانى اللغوية :

البرق : عبارة عن النور اللمع ساطعا من السحاب .

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٧٠/٣ .

(٢) التفسير الادبى لسورة الرعد ص ٦٦ .

(٣) الايات : ١١-١٦

الرعد : عبارة عن صوت احتكاك الهواء الناشئ من  
(١)  
تفريغ جزء منه بسبب اصطدامه بالشرارة .

المحال : المماحلة وهى شدة المماكرة ومذه تمحل لكذا  
إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده  
(٢)  
وسعى به الى السلطان . قال الأعشى :

فَرَعَ نَبْعَ يَعْشُ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ  
عَزِيزُ النَّدى شَدِيدُ الْمِحَالِ

أى شديد القوة وفى الأساس ، وماحله كايده وهو شديد  
المحال ورجل متماحل فاحش الطول وبلد متماحل : بعيد قال  
يمصفر فرسا :

مِنَ الْمُسَبِّطَاتِ الْجِيَادِ طَمْرَةٌ  
لَجُوجِ هَوَاهَا السَّبَبِ الْمَتَمَاحِلِ

ضلال : ضياع وخسارة ، وهو هنا بمعنى الباطل الذى  
لاغناء فيه ولانفع منه .

ظلالهم : جمع ظل وهو ستر الشخص ما يمازائه والظل  
والظليل وأما الفء فهو الذى يرجع بعد ذهاب ضوئه لسترها .  
(٣)  
الامال : جمع أمل والأمل جمع أميل وهو ما بين العمر الى  
مغرب الشمس .

يلاحظ فى الآيات أنها سلكت أو أخذت طابعها العام وهو  
الجمع بين المفات المتقابلة ، وأن المعانى فيها يغلب  
عليها التطابق والتقابل فالخوف مع الطمع ، والترهيب مع  
الترغيب هذا التضاد نوع من المناسبة لأن الضد أقرب خطورا

(١) تفسير ابن كثير ٥٠٤/٢ .  
(٢) أساس البلاغة للزمخشري ، مادة (محل) .  
(٣) التفسير الادبى لسورة الرعد ص ٦٩ .

بالبال عند ذكر ضده .

ثم هناك نوع آخر من بديع المعنى يطلق عليه التقسيم وفيه من التنظيم وتوزيع المعانى ما يملأ النفس بجلاله وهو عبارة عن تقطيع وحدات متكاملة وهذا التقطيع نفسه مزية معنوية ونغمية معا ، وقد ذكر ابن حجة مذكره البلاغيون فى معنى التقسيم ثم قال : ويعجبني بلاغة زكى الدين بن أبى الاصبع فانه قال فى التقسيم : "عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه ومثل ذلك قوله تعالى : {هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا} وليس فى رؤية البرق غير الخوف من الموائع أو الطمع فى الأمطار ولا ثالث لمهذين (١) القسمين " .

وهذا موقع دقيق - كما نظن - يتورط فيه أرباب النظم والنثر وهو مظنة الخلط لانه يحتاج الى شقوف طبع وثقوب نظر .  
{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الْمَوَائِقُ فَيَمِيْبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِى اللّٰهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} .

تأمل قوله تعالى {ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته} كيف خلق سمات الحياة والحركة على من ليس من شأنه الحياة كالجسمادات وغيرها من مشاهد الكون الصامتة لتشارك فى المشهد بحركة من جنس حركة المشهد كله فهو مشهد احياء فى جو طبيعى وفيه الملائكة تسبح من خيفته سبحانه وفيه دعاء الله ودعاء للشركاء وفيه باسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه

وما هو ببالغته .. ففي وسط هذا المشهد الداعى العابد المتحرك اشترك الرعد ككائن حي بموته فى التسبيح والدعاء . ثم يكمل جو الرهبة والابتهال والبرق والرعد فيصيب بها من يشاء وفى هذا تتمة الدلائل السابقة التى تملأ النفوس رهبة وخشية ، ولعلها أشدها فى ايجاب الحذر والخوف فالصواعق تنقض على حين غفلة وتنزل على ماتصيبه فأين منها المفر وهى تصيب بها من يشاء ؟ وكل هذه الدلائل الباهرة تتراءى لمؤلاء المعاندين وتكرر أمامهم وهم يجادلون فى (١) الله وهو شديد المحال .

وهذا تعقيب جميل يدل على عظيم قدره سبحانه وأنه هو القاهر فوق عباده بيده الأمر وهو شديد المحال أى شديد المكر والكيد لأعدائه يأتهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون . وقد جاءت الخاتمة على سبيل المشاكلة وقد مر ذكرها .

أرأيت كيف جسدت المعانى فى هذه الآية ؟ وأنها قامت على فن المقابلة التى مرت بنا قبل قليل والتى جاءت بين تسبيح الرعد وتسبيح الملائكة وجو الرهبة والابتهال ودعاء الله ودعاء غير الله وباسط كفيه ... الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغته وفى هذه الجملة " الا كباسط كفيه الى الماء " حيث نجد فيه من حسن الأسلوب ما يأخذ العقول ، فكلمة "الا" كأنها تفتح ذهن السامع الى انهم قد حصل لهم استجابة ما فيتلهف ليعرفها ويريد أن يتلقاها وإذا بها الاستجابة المؤيسة تمام اليأس ، هى استجابة من لا يعقل ولا يسمع ولا تغنى عنك شيئاً ، فهى أشبه شئ بما يسميه علماء البلاغة تأكيد الذم بما يشبه المدح أى ان كان من الماء لمن يدعوه

(١) انظر فى ظلال القرآن ٢٠٥١/٤ .



استجابة فيكون من تلك الاصنام لهم استجابة .  
 ﴿لِّلّٰهِ يَسْجُدُ مَنۡ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا وَّكَرْهًا وَظُلُمًاۙ  
 بِالْغُدُوِّ وَالْاَصَالِۙ﴾ .

والذى نلاحظه ان الآية قائمة على التضاد بين قوله  
 السموات والارض ، وطوعا وكرها والغدو والاصال . فالعلاقة بين  
 الكلمات السابقة هى التضاد والتقابل ، وهذا يعنى خضوع  
 الكائنات باجمعها لنواميس تكوينية وآثار قدرته وذلك لايأتى  
 الا عن طريق المقابلة المعهودة ، وهو ما نلاحظه أيضا فى الآية  
 التالية .

﴿قُلۡ مَنۡ رَّبِّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ قُلۡ اللّٰهُ قُلۡ اَفَاتَّخَذْتُمۡ مِّنۡ  
 دُونِهٖ اَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُوْنَ لٰنَفْسِهِمْ نَفْعًا وَّلَآضَرًّاۙ قُلۡ هَلۡ يَسْتَوِى الْاَعْمٰى  
 وَالبَصِيرُۙ اَمْ هَلۡ تَسْتَوِى الظُّلُمٰتُ وَالنُّورُۙ اَمْ جَعَلُوۡا لِلّٰهِ شُرَكَاءَ  
 خَلَقُوۡا كَخَلْقِهٖ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلۡ اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْۡءٍ وَهُوَ  
 الْوَاحِدُ الْقَهَّارُۙ﴾ .

فنلاحظ ان المقابلة كانت بين من لا يملك لنفسه نفعا  
 ولاضرا ، ومن هو القهار القادر على كل شيء ، وكانت أيضا  
 بين الاعمى من لا يدرك الحقائق والبصير الذى يدركها ، وبين  
 الظلمة التى تعتمد النفس والنور الذى يشرق به القلب ، ومن  
 يخلق ومن لا يخلق وهى كما نرى ينابيع للمسترشد وكأنها  
 بمثابة الفمل الهادى المرشد . وفى المقابلة الاولى بين من  
 لا يملك لنفسه نفعا ولاضرا فهما ليسا متساويين ونراه فى  
 المقابلة الاخرى نفى التسوية بين من أدرك الحق واهتدى ومن  
 ضل وغوى والاخير كالأعمى والاول كالبصير ، وهكذا :  
 (١)

(١) انظر المعجزة الكبرى القرآن ، لمحمد أبى زهرة ، دار  
 الفكر ، ط/بدون ص ٣٢٢-٣٢٣ .

ويلحظ فى قوله تعالى {خلقوا كخلقه} فن يقال له التهمكم وهو قول ظاهره جد وباطنه هزل لمجيئه على سبيل الاستهزاء والسخرية . وسياق الآية تهكم لأن غير الله لا يخلق خلقا البتة لا بطريق المشابهة ولا المساواة ولا بطريق الانحطاط والقصور ، فقد كان يكفى فى الإنكار عليهم أن الشركاء الذين اتخذوهم لا يخلقون مطلقا ولكن جاء قوله تعالى كخلقه تهكما يريد الإنكار تأكيدا .

ثم نلاحظ فى الآية فنا بديعيا يسمى المذهب الكلامى وعرفه أبو حيان فى تفسيره حين تكلم عن الآية السابقة بقوله "هو أن يذكر المتكلم معنى يستدل عليه بضروب من المعقول" (١) ومن ذلك انطلاق الجواب من السائل إذ لأجواب غيره كما فى قوله تعالى : {قُلْ مَنْ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ} يقول : "ولما كان السؤال عن أمر واضح لا يمكن أن يدفع فيه أحد كان جوابه من السائل ، فكان السبق اليه أفصح فى الاحتجاج اليهم وأسرع فى قطعهم فى انتظار الجواب منهم إذ لأجواب إلا هذا الذى وقعت المبادرة اليه كما قال تعالى : {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ} . (٢)

قال تعالى : {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ . لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ

(١) البحر المحيط لأبى حيان ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ٣٧٨/٥ .

(٢) سبأ : ٢٤

الْحَسَنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا  
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ  
وَبِئْسَ الْمِهَادُ .

{أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى  
بَلْ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ (١) أَلْبَابٌ} .

#### المعاني اللغوية :

احتمل : أى حمل فانتقل بمعنى المجرد أو هو بمعنى  
المطاوع كما يفهم من عبارة الأساس وحملت الشيء وحملني  
غيرى فاحتملته وتحملته ومن المجاز حملت أدلته على  
واحتملته قال :

أَوَّلَتْ فَلَمْ أَحْمَدْ وَقَالَتْ فَلَمْ أَجِبْ  
لَعَمْرُ أَبِيهَا إِنِّي لَظَلُومٌ

زبداء : هو ما يعلو وجه الماء ويقال له الغشاء والرغوة  
جفاء : قال ابن الأثير : الجفاء المتفرق يقال جفأت  
الريح السحاب أى قطعتة ومزقتة . وقيل الجفاء ما يرمى به  
السيول يقال جفأت القدر بزبداء تجفأ من باب قطع وجفأ السيل  
بزبداء وأجفأ وأجفل باللام وفى همزة جفاء وجفان أظهرهما  
أنهما أمل لوجودهما فى تصاريف هذه المادة والثانى أنها بدل  
من واو . وقال فى الأساس : "ذهب الزبد جفاء أى مدفوعا  
مرميا به قد جفأ الوادى الى جنباته ، ويقال جفأت القدر

(١) الآيات : ١٧-١٩

(٢) أساس البلاغة ، مادة (حمل) .

(٣) اعراب القرآن وبيانه ، محيى الدين درويش ٨٨/١٣ .

بزبدها ، ومر جفاء من العسكر الى البيات أى جماعة  
معتزلة من معظمه وثقول سامه جفاء ونبذه جفاء اذا عزله عن  
(١)  
محبتة " .

عندما ضرب الله فى الآيات السابقة مثل الأعمى والبصير  
والمؤمنين والكافرين ومثل النور والظلمات للايمان والكفر  
ضرب هنا مثلا للحق وأهله والباطل وحزبه فقال تعالى : { أَنزَلَ  
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا  
رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ  
مِثْلَهُ كَذَلِكَ يُفْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً  
وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ . كَذَلِكَ يَفْرِبُ اللَّهُ  
الْأَمْثَالَ } .

انطوت الآية السابقة على أنواع بديعية نلخصها فيما

يلى :

(أ) ضرب المثل :

فى الآية مثلاً ضربهما الله للحق وأهله والباطل وحزبه  
فمثل للحق وأهله بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به  
أودية بقدرها فتخضر وتنبت وتزدهر وينتفعون بأنواع المنافع  
والجواهر التى يموغون منها الحلى والآلات التى تضىء عليهم  
القوة والهيبة والجمال والبأس الشديد وان ذلك كله ماكنث فى  
الأرض لاتخلق له جدة ولاتذبل منه فضارة وشبه الباطل فى سرعة  
اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنافع بزبد السيل الطافى  
الذى تقحمه العين وينبؤ عنه البصر لعدم جدواه وبالوضر

الذى يطفو فوق الجوهر اذا أذيب . وهو كما نرى قائم على  
المقابلة .

(ب) وأما النوع الآخر الذى نعنيه هو ذلك الفن الذى يشهد  
تلاحمه وتقوى قرائنه كلما دققنا النظر والتفكير فى  
ألوان معانيه ، ونعنى به "مراعاة النظير" .

فالتشابه والتناظر فى هذه الآلية يتوزع فى الألفاظ :  
الماء والسيل ، والزبد والربو . والفاظ النار والجوهر  
والفلزات المعدنية وألفاظ الايقاد والحلية والمتاع وهى كما  
ترى ألفاظ متجانسة أشد التجانس .

والناظر فى تشابكها وتلاحمها لابد أن يكون نظره رهفا  
نافذا لأن ألوان المعانى التى هو بمدد التعرف عليها ليست  
ألوانا فاقعة وتراها العيون وإنما هى غلالات شفيفة تلمحها  
القلوب ، كما يقول ابن جنى .<sup>(١)</sup>

فتأمل الآلية تجد القضية ، مسألة مراعاة بين الحق  
والباطل ، فالحق هو القرآن الكريم فى نزوله من عند الله  
واستقراره فى قلوب المؤمنين وثباته فيها وانتفاعهم بالماء  
النازل من السماء السائل فى أودية كل واد وماقدر له ،  
وهذا الماء ينزل من السماء فتسيل به الأودية يحمل معه فى  
جريانه واندفاعه غشاء ورغوة وزبدا فيختلط بالماء فيعكر  
صفوه . وهناك صورة أخرى تشبه هذه الصورة تلك هى مهر  
المعادن من ذهب وفضة ونحاس ورصاص بالنار فتتحول الى سوائل  
أشبه بالماء ومن ثم تتخلص من الشوائب التى علق بها فتصبح

(١) الخصائص لابن جنى ٣٤/٢ .

نقية صافية ينتفع بها الناس فى حياتهم . فهذه المعادن حين تنصهر ، يعلو سطحها زبد أشبه بالزبد الذى يعلو فوق سطح الماء عند جريان السيل ، وأن هذه الشوائب التى تختلط بالمعدن المنصهر هى خبث يلقى به بعيدا عن جوهر المعدن حتى يخلص للطرق والمقل ، ويمبح آنية نافعة أو حلية ثمينة .

ثم ان هناك نوعا آخر من بديع المعنى "التقسيم" ، وهذا النوع عده الشيخ عبد القاهر الجرجانى مما يتحد فيه الوضع ويدق فيه الصنع وقال "فاعلم أنه النمط العالى والباب الأعظم الذى لا ترى سلطان المزية يعظم فى شيء كعظمه (١) فيه" .

وهذا النوع هو التقسيم وقد عرفه الخطيب بقوله : "ذكر (٢)

متعدد ثم اضافة مالكل اليه على التعيين" .  
فانظر الى قوله : {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} .

فقد ذكر سبحانه الحق والباطل ثم ذكر مالكل على

التفصيل ، وقد يكون من باب الجمع مع التقسيم .

وفى قوله تعالى : بقدرها احتراسا بديع ، ثم ان الآية قائمة على فن المقابلة وأدمجت فيها هذه الفنون الأخرى فكانت فى أبهى نظام ، حتى نفذت بالنفوس نقادا لانجده فى كلام العرب .

(١) دلائل الإعجاز ص ٧٤ .

(٢) الإيضاح ص ٢٠٣ .

كذلك يضرب الله الأمثال . وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل وتأكيد لقوله تعالى {يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ} فما أروعه من تعقيب .

ومن الملاحظ أيضا أن هناك لف ونشر في هذه الآية ، من قوله {فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ ...} الخ يقول الألوسى : "وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلة الموافق للترتيب الواقع في التمثيل قيل لمراعاة الملاءمة بين حالتى الذهاب والبقاء وبين ذكرهما بأن المعتبر إنما هو بقاء الباقي بعد ذهاب الذهاب لأقبله " (١) .

أرايت كيف جاء النظم على التمثيل ومن ثم تفرعت هذه الفنون عن التمثيل حتى جاء النظم متحدا مترابطا ، كما رأينا ، وهو نظم لانبثقى عنه حولا ولانجد له بدلا ، ولقد قال الزمخشري عن التمثيل كلاما قيما وهو : "ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفى من ابراز خبيثات المعانى ورفع الاستار عن الحقائق ، حتى يريك المتخيل فى صورة المحقق والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ، وفيه تبكيت للخصم الالذ ، وقمع لسورة الجامع الأبى " (٢) .

ويقول أبو السعود : "القول السائر الذى يمثل مضربه بمورده ، وحيث لم يكن ذلك الا قولاً بديعاً فيه غرابة صيرته جديراً بالتسيير فى البلاد وخليقاً بالقبول استعير لكل حال أو صفة أو قصة لها شأن عجيب ، وخطر غريب من غير أن يلاحظ

(١) روح المعانى للألوسى ١٣٢/٥ .

(٢) تفسير الكشاف ١٩٥/١ .

بينهما وبين شيء آخر تشبيه الذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له ، لو أن لهم مافى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب وماواهم جهنم وبئس المهاد " (١) .

نلاحظ أن النظم هنا جاء مبنيًا على المقابلة بين قوله للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له ، بينهما تضاد يبين الفارق العظيم بين المفتين فالذين استجابوا فى شوق لأن يروا ما وعدهم به الله والذين لم يستجيبوا فى خوف بما أعده الله لهم من عذاب مقيم . قال الألوسى : "وهى على ما قيل واقعة موقع السوائى المقابلة للحسنى الواقعة فى القرينة الأولى فكأنه قيل : وللذين لم يستجيبوا له السوائى ... فالذى ينبغي أن يعول عليه أن الواقع فى تلك المقابلة سوء الحساب فى قوله تعالى { أولئك لهم سوء الحساب } وحيث كان اسم الإشارة الواقع مبتدأ فى هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدأ فى الجملة السابقة كان خبره أعنى الجملة الظرفية خبرا عن الموصول فى الحقيقة ومبينًا لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا ، ولذلك ترك العطف فكأنه قيل "والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب وذلك فى قوة أن يقال : وللذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تأكيد فتم حسن مقابلة على أبلغ وجه (٢) و أكده " .

(١) تفسير أبى السعود ٨٧/١ .  
(٢) تفسير روح المعانى ١٣٣/٥ .



ثم يلاحظ أن الفاصلة تلتئم بالمعنى وتكمله ويلاحظ  
 مافيها من سوء الخاتمة لهؤلاء الذين لم يستجيبوا له  
 فمأواهم جهنم وبئس المهاد . أى "بئس الفراش والوطاء جهنم  
 التى هى مأواهم يوم القيامة" كما يقول ابن جرير .<sup>(١)</sup>  
 لما كانت المقابلة فى الآيات السابقة بين الماء  
 والنار وبين الحق والباطل وبين ماينفع الناس فيمكت فى  
 الأرض ومايذهب جفاء وبين الذين استجابوا لربهم يوم القيامة  
 والذين لم يستجيبوا له ، جاءت المقابلة فى هذه الآية {أَفَمَنْ  
 يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ  
 أُولُو الْأَلْبَابِ} . جاءت المقابلة هنا فى اجمال تام بين  
 فريقين من الناس - العمى والمبصرين ، فالذين يتذكرون انما  
 هم أولو الالباب ، فالعمى هم عمى القلوب والبصائر ،  
 والمبصرون تشير الى مبصرى القلوب والبصائر . فالحظ هذا  
 التناسق العجيب الذى يثير الانتباه ، فهما عالمان متضادان.<sup>(٢)</sup>  
 قال تعالى : {الَّذِينَ يُوقُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَا يُنْقِضُونَ  
 الْمِيثَاقَ . وَالَّذِينَ يُمِلُّونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُؤْمَلَ وَيَخْشَوْنَ  
 رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ . وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ  
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ  
 بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا  
 وَمَنْ مَّلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ  
 عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى  
 الدَّارِ} .<sup>(٣)</sup>

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ١٣/١٣٨ .

(٢) انظر تأملات فى سورة الرعد ، د . حسن باجودة ص ١٣٩ .

(٣) الآيات : ٢٠-٢٤

بعد أن ذكر الله سبحانه المثل بين فريقين من الناس  
عمى ومبصرون وأوضح أنه لا يتذكر إلا أولو الألباب. فاسب أن  
يذكر من هم أولو الألباب وما ينالونه من جزاء. مقيم يوم  
القيامة ، وصلة هذه الآيات بسابقتها اتصال تعقيب واستطراد  
وقد سجلت الآيات التالية وصفا محببا لمن يشع الإيمان في  
صدورهم ، وهم أولئك الذين تمسكوا بهدى الله ورسوله . وكان  
هذا الوصف في تسع صفات جليلة كانت تفصيلا وتصريحا لما تضمنه  
ذلك المثل الجليل في قوله تعالى : { أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنْ مَا نُزِّلَ  
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ ... الخ ولعل من شدة الارتباط بين المثل  
على أجماله وبين ما جاء لشرحه وتغميله ظن بعض المفسرين أن  
قوله { الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ } بدل من قوله { أُولُو الْأَلْبَابِ }  
أو من قوله { أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنْ مَا نُزِّلَ إِلَيْكَ } ونلاحظ أيضا أن  
قوله الذين يؤفون : مبتدأ موصوف بتسع صفات هي يؤفون بعهد  
الله ، ولا ينقضون الميثاق ، ويصلون ما أمر الله به أن يوصل  
ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ، صبروا ابتغاء وجه ربهم  
وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ،  
ويدرون بالحسنة السيئة وخبره أي المبتدأ قوله تعالى :  
{ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ } وكذلك قوله { وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ  
الْمِيثَاقَ } وخبره { أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ } ولكن  
الملاحظ في الآية الشريفة في قوة الارتباط كأنها كلام واحد  
وجملة واحدة ، فترى فوائدها المتنوعة المتكررة وكأنك  
لاتزال في الكلام الأول وهذا من أهم وأجل الميزات التي امتاز  
بها الكتاب الكريم . ثم ان هذا النمط البديعي الذي يسميه  
البلاغيون اللف والنشر أو الإجمال بعد التفصيل وعرفوه بقولهم

"ذكر متعدد على التفصيل أو الاجمال ثم ذكر مالكل من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كل واحد الى ما هو له" . فقد أجمل سبحانه { إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ } ثم فصل سبحانه بمفاتيح المؤمنين وهى قوله { الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ... } الخ .

{الذين يؤفون بعهد الله ولاينقضون الميثاق} الملاحظ هنا تأكيد للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل . قال أبو حيان : "الظاهر أن هذه الجملة تأكيد للتي قبلها لأن العهد هو الميثاق ويلزم ايفاء العهد انتفاء نقيضه" .

{وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} وهو وصف عام لما جاء فى كتاب الله وماورد فى سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم من وجوه البر والخير ، ولاوجه لتضييق الفائدة مع اتساع الآية للجميع فيدخل من جميع الأمور الواجبة الرعاية بين العباد .

{وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ} والملاحظ أن الخشية والخوف متقاربان فى المعنى وان فرق بعضهم بينهما بعض التفريق نحو : أن الخشية خوف يصحبه تعظيم واجلال المخشى وان كان الخاشى أيضا عظيما ، والخوف يرجع الى ضعف الخائف وان كان المخوف منه أمرا يسيرا .

وجاء فى الصفة السادسة قوله تعالى : {وَالَّذِينَ مَبْرُوءًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ} أى أنهم مبروا على كل ماتكرهه النفس من

(١) الايضاح للقزوينى ص ٢٢٣ .

(٢) البحر المحيط لابن حيان ٣٨٥/٥ .

(٣) انظر التفسير الادبى لسورة الرعد ص ١١٦ .

(٤) المرجع السابق ص ١١٦ .

المصائب المالية والبدنية وما يخالفه هوى النفس كالانتقام ونحوه وقد عبر بصيغة الماضى "مبروا" للإشارة الى أن فضيلة الصبر يذبغى أن تكون مستقرة ثابتة لا تزول ولا تزلزل وأما الأعمال التى سبقت معبرا عنها بصيغة المضارع لأنها تتجدد حيناً بعد حين لكل مناسبة كالوفاء ، ووصل ما أمر الله به أن يوصل . وقد يقصد به الاستصحاب والالتباس وأما التعبير بالماضى فقد قصد تقديمها على ذلك لأن حصول تلك الصلوات إنما هى مترتبة على حصول الصبر وتقدمه عليها .<sup>(١)</sup>

ولذا لم تأت صلة فى القرآن إلا بصيغة الماضى إذ هو شرط فى حصول التكليف وإيقاعها - وفى إرشاد العقل السليم "حيث كان الصبر ملاك الأمر فى كل ما ذكر من الصلوات السابقة واللاحقة أورد بصيغة الماضى اعتناءً بشأنه ودلالة على وجوب تحقيقه"<sup>(٢)</sup> .

وعطف قوله وأقاموا الصلاة من باب عطف الخاص على العام وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ، والحظ قوله سرا وعلانية بينهما تفاد لبيان أن الانفاق على كل حال حسن جميل ، فقوله سرا حيث يحسن السر حينما يخشى الرياء والخيلاء ، أو حفظاً لكرامة من تمنعه الشهامة من الأخذ ظاهراً ولعل تقديمها للإشارة الى فضل صدقته ، وعلانية حيث تحسن العلانية كما إذا كان الأمر على خلاف ما ذكر .<sup>(٣)</sup>

والمفصلة التاسعة {ويدرءون بالحسنة السيئة} فيها مقابلة وتضاد أى كأنهم يدفعون الشر بالخير والاساءة

(١) المرجع السابق ص ١١٧ .  
(٢) تفسير أبى السعود ٤٣٢/٣ .  
(٣) التفسير الادبى ص ١١٨ .

بالاحسان . فهؤلاء لهم عقبى الدار " أى الدار الخالدة  
الباقية وان الدار الآخرة هى الحيوان لو كانوا يعلمون " .  
ثم ان قوله تعالى {صَبَرُوا ابْتَغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ} فن  
الاحتباس ، حيث انتفى بقوله ابتغاء وجه ربهم أن يكون مبرهم  
ناشئا عن حب الجاه والشهرة أو ليقال ما أمبره وما أحمله  
للنوازل وأوقره عند الزلازل لثلا يشمت به الأعداء . كقول أبى

ذؤيب :

وَتَجَلَدَى لِلشَّامِتِينَ أَرْيَهُمْ  
أَنْى لَرِيبِ الدَّهْرِ لَا أَتَزَعُ  
{وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ  
اللَّهُ بِهِ أَنْ يَوْصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ  
سُوءُ الدَّارِ . اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا  
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ،  
وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، قُلْ إِنْ اللَّهُ  
يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ  
قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا أَبَى } (١)

وفى المقابل نرى أوصاف أولئك الذين لاعقول لهم  
فيتذكرون ولاوعى فيبصرون وهم على نقيض فى كل شىء مع أولى  
الالباب . والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون  
ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدون فى الأرض أولئك لهم  
اللعنة ولهم سوء الدار .

انهم ينقضون العهد المأخوذ على الفطرة ، وينقضون من بعده كل عهد فمتى نقض العهد الأول فكل عهد قائم عليه منقوض من الأساس ، والذي لايرعى عهد الله لايبقى على عهد ولاميثاق ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل على وجه العموم والاطلاق ويفسدون فى الأرض فى مقابل صبر أولئك واقامتهم الصلاة وانفاقهم سرا وعلائية ودرء السيئة بالحسنة فالإفساد فى الأرض يقابل هذا كله .

وقوله أولئك هنا يقابل "أولئك" هناك أى أولئك هم المبعدون المطرودون من رحمة الله . لهم اللعنة ، أى السخط والمقت من الله والطرده هنا يقابل التكريم هناك ولهم سوء الدار يقابل عقبي الدار هناك .<sup>(١)</sup>

وهذه المجموعة من الآيات فى وصف الأشقياء جاءت فى مقابلة المجموعة السابقة فى وصف الاتقياء السعداء . فقوله {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ} جاءت فى مقابل ماسبق فى صفة المؤمنين فى قوله تعالى : {الَّذِينَ يُوفُونَ بَعْدَ عَهْدِهِ وَيَتَّقُونَ اللَّهَ} فجاءت هذه الصفة لتلك عاما . وقوله يقطعون مقابل يملون ماأمر الله به أن يوصل .

ثم تدبر قوله {أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} أى الموصوفون بهذه الصفات مطرودون من رحمة الله ولهم سوء الدار ، ويجوز أن يكون المراد هنا بالدار الدنيا وسوء عاقبتها عذاب جهنم أو جهنم نفسها . ولم يصرح بلفظ عاقبة لأن عاقبة السوء لاتستحق أن تسمى عاقبة فلم يقل : سوء عاقبة تفاديا أن يجعلها عاقبة حيث جعل العاقبة المطلقة الجنة . ويجوز أن يكون المراد بالدار جهنم والمراد بسوئها عذابها .<sup>(٢)</sup>

(١) انظر التفسير الادبى لسورة الرعد ص ١٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٥ .

والأول أبلغ لرعاية التقابل ، لأن المتبادر الى الذهن من الدار الدنيا بقريظة السابق ولأنها الحاضرة في أذهانهم والتعبير بكلمة "لهم" دون "عليهم" للإشارة الى أن هذا قد أصابهم استحقاقا بما كسبوا لأنه أمر فرض عليهم فرضا (١) بدون استحقاق .

ثم تأمل السر في تكرير هذه الكلمة "لهم" في وصف المتقين والمنكرين فقال هناك {لهم عقبى الدار} وقال هنا {لهم سوء الدار} للتأكيد والايذان باختلافهما . واستقلال كل منهما في الثبوت ، أى فهؤلاء لهم جهنم وساءت مصيرا ، وأولئك لهم الجنة وحسنت مستقرا ومقاما وقوله "لهم" على سبيل التملك والتخصيص وفي المقابلة ما فيها من الترغيب والترهيب الشديدين ، فستان بين الجنة والنار وبين النعيم المقيم وبين العذاب الاليم . (٢)

قال تعالى : {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ} نلاحظ المقابلة بين قوله يبسط ويقدر ، والحياة الدنيا والآخرة ، ويفضل ويهدى ، فتحدث الآية عن بسط الله تعالى الرزق لمن يشاء من عباده وتضييقه لمن يشاء . فجاء ذلك عن طريق المقابلة .

وفي قوله : {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} فن رد العجز على الصدر وعرفه البلاغيون بقولهم : "أن يجعل أحد اللفظين المكررين المتجانسين والملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها" (٣) وهو من بديع اللفظ كما نرى .

(١)، (٢) المرجع السابق ص ١٢٦

(٣) الايضاح ص ٢٢٠ .

ثم تأمل قوله : {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَىٰ} . والحظ قوله أناب ، ومتاب وما بينهما من توافق معنوي يتجلى في افادة العودة بشأن الانابة الى الله والرجوع اليه والاستعانة به والتفرع اليه في الاولى وتعنى في الثانية الاوبة الحسنة بالجنة وحسن المنقلب في الثانية ، وما فيها أيضا من توافق موتى في فاصلة أناب (١) ومتاب .

قال تعالى : {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ، وَلَوْ أَنَّهُ قَرَأْنَا سِирَتَ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلَّ الْأَمْرِ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ . وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَاُتِيَتْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ . أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُل سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَل زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ . لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَالَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ { (٢)

(١) تأملات في سورة الرعد ، د . حسن باجودة ص ١٧٦ .

(٢) الآيات : ٣٠-٣٤



بديع المعنى :

احتوت الآيات السابقة على أنواع هي :

التفسير بعد الإبهام : ففى قوله تعالى : {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى} فقد قدم المجرور فيها على المرفوع لقصد الإبهام ، ثم التفسير لزيادة التقرير والتأكيد مع التشويق .

ويختتم سياق هذه الآية بقوله : {بل لله الأمر جميعا} أى له القدرة على كل شيء ، وأفادت "بل" الاضراب عما تضمنته "لو" من معنى النفى أى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا أن ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه (١)  
لاتلين شكيمتهم .

وفى قوله : {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَاهِرُ مِنْ الْقَوْلِ بَنُلٌ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} .

يلاحظ هنا مقابلة من طرف خفى ففى قوله {وجعلوا لله شركاء} هى البديل من المقابل لقوله {أفمن هو قائم على كل نفس} فبدلا من أن يجيء النظم القرآنى هكذا : أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أم تلك الأصنام الصماء الخرساء التى تعبدونها ؟ جاء قوله وجعلوا لله شركاء بدلا من هذا المقابل الذى يعرض تلك الالهة فى ميزان واحد مع الله سبحانه وتعالى . فجاء قوله : وجعلوا لله شركاء مشيرا الى هذا المقابل من طرف خفى ، وعارضا له فى معرض الزاوية

---

(١) التفسير الادبى لسورة الرعد ص ١٤٩ .

والاستخفاف ، فهي من صنع أيديهم ومخلقة لأمل لها .  
 وفى قوله : { أم تنبئونه بما لا يعلم } فن يقال له نفى  
 الشئ بايجابه فهم ليسوا شركاء وان الله لا يعلمهم كذلك  
 لأنهم فى الواقع ليسوا كذلك وان كانت لهم ذوات ثابتة  
 يعلمها الله الا أنها مربوبة ثابتة لالهة معبودة ، ولكن  
 مجيء النفى على هذا السنن المتلو بديع لاتكاد تكتنه بلاغته  
 وعبارته . ومن طريقه قول على بن أبى طالب فى وصف مجلس  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم "لاتثنى فلتاته" أى لاتذاع  
 سقطاته فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثم فلتات غير أنها لاتذاع  
 (١) وليس المراد ذلك بل المراد أنه لم يكن ثم فلتات فتثنى .  
 وفى هذه الآية فن بديعى آخر يطلق عليه الاستدراج فى  
 قوله "أم بظاهر من القول" ليحثهم على التفكير دون القول  
 المجرد من الفكر .

وختمت الآية الكريمة بالقول {ومن يفلل الله فما له من  
 هاد} .

بالإشارة الى الصفتين المتقابلتين ، الضلال والهداية ،  
 الضلال اختاره الكافرون بمحض ارادتهم وزادهم الله ضللا .

ثم تلاحظ المقابلة بين قوله : الدنيا والآخرة ، والجنة  
 والنار ، والمتقين والكافرين مقابلة بينها تضاد .

قال تعالى : {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرَى مِنْ  
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا  
 وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ . وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا  
 أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ، قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ  
 أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبُ ، وَكَذَلِكَ أُنْزِلْنَاهُ

حَكَمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ  
مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا  
لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ  
لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعْدَهُ أَمْ  
الْكِتَابُ { (١) .

#### المعاني اللغوية :

الاحزاب : جمع حزب ويطلق على الطائفة المجتمعة لأمر من  
الامور .

وقيل : هم مشركو مكة ومن لم يؤمن من اليهود والنصارى  
والمجوس .

وقيل : هم العرب المتحزبون على النبي صلى الله عليه  
(٢) وسلم .

مآب : مرجع .

واق : حافظ يمنعك من عذابه ، والخطاب للنبي صلى  
الله عليه وسلم .

لكل أجل كتاب : الاجل المدة والوقت : أى لكل أمر كتبه  
الله أجل مؤقت ووقت معلوم (٣) .

بعد أن حكم الله على أولئك المكابرين بالوعيد الشديد  
اذن يحل بهم من عذاب الدنيا الشاق وما ينتظرهم من عذاب  
الآخرة أشق حيث لا يقيهم من عذاب الله واق بين سبحانه صفة  
الجنة التى وعد المتقون وأن هذه عقابهم حيث يقابلها عقبي  
الكافرين وهى النار . انتقل الى تفصيل حال جماعة آخرين  
لهم صلة ما بالدين وبالرسل فلم يشاركوا أولئك المكابرين

(١) الآيات : ٣٥-٣٩

(٢) التفسير الادبى لسورة الرعد ص ١٦٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٦٨ .

فى كل سخافاتهم وتعننتهم أولئك هم أهل الكتاب . قال تعالى  
 {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ  
 مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ} .

وقوله : {وَكَذَلِكَ أُنْزِلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا} ، ولئن إتبعنا  
 أهواءهم بعد مجاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واثق  
 مقابلة من طرف خفى فالذى يقابل الهوى والعاطفة العقل  
 والفكر ، والمراد بالحكم كما يقول أبو حيان : "وأراد  
 بالحكم أن يفصل بين الحق والباطل ويحكم" (١) فهو يحتاج الى  
 عقل وفكر .

وفى قوله : {لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ  
 وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} .

تضاد بين قوله يمحو ويثبت : طباق . وفيها أيضا فن  
 يقال له فن الاستخدام وعرفوه بقولهم : "أن يأتى المتكلم  
 بلفظة لها محملان ثم يأتى بلفظتين تتوسط تلك اللفظة بينهما  
 وتستخدم كل لفظة منهما أحد محملى اللفظة المتوسطة ، وفى  
 لفظة كتاب تحتمل الأمد المحتوم بدليل قوله تعالى فى البقرة  
 {حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ} أى حتى يبلغ الكتاب أمده أى أمد  
 العدة وأجله منتهاه والكتاب المكتوب وقد توسطت لفظة كتاب  
 بين لفظتى "أجل ، ويمحو" فاستخدمت لفظة أجل أحد مفهوميها  
 وهو الأمد واستخدمت لفظة يمحو مفهوما الآخر وهو المكتوب  
 فيكون التقدير لكل حد مؤقت مكتوب يمحى ويثبت .

(١) تفسير أبى حيان ٣٩٧/٥ .

قال تعالى : "وَإِنْ مَانَرِيْكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِيْكَ  
فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ . أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ  
نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ  
الْحِسَابِ . وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ  
مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ، وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ، وَيَقُولُ  
الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ  
عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ { (١) .

#### الـلـغـة :

نأتى الأرض : نقصدها .

ننقصها من أطرافها : النقص أخذ الشيء من الجملة وهو  
يستعمل فى نقصان المنزل ، والطرف منتهى الشيء وأطراف  
الأرض نواحيها وجوانبها . (٢)

معقب : المعقب فى الأصل هو الذى يتعقب الشيء بالابطال  
وقيل الحق معقب لأنه يتعقب غريمه بالطلب والمعقب هو الذى  
يكسر على الشيء فيبطله . (٣)

ما فى الآيات من ألوان البديع :

المقابلة بين قوله نرينك أو نتوفيك . وعليك البلاغ  
وقوله "علينا الحساب وبينهما تضاد كما نرى .  
المشاكلة فى قوله : وقد مكر الذين من قبلهم فله  
المكر جميعا .

(١) الآيات : ٤٠-٤٣

(٢) التفسير الادبى ص ١٧٩ .

(٣) التفسير الادبى ص ١٧٩ .

ثم نلاحظ أننا آخر يطلق عليه حسن الختام حيث ختمت  
السورة بحكاية انكار الكفار الرسالة وقد بدأت باثبات  
الرسالة فيلتقى البدء مع الختام ويشهد الله مكتفيا  
بشهادته ، وهو الذى عنده العلم المطلق بهذا الكتاب وبكل  
كتاب ، { وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا  
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ } .

وقد لاحظت فى هذه السورة وفى القرآن بمفحة عامة أن فن المقابلة يجرى بكثرة وكذلك الطباق ويليها كثرة فن مراعاة النظر ، والتفصيل بعد الاجمال ، وفن التقسيم ، والجمع . والمشكلة وهناك فنون يقل ورودها فى القرآن كفن الاكتفاء ، والاستطراد والاستخدام . والمهم أن أكثر هذه الفنون شيوعا هما المقابلة والطاق وهما متقاربان كما نرى . والذي يظهر لى أن شيوع هذه الطريقة فى الكلام الرفيع يدل على أصالتها فى بلاغة الكلام وأنها مظهر من مظاهر الاقتدار والتمكن ومرجع ذلك ليس محددًا فى كلام القدماء وكل الذى قالوه لايزيد عما قاله الدسوقي : "وكون المطابقة من وجوه التحسين يعرف بالذوق" (١) .

وهذا التعليل لا يكفى فى شرح وتحليل مزية هذا الطريق الذى كائن أكثر الكلام بنى عليه . هناك شيء فى هذا الفن جعل الذوق يستحسنه وجعل الكلام العالى يسلك سبيله والذي يبدو لى أن ميزته ترجع إلى عدة أسباب منها : ما ترسمه هذه الطريقة من توضيح المعانى وتجليتها وذلك بهذا العرض المتقابل لها ، فالشر بمحاذاة الخير ، والهدى بمحاذاة الضلال ، والظلمة بمحاذاة النور ، والترغيب مع التهيب ، والوعد مع الوعيد ، وبهذا يتعمق الاحساس بالأشياء وتزداد النفوس بصرا بالحقائق .

يقول الدكتور أحمد جاد فى دراسته القيمة عن أدب الرافعى : "أكثر الفنون تعتمد فى المقابلة لابرار أقوى

---

(١) شروح التلخيص ص ٤٨٢ .

عناصرها وأجملها . وفى الرسم تكون الالوان والظلال السنة تتحاور وتبرز أعماق الأشياء ، وفن الكلمة يجمع هذه الفنون جميعا بما أودع فى الكلمات من رمزية وبما توحى به من خيال ، فلاجرم أن تكون المقابلة فى الكلمة أكمل وأجمل<sup>(١)</sup> . وهذا كلام نفيس ودقيق جدا .

وأما السبب الثانى : أن اقتران الأشياء المتباعدة وقرب بعضها من بعض من شأنه أن يؤنس النفس وأن يستروحه الطبع ، وقد لاحظوا ذلك فى التشبيه وقالوا ان من مزاياه "تباعد طرفيه" والتقابل الذى بين أيدينا فى الطباق أقوى درجة فى التباعد ، لأنه مرتبة فوق التباعد ، فالأشياء المتقابلة متباعدة لامحالة ، وجمعها على حذو واحد يشعر النفس بالآلفة ويقوى حنينها الى عالمها المتانس المتآلف ، ولذلك يكاد يجمع أهل البصر بطباع الفنون أن المشكلة الأم فيها هى تائيس التناقضات وادناء بعضها من بعض فى مزيج يوحد بينها وأن ذلك أصعب مراسا وأشد عنادا و"اللذة العميقة يوازىها شعور عميق بالتلاقى بين الأشياء"<sup>(٢)</sup> .

وقد أشار حازم القرطاجنى فى كتابه منهاج البلغاء الى قريب مما أشار اليه جهابذة الفنون فى عصرنا نذكر أن الكلام قد يكون أمشاجا فى جملة معان تتضارب وأن ذلك الذ للنفس

(١) دراسة فى علم البديع للدكتور محمد أبو موسى ص ٣٤ .  
(٢) انظر النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٢٨



(١)

وأطيب عندها من أن يجمد الكلام على حالة واحدة .

أما السبب الثالث من أسباب تأشير المقابلة فهو ما ذكره الدكتور محمد أبو موسى أثناء تعليقه على مور المقابلة في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : "وهناك وجه من وجوه تأشير المقابلة في الكلام يجرى معها دائما ذلك هو ما تجده في جمع هذه المتناقضات وتجاورها وتضاربها في العبارة ، والنفس بين توتر وإشارة ، فالحب مع الكره والتوحيد مع الشرك والتوحد مع التفرق ، وهذه الخصومية فيها تعطى الأسلوب قدرا من الإيقاظ وصيرورة الحس كأن يكون مستفزا ومشارا حين الحس بما وراء هذه المتناقضات من مراعات وتجاذبات وهو يشب على قممها المتغايرة (٢) والمتناقضة " .

وهناك سبب آخر لهذا الفن الذي كأن أكثر الكلام بنى عليه كان يذبوعا للاستدلال وقد جاء كثيرا في القرآن الكريم ذلك لأن المشركين كانوا يعبدون أحجارا يضمنونها أو مخلوقات الله تعالى خلقها وكانوا يظنون أن لها تأثيرا في الخلق فكانت المقابلة بين الذات العلية وبين ما ابتدعوا من عبادة الأوثان وسيلة وطريقة بليغة مفحمة دامغة للاستدلال على بطلان زعمهم .

ومن هذا القبيل ما جاء في سورة الرعد قوله تعالى :  
 {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ ، قُلْ أَتَأْخُذْتُمْ مِنْ دُونِهِ  
 أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى

(١) منهاج البلغاء ص ٣٤٨ .

(٢) قراءة في الأدب القديم ، محمد أبو موسى ص ٢٨٨ .

وَالْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ  
خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ  
الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ (١) .

## إحصاء الحروف بنوعها في القرآن الكريم

اسم السورة	لونها	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ى
١- الفاتحة	مكية																								٤	٣			٧
٢- البقرة	مدنية		٩						٧		٢٢											١		١	١	٥٣	١٩٣		٢٨٦
٣- آل عمران	مدنية		١٠	٣					١٠		٢٢											١		٣	٣١	١٢٠		٢٠٠	
٤- النساء	مدنية		٣	٣	٢				١٤		٣٣				١	٣	١	٣	١	١	٤	٣	٢٩	٥٩	١٥			١٧٦	
٥- المائدة	مدنية		٤						٢		٧													٣	٢٤	٨٠		١٢٠	
٦- الأنعام	مكية										٤													٣	١٣	١٤٤		١٦٥	
٧- الأعراف	مكية																							٢	١٠	١٩٣		٢٠٦	
٨- الأنفال	مدنية		٤						١		١٠						١					١		١٩	٣٩			٧٥	
٩- التوبة	مدنية		١								٤													١	٣٧	٨٦		١٢٩	
١٠- يونس	مكية																							١	١٠	٩٨		١٠٩	

اسم السورة	لومها	ا	ب	ث	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي
١١-هود	مكية	١٣				٢٢			١٢	٧		٣			١			٢	٥	٥٦			١٢٣
١٢-يوسف	مكية						٢											١	١٥	٩٣			١١١
١٣-الرعد	مدنية	١٥				٤			٨				١		٣			٧	٥				٤٣
١٤-ابراهيم	مكية	٤				١١			١١	١		١						٤	٧	٦			٥٢
١٥-الحجر	مكية																	٢	١٥	٨٢			٩٩
١٦-النحل	مكية						٢											١٦		١١٠			١٢٨
١٧-الاسراء	مكية	٢				٦			٥١	١			٤		١	٢		٤	٢	١			١١١
١٨-الكهف	مكية	١٧		١		٢٩			٢٤	١		٢	٥		٦	٢		١٣	٣				١١٠
١٩-مريم	مكية					٢٠				٣								٢	٤				٩٨
٢٠-طه	مكية	١							٦	١		١			١	٣		٣	٧				١٣٥

اسم الصورة	أ	ب	ت	ث	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ظ	ع	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي
٢١-الانبياء مكية																		٥	١٠٧			١١٢
٢٢-الحج مدنية ١		٢		١		١٥		٢٥	٢		١	١		٦				١٢	١٢			٧٨
٢٣-المؤمنون مكية																		٤	١١٤			١١٨
٢٤-النور مدنية ٢						١		٧										٢٣	٣١			٦٤
٢٥-الفرقان مكية ١									٤٣								١٧	١٤	٢			٧٧
٢٦-الشعراء مكية																	٢	٢٥	٢٠٠			٢٢٧
٢٧-الزمل مكية																		٩	٨٤			٩٣
٢٨-القصص مكية								٢									٢	٣	٨١			٨٨
٢٩-الأنبياء مكية																		٦	٦٠			٦٩
٣٠-الروم مكية								٢										٣	٥			٦٠

اسم السورة	لوحها	ا	ب	ت	ث	ج	ح	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي
٣٤	لقمان	مكية						٢		١٦						١							٧	٨	٧			
٣٥	السجدة	مكية																					١	٢	٢٧			
٧٣	الاحزاب	مدنية	٣					٣		٢١	١					١				١	١	١	١٩	١٨	٤	١		
٣٥	سبأ	مكية	٥					٩		١٤						١							١	٤	٢٢			
٤٥	طاطر	مكية	١					٣		٣٥	١												١	١	٣			
٨٧	تيس	مكية																					١٠	٧٣				
١٨١	المافات	مكية	٥					٢		٢										١	١		٢٦	١٤٥				
٨٧	ص	مكية	٣٥					٦		١٥				٢		١				٦		١	٣	١٨				
٧٥	الزمر	مكية	٤					٤		٦												٢	٥	٥	٤٥			
٨٥	طافر	مكية	١٧					١٠		١٥								١		٢		٣	٥	٣٢				



اسم الشخصية	ت	ث	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ظ	ع	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي
٥١-الذاريات مكية	٦٠					٣					١		٢	١	١	٩	٤٢	١		
٥٢-الطور مكية	٤٩					٧					٤					٨	٣٠			
٥٣-الجم مكية ١	٦٢	٥٥	١													٣				
٥٤-القم مكية	٥٥					٥٥														
٥٥-الرحمن مكية	٧٨					٢										٧	٦٩			
٥٦-الواقعة مكية	٩٦							١								١٨	٦٥			
٥٧-الحديد مدنية ١	٢٩					١	١١	١								١٠	٥			
٥٨-المجادلة مدنية	٢٢															٣	١٢			
٥٩-الحشر مدنية ٢	٢٤					٣										٥	١٤			
٦٠-الممتحنة مدنية	١٣					٣										٤	٤	١		



اسم السورة	لومها	ا	ب	ث	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ظ	ع	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي
٦١- الصف	مدنية																	٣	١٠			
٦٢- الجمعة	مدنية																	٢	٩			
٦٣- المملاتون مدنية																			١١			
٦٤- التفتابن مدنية									٧	١								٧	٣			
٦٥- الطلاق مدنية									٩							١		١				
٦٦- التحريم مدنية									٥									٢	٥			
٦٧- الملك مكية																		٢	٧			
٦٨- القلم مكية																		١٠	٤٢			
٦٩- الحاقة مكية				٢٣														١	٤	٩		
٧٠- المعارج مكية																		٢	٣	٤	٤	٤

اسم السورة	ت	ث	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ظ	ع	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي
٧١-نوح	١	٣	١٨									١	١	١	١	٣				٢٨
٧٢-الجن	٤		٢٠						١			٣								٢٨
٧٣-المزمل	١													٣	١٦					٢٠
٧٤-المدثر	٧		٣١	٧												١	١٠			٥٦
٧٥-القيامة	١٠		٧									٤					٨			٤٠ ١١
٧٦-الانسان	مدنية		٢١											١	٩					٣١
٧٧-المرسلات	٧ ٢		٥								١	٢	١	٢	٢	١	٤٩			٥٠
٧٨-الذيا	٣ ١٧	٤	١	١	١							٣	١			٤				٤٠
٧٩-النازعات	٩	١	١						١			٢				١	١٢			٤٦ ١٩
٨٠-ميس	١١ ٥											١		١	١	١	١٣			٤٢ ١٠

اسم الصورة لوصفها		أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ظ	ع	ف	ق	ك	ل	م	ن	مروى
٢٩	٨٣-المنارة	١٤														٨	٣		
١٩	٨٢-الانقطاع	٥														١	٨	٣	٢
٣٦	٨٣-المطعمين															٢٧	٩		
٢٥	٨٤-الانشقاق	٥					٧								٤	٣	٥	١	
٢٢	٨٥-البروج	١		١	١٦		١			١	١			١					
١٧	٨٦-الطابق	٢					٣		٣			٢	١			٢			
١٩ ١٩	٨٧-الأعلى																		
٢٦	٨٨-الفاشية	١٨					٤					٢				٢			
٣٠ ٤	٨٩-البحر	٢ ١					٥	١٠								٣	٣	١	١
٢٠	٩٠-البلد	١٠					٧									٣			







### الفواصل فى سورة التكويد

اختلف العلماء حول مسألة تسمية ما فى فقر القرآن فقد ذهب فريق الى أنه ينبغى أن يسمى ما فى القرآن فواصل ولا ينبغى أن يقال فيه سجع ، وقالوا لان الفاصلة تسمية قرآنية فقد ذكر سبحانه أنه فعله تفصيلا قال تعالى : { كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ } وقال تعالى { وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ } (١) (٢) ولغظ السجع عيب به ما يوحش الحس لأنه وصف به كلام الكهان ، وكل كلامهم سجع وان كان فيه سجع جيد ، وقد شاعت اضافة السجع الى الكهانة فقليل أسجع الكهان ، وهذا كله يجعل وصف آيات القرآن بالسجع ليس مقبولا ، أضف الى ذلك أن كلمة السجع ابتذلت فى عصرنا هذا وصارت عنوانا على التكلف والكلام الممنوع ومرجع ذلك الى بروز هذه الظاهرة فى عموم الضعف الأدبى والمهم أن المسألة هى مسألة تسمية فقط ، وأما تواطؤ الفاصلتين على حرف واحد فالقرآن يكاد يكون كله جاريا على ذلك .

وهناك تمور آخر للسجع ذكره الرماني والباقلاني ، وذكر الباقلانى أنه رأى من شيعته الأشاعرة ، وخلصته أنه عيب فى الكلام ، لأنه تكلف كله وقصر للمعانى على القوالب اللفظية وكأن السجع هو الغاية وليس الابانة عن معنى ، فاذا كانت الالفاظ فى أحوال الابانة ثابتة للمعانى ، فالمسألة مع

(١) هود : ١

(٢) الانعام : ١٢٦

السجع على عكس ذلك تماما ترى فيه المعانى تابعة للالفاظ ولهذا كان معيبا دائما . قال الرمانى : "والفواصل بلاغة والاسجاع عيب وذلك أن الفواصل تابعة للمعانى وأما الاسجاع فالمعانى تابعة لها وهو قلب ما توجبه الحكمة فى الدلالة اذا كان الغرض الاول هو حكمة انما هو الابانة عن المعانى التى الحاجة ماسة اليها .<sup>(١)</sup>

وقد كرر الباقلانى هذا الكلام "أى كلام الرمانى" وأضاف اليه أنه لو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب الكلام ، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز ، وهذا كلام ضعيف لان القرآن جاء على طرائقهم فى الكلام وكان اعجازه فى تفوقه تفوقا انقطعت دونه قدراتهم .<sup>(٢)</sup>

وقد ناقش الأستاذ سيد مقرر آراء الباقلانى فى السجع فى مقدمة كتابه اعجاز القرآن وكان الجاحظ قد طرق هذه المسألة وناقشها مناقشة قوية وهدم الشبه التى يتعلق بها من يحتجون على السجع ، وما كان للرمانى ولا الباقلانى أن يذهبا الى ما ذهبوا اليه بعد دراسة الجاحظ لهذا الموضوع .<sup>(٣)</sup>

وما دمننا بمدد الفواصل نود أن نشير الى أن ما ينجم عن الفواصل من أثر ، انما هو أثر موشى خالص يتمثل فى هذا التوافق الموسيقى أننا نجد سورا بأكملها بنيت على رعاية هذا التوافق الموسيقى : فسورة القمر مثلا لا تشذ فيها آية واحدة عن الانتهاء بالراء ، لقد توافقت آياتها الخمس والخمسون على فاصلة واحدة وهى الراء وسورة مريم فيها من

(١) ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ص ٩٧ .

(٢) اعجاز القرآن للباقلانى ص ٢٣٢ .

(٣) مقدمة اعجاز القرآن لسيد مقرر . وانظر دراسة فى علم البديع ، د. محمد أبو موسى ص ٧٥ .



هذه الفواصل الموقعة ما يجعلها تبدو فى توافق صوتى عجيب  
تلين له القلوب .

واذا كانت السورة لم تلتزم فاصلة موحدة فى جميع  
آياتها فقد التزمت فاصلة موحدة بين كل مجموعة من هذه  
الآيات وقد جاءت على النحو التالى .  
الافتتاحية ، كهيعص

- (١) ٣٢ آية تنتهى بياء مفتوحة .
  - (٢) آيتان على روى النون المسبوقة بواو ٣٤ - ٣٥ .
  - (٣) آيتان على روى الميم ٣٦ - ٣٧ .
  - (٤) ثلاث آيات على روى النون المسبوقة بواو ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ .
  - (٥) ٣٣ آية تنتهى كالمجموعة الاولى بياء مفتوحة ٤١ - ٤٤ .
  - (٦) ٢٢ آية تنتهى بدال مفتوحة ٧٥ - ٨٠ - ٨٢ - ٩٧ .
  - (٧) وثلاث آيات تنتهى بحرف الزاى المفتوحة ٨١ - ٨٣ - ٩٨ .
- ومن الواضح أن بناء السورة صوتيا هو على فاصلة  
الياء ، وأن ما حدث من مخالفة لهذه الفاصلة إنما حدث لأن  
سياق المعانى قد اختلف . وهكذا تأملت جميع سور القرآن  
الكريم من خلال الاحماء لفواصل القرآن ولاحظت أن ما حدث من  
مخالفة لروى السورة إنما حدث لأن سياق المعانى قد اختلف  
لذلك أقول من الذى يستطيع أن يزعم أن هذا النسق الصوتى أو  
البناء الصوتى فى السورة ليس أصلا وليس من البلاغة ، وإنما  
هو مجرد حلية خارجية وزخرف غير جوهري ؟
- ومن يزعم هذا فنحن نطالبه بأن يحاول تبديل كلمات  
النهاية فى الآيات بغيرها دون أن يحدث ذلك تغييرا جوهريا  
من حيث الأثر الذى تتركه السورة فى النفوس .  
(١)

لاأعتقد ذلك ، يقول الرافعى فى كتابه اعجاز القرآن :  
 "لما قرئ عليهم القرآن رأوا حروفه فى كلماته وكلماته فى  
 جملة ألحان لغوية رائعة كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة  
 واحدة . قراءتها هى توقيعها ، فلم يفتحهم هذا المعنى ،  
 وأنه أمر لا قبل لهم به ، وكان ذلك أبين فى عجزهم ، حتى أن  
 من عارضه منهم كمسيلمة جنح فى خرافاته الى ما حسبه نظما  
 موسيقيا أو بابا منه وطوى عما وراء ذلك من التصرف فى  
 اللغة واساليبها ومحاسنها ودقائق التركيب البيانى ، كأنه  
 فطن الى أن المدمة الاولى للنفس العربية ، انما هى أوزان  
 الكلمات وأجراس الحروف دون ما عداها ، وليس يتفق ذلك فى  
 شئ من كلام العرب الا أن يكون وزنا من الشعر أو السجع" (١)  
 والملاحظ من قوله أن الرافعى ينظر الى الاجزاء والى  
 المجموع معا ، وأنه لا يرى المجموع بليغا الا اذا انتهى الى  
 ألحان مؤتلفة من حروف فى كلمات متألفة وكلمات فى اسلوب  
 مؤتلف فى نغماته وترتيله ، وتناسق بيانه . وهو رأى جدير  
 بالقبول .

وبعد هذه المقدمة عن فواصل القرآن الكريم ، نود أن  
 ننتقل الى سورة التكوير لنعرف من خلالها فواصل الآيات فيها  
 قال تعالى : { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ،  
 وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ، وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ  
 وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ، وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ  
 سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ، وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ، وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ

(١) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعى ، دار الكتاب  
 العربى ، بيروت ، بدون تاريخ ص ٢١٤ .

وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ، عَلِمْتَ نَفْسَ مَا أَحْضَرْتَ .

يلاحظ فى مطلعها أنها تتحدث عن أهوال يوم القيامة ، وما يحدث فى هذا اليوم ، فقد جاءت الآيات الاثنتى عشرة مقدمة بأذا ولها جواب واحد وهو قوله "علمت نفس ما أحضرت" ثم أن الشرط بطرقه المتعددة ، التى تتعلق بأحداث تتعلق بالسماء وأخرى تتعلق بالأرض وثالثة تتعلق بالانعام المستأنسة ، وأحداث تتعلق بالوحوش ، وأحداث تتعلق بالبحار ، وأحداث تتعلق بالنفس الموءودة وأحداث تتعلق بالنار وأخرى بالجنة كل ذلك مغزاه "علمت نفس ما أحضرت"

ونرى فى ذلك أنه يصور انقلابا فى الوجود المتعارف عليه والكون المألوف ، فلم تعد الشمس تؤدى وظيفتها التى ألفناها ولا النجوم ولا البحار كذلك . وان قوله {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} جملة وهى كذلك تعد جزءا من جملة عندما تلاحظ جزئيات الشروط ، اذا الشمس كورت واذا - اذا .. علمت نفس ما أحضرت" وهكذا ومادام غرضنا هو فواصل الآيات ، فأننا نشاهد هذا التوافق الموسيقى "السجع" الجميل بين فواصل الآيات .

فكون كورت "مبنية للمجهول شرط لاستقرار الكلمة فى مكانها من الأولى . وكون "انكدرت" خبر للمبتدأ شرط كذلك لاستقرار الكلمة فى مواطنها وهى غير مبنية للمجهول كآيات السابقة وهكذا تتبين ذلك فى جميع الآيات .

وان استقرار هذه القوافى فى مواضعها هو سبب ما نحسه الآن ونطرب له من هذا التوافق الموسيقى الذى يلذ للنفس

والأذن على السواء .

أقول "ان النظم كما يحدث علاقات بين اللفاظ من حيث هي دالة ، يحدث فيها علاقات كذلك من حيث هي اصوات وأجرام حروف ولعل المتمعن فى فواصل الآيات السابقة يرى أن فيها ترجيحاً وهو أن الكلمات فى الفاملتين على وزن واحد . وفيها تشابه فى بدايات القرائن .

وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ  
وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ  
وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ  
وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ، وهكذا

وكما نلاحظ التساوى فى بدايات القرائن ، نلاحظ التساوى فى الطول أو عدد الكلمات وكذلك التشابه فى بنية التركيب فضلاً عن وحدة الروى فى الفواصل جميعها ثم يلاحظ أن الفاصلة (١) فى الآية الأولى {وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} خالفت الثانية {وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} فى وزنهما ، وشابهت الثالثة "سُيِّرَتْ" وأن الرابعة {عُطِّلَتْ} شابهت الأولى الثالثة فى وزنها وخالفت الخامسة "حُشِرَتْ" وأن الآية السادسة والسابعة وهى قوله {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} شابهت الآيات السابقة "سُيِّرَتْ وعُطِّلَتْ ، وأن قوله {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ} شابهت الخامسة {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} ثم يلاحظ التغيير المفاجئ فى نهاية المقطع {بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} تغير فى بداية القرينة وتغير فى بنية التراكيب عما فى القرائن الأخرى . وهذا التغير يلتقى مع التساوى وعلى مكان واحد لتتفاخر على إطلاق جمال الفواصل .

(١) انظر الفاصلة فى القرآن ، محمد الحسناوى ص ٢٣١ .

{إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ، وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ} رجعت الى قوله  
 {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ، وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ} شابهت الآيات الأولى  
 كورت ، وسيرت ، سجرت . {وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ} شابهت الثانية  
 فى قوله انكدرت .

أما الآية الأخيرة "الجواب" {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ} ، فقد  
 حدث تغير فى بداية القرينة وفى بنية التركيب . وهو كما  
 قلنا ان هذا التغير يلتقى على معيد واحد ليتفافر على اطلاق  
 جمال الفواصل . وهكذا فان متابعة هذه التوقيعات تبدى  
 ألوانا من طرق الابانة ومظهرا من مظاهر الاقتدار عند دراسة  
 هذا اللون .

ويرى ابن قتيبة فى كتابه "تأويل مشكل القرآن" أن  
 النغم الموسيقى والنظم والتوقيع الداخلى فى الآيات هى احدى  
 الخصائص التى يقوم عليها الاعجاز فهو حلو النغم ، رتيب  
 الوقع ، حبيب الجرس الى النفوس لاتمله الأذان لما ينساب فى  
 عباراته وخلال لفظة من الموسيقى الخافضة ولا تتعثر فيه  
 اللسنة لسلاستها وفى هذا الصدد يقول : " وجعله متلوا لايمل  
 على طول التلاوة ومسموعا لاتبجه الأذان ، وغضا لا يخلق على  
 كثرة الرد " (٢)

وفى قوله تعالى {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} جناس ناقص ، وقد  
 ذكر عبد القاهر أن حسن الجناس ليس راجعا الى أجراس الحروف  
 مظاهر الوضع اللغوى وانما هو راجع الى أمر يقع من المرء  
 فى فؤاده وفضل يقتدحه العقل فى زناده والامر الذى يقع من

(١) الآيات : ١٠-١٤

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ١٣ لابن قتيبة .

المرء فى فؤاده هو المعنى الذى وراء الجنس وذلك اذا وقعت الالفاظ المتجانسة فى نظم الكلام مواقع متمكنة على وفق مقتضيات المعنى وترتيب صورته فى النفس .

والمزية الامة عند الشيخ هى صياغة الكلام صياغة يتواءم فيها كل لفظ وكل حال من احوال اللفظ وكل موقع من مواقعه ، يتلاءم ذلك كله مع ما يعنى فى الخاطر ويختلج فى الغمير ، فالكلام المرتب فى اللفظ هو صورة المعانى المرتبة فى النفس وبمقدار ما يلاحظ فى اللفظ من دقائق احوال النفس يكون الكلام ممتازا .

والالفاظ المتجانسة اذا وقعت مواقعها على هذا الحد كانت مزيتهما راجعة الى هذا الكشف ، وهذه الابانة . وهذا هو ما يقع من المرء فى فؤاده ولا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعاً حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا يبتغى به بدلا ولا تجد عنه حولا "

وقد ذكر عبد القاهر سريرة اخرى تكشف فضل ذلك الاسلوب هى ما يحسه قارئه وسامعه حين يقع على الكلمة المجانسة لسابقتها فيقع فى نفسه أن الكلام قد رد عليها واعادها وأنه لن يقع منها على جديد ، فاذا ما فوجئ بها تنشق له عن جديد وقع ذلك فى نفسه موقعا حسنا ، لأنها كنغمة غير مترقبة ، وهذه المفاجأة قيمة تجرى على فنون كثيرة لأنها تنفض عن النفس حالة الرتابة والالفة وتحدث فيها نوعا من الاشارة واليقظة والروعة والاستغراب .

(١) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ص ٩ .

(٢) أسرار البلاغة ص ٧٢ .

أما أجراس الحروف فليس لها عند الشيخ قيمة فى مزية الجنس .

ومهما يكن من داع دعاه الى أن يقف هذا الموقف الذى يرفض فيه القيم الموتية للجناس ، فأننا نذهب الى غير ما ذهب اليه مقتنعين اقتناعا لا يخالجه شك بأن الظلال المتولدة من تكرار الحروف والهيآت المتجانسة ذات قيمة لاتنكر فى بعث خواطر النفس وإشارة استحسانها ، وهز أعطافها وبعث الأريحية والطرب فى داخلها كل ذلك مشروط بامابة الموقع ودقة التوزيع وملاءمة المعنى .

فان الأجراس القارعة لاتهش لها الطبع السليمة ، وتكرار الأصوات وان كان باعث الأريحية فهو أيضا باعث الملالة والكزاة ، والفرق انما هو فى حسن سياسة الكلام ومعرفة طبعه وجريانه جريانا يتسق مع ما ينبعث فى النفوس من معان وخواطر .

أجراس الحروف فى هذه اللغة ذات التوقيع والغنائية المتميزة ضرب من ضروب الابانة الخفية وطريق من طرق الوحي بالمعانى والايماء اليها وبعض الناس أشد احساسا بذلك وفطنة له من بعض كما يقول الرمانى .

ثم يلاحظ فى الآيات فن تكلمنا عنه فى سورة الرعد وهو مراعاة النظير فى قوله : {وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ} فبعد أن ذكر سبحانه الشمس وما يتعلق بها والنجوم وهى كما ترى علوية ذكر سبحانه البحار وتسجيرها . وهكذا .

قال تعالى : { فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ،  
وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ  
ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ، وَمَا صَاحِبُكُمْ  
بِمَجْنُونٍ . وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ . وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِمُنْذِرٍ  
وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ، فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ . إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ  
لِّلْعَالَمِينَ ، لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ، وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ  
يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ }

نلاحظ في هذا المقطع أن فواصل الآيات قد تنوعت . بمعنى أنها  
لم تلتزم فاصلة واحدة في جميع آياتها وإنما التزمت فاصلة  
موحدة بين كل مجموعة من الآيات .

ففي الأربع الآيات الأولى تنتهي بالسین .

وآية واحدة تنتهي بحرف الميم .

وخمس آيات تنتهي على فاصلة الياء والنون ماعدا آية

انتهت بالواو والنون .

ثم تجئ آية تنتهي بحرف الميم .

وآيتان بحرف النون

وآية بحرف الميم

ثم آية تنتهي بحرف النون

ونلاحظ أن المقطع الأول من السورة كان بناءه صوتيا على

حرف التاء وكان المقطع في مضمونه يتحدث عن الانقلاب الهائل

الذي حدث للكون ولذلك لم تختلف الفاصلة ذلك لان سياق

المعاني فيها لم يختلف .



أما فى المقطع الآخر فقد تحدث المولى فيه عن خطتين هما - القسم واثبات أن المنزل هو قول رسول كريم ، وقضية أخرى هى قضية العقيدة وما يتعلق بها {إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ - لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ، وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} فقد انتهت آياته بحرفى الميم والنون وأكثر فواصل القرآن تنتهى بهذين الحرفين ، وهما "الحرفان الطبيعيان فى الموسيقى نفسها" أو بالمد وهو كذلك طبيعى فى القرآن ، فإن لم تنته بوحدة من هذه كان انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى ، كان ذلك متابعة بصوت الجملة وتقطيع كلماتها ، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه وعلى أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا فى الجمل القصار ولا يكون إلا بحرف قول يستتبع القلقة أو المفير أو نحوها مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقى .

وهذه هى طريقة الاستهواء الصوتى فى اللغة ، وأثرها طبيعى فى كل نفس ، فهى تشبه فى القرآن الكريم أن تكون صوت اعجازه الذى يخاطب به كل نفس تفهمه ، وكل نفس لا تفهمه ، ثم لا يجد فى النفوس على أى حال إلا الاقرار والاستجابة<sup>١٧</sup> .

الباب الثالث

البديع وقضية الاعجاز

الفصل الأول : المثل السائر لابن الأثير

الفصل الثانى : بديع القرآن لابن أبى الأصبع

الفصل الأولالمثل السائر لابن الأثير

من الذين عاصروا السكاكي ، أحد العلماء الذين رجعوا  
 بالبديع الى طريقته الاولى ، فأعادوا اليه صفاءه وسهولته ،  
 وسلكوا طرائق القدماء في مصنفااتهم وطبعوها بسمات أصل  
 اللغة من أرباب الفصاحة ، ونأوا بها عن ثياب المنطق  
 والفلسفة ، ضياء بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ في كتابه المثل  
 السائر في أدب الكاتب والشاعر ، وقد كان أديبا بارزا  
 وناقدا بصيرا وبلاغيا ذواقة ، حيث اتقن الفن البلاغي وحلله  
 وقسمه الى موضوعاته تقسيما نأى به عن مناهج الفلاسفة  
 والمتكلمين وظهرت قدرته الذوقية في الأكثار من الشواهد  
 وتحليلها والوقوف عندها مليا لانه يرى الذوق أو الطبع  
 للناقد من ضرورياته اذ يقول "وهذه الرموز التي هي أسرار  
 الكلام لا يتفطن لاستعمالها الا أحد رجلين : اما فقيه في علم  
 البيان قد مارسه ، واما مشقوق اللسان في الفصاحة قد خلق  
 عارفا بلطائفها ، مستغنيا عن مطالعة صحائفها ، وهذا لا يكون  
 الا عربي الفطرة فيقول مايقوله طبعاً ، على أنه لايسدد في جميع  
 أقواله مالم تكن معرفته الفطرية ممزوجة بمعرفته العرفية" .  
 (٢)

(١) هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن  
 عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن  
 الأثير الجزري الملقب بضياء الدين ، ولد بجزيرة ابن  
 عمر سنة ٥٥٨هـ ومات ببغداد سنة ٦٣٧هـ .  
 انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان  
 تحقيق محمد محيي الدين ، مكتبة النهضة ، الطبعة  
 الاولى ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م ٣٢-٢٥/٥ .  
 (٢) المثل السائر ١٨٩/٣ .

"وكتاب المثل السائر" يشتمل على مقدمة تحتوى أصول علم البيان ، ومقالتين حيث تحدث فى المقالة الاولى عن الصناعة اللفظية ، وفى المقالة الثانية عن الصناعة المعنوية وهذا الذى يعنينا فى هذا الكتاب .

وقد تكلم ابن الاثير فى القسم الثانى من المقالة الاولى فى الالفاظ المركبة ، حيث عرض فى هذا القسم لالوان البديع اللفظى اذ قال "واعلم ان صناعة تاليف الالفاظ تنقسم الى ثمانية أنواع هى :

(١) السجع : ويختص بالكلام المنثور .  
(٢) التصريح : ويختص بالكلام المنظوم وهو داخل فى باب السجع لانه فى الكلام المنظوم كالسجع فى الكلام المنثور .

- (٣) التجنيس : وهو يعم القسمين جميعا .  
(٤) الترميع : وهو يعم القسمين جميعا .  
(٥) لزوم مالا يلزم : وهو يعم القسمين أيضا .  
(٦) الموازنة : تختص بالكلام المنثور .  
(٧) اختلاف ميخ الالفاظ : وهو يعم القسمين جميعا .  
(٨) تكرير الحروف : وهو يعم القسمين جميعا" (١)

ثم تطرق لها بالشرح والتحليل فأبان عن منزلة كل واحد منها وسر الفصاحة فيه .

ثم تحدث فى المقالة الثانية عن الصناعة المعنوية ،  
(٢)  
وبين أنها تنقسم الى قسمين :

(١) المثل السائر ٣٠٧/١-٣٠٨ .  
(٢) المثل السائر ٧/٢ .

الأول منهما ، فى الكلام على المعانى مجملا ثم قسمه الى قسمين احدهما : "أن يبتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدى فيه بمن سبقه " وهذا النوع قد يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ويتنبه له عند الامور الطارئة فمن ذلك قول أبى تمام :

بَكَرُوا وَأَسْرُوا فِي مَتُونِ ضَوَائِرِ  
قَيِّدَاتِ لَهْمٍ مِنْ مَرْبِطِ النَّجَارِ  
لَا يَبْرَحُونَ ، وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهُمْ  
أَبْدَا عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ

قال "وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة والخاطر فى مثل هذا المقام ينساق الى المعنى المخترع من غير كبير كلفة ، لشاهد الحال الحاضرة " .<sup>(٢)</sup>

وشانئهما : وهو "الذى يحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق" وابن الاثير مسبوق بهذا القسم من أبى هلال العسكري حيث يقول "والمعانى على ضربين ، ضرب يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له امام يقتدى به فيه ، أو رسوم قائمة فى أمثلة مماثلة بعمل عليهما ، وهذا الضرب ربما يقع عند الخطوب الحادثة ، ويتنبه له عند الامور النازلة الطارئة ،<sup>(٤)</sup>

والآخر ما يحتذى به على مثال تقدم ورسم فرط" .  
والشأنى فى الكلام مجملا ، وقد عد تحته ثلاثين نوعا وهى "الاستعارة ، والتشبيه ، التجريد ، الالتفات ، وتوكيد المميزين ، وعطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده ،

(١) المثل السائر ص ١١ .  
(٢) المصدر نفسه ١١/٢ .  
(٣) المصدر نفسه ص ٦١ .  
(٤) الصناعتين لأبى هلال العسكري ص ٨٤ .

والتفسير بعد الإيهام ، واستعمال العام فى النفى والخاص فى الإثبات ، والتقديم والتأخير ، والحروف العاطفة والجارة وفى الخطاب بالجملة الفعلية ، والجملة الاسمية والفرق بينهما ، وقوة اللفظ لقوة المعنى وعكس الظاهر ، والاستدراج والإيجاز والإطناب ، والتكرار ، الاعتراض ، والكناية والتعريض والمغالطات المعنوية ، والاحاجى ، وفى المبادئ والافتتاحات التخلص والاقتضاب ، والتناسب بين المعانى ، ويحتوى على المطابقة أو المقابلة وصحة التقسيم وفساده وترتيب التفسير والاعتماد والتفريط والافراط ، والاشتقاق ، والتضمين والارماد والتوشيح وأخيرا فى السرقات الشعرية " .

ثم تطرق لها بالشرح والتحليل معتمدا فى ذلك على شيوخه الذوق والتعليل القائم على العلم والتوجيه الحسن وهو ما يؤكد عليه فى مقدمة كتابه فيقول "وأعلم أيها الناظر فى كتابى أن مدار علم البيان على حاكم الذوق (٢)

السليم الذى هو أنفع من ذوق التعليم " ويقول "وملاك هذا كله الطبع فانه اذا لم يكن ثم طبع فانه لا تغنى تلك الآلات شيئا" . وهذا يعنى أن ابن الأثير لا يكتفى فى النقد الأدبى بحكم المعرفة المستنيرة ، وإنما يحكم الذوق السليم الذى يرى أنه أكبر من حكم القاعدة الموضوعية والمعرفة الفيقة المحددة .

(١) انظر : المثل السائر ٧٣/٢-٣٩١ ، والجزء الثالث ٥-٢٥٩  
 (٢) الممدد نفسه ٤٨/١ .  
 (٣) الممدد نفسه ص ٥٥ .

لذلك شن حملة عنيفة على المنطق والفلسفة ورأى فى رجالها أمثال ابن سينا والفارابى رجالا مغرورين أضلهم أرسطو وأفلاطون ، وأن ما ذكروه يعد لغوا لا يستفيد به صاحب الكلام العربى شيئا . وإذا كانت تلك نظرة ابن الاثير لأهل المنطق والفلسفة فإن طريقته فى الكتابة أخذت اتجاهها مغايرا لمفهوم الدراسة التحقيقية ، فهى تقوم على دعائيتين .  
الدعامة الاولى : "دراسة قاعدية ، عنى فيها بالحدود والتعاريف وحصص الأقسام ، وجمع فيها كل ما استطاع جمعه من معالمها التى اهتدى اليها الذين سبقوه الى البحث البلاغى ، وهو فى كثير من المواضع يصحح أخطاءهم ويضيف الى تحديداتهم ما جعلها جامعة مانعة ماتعد على الوجه الذى يهتدى اليه وبالنظر الذى يهتدى به .

#### والدعامة الثانية :

دراسة نقدية ، وفيها ألم بكثير من العيوب التى يقع فيها مستعملو تلك الفنون فى أشعارهم أو خطبهم أو كتاباتهم<sup>(١)</sup> ومن هنا يمكن القول ان كتاب المثل السائر جمع كثيرا من أصول البلاغة العربية والنقد الأدبى ، وأنه وحد هذين الفئتين الجماليتين ومزجهما وطبعهما بسمات تظهره من بين الذين عاصروه من أصحاب الأسلوب القاعدى الجاف وخلطهما بضموم من الأدب وأراء كان فى أكثرها موقفا مجيدا وهو شئ لم نلمسه عند السكاكى .

---

(١) المصدر نفسه ٣١/١ .

البديع فى المثل السائر :

لقد نحا ابن الاثير بالبلاغة منحى آخر أساسه التعريف  
بمناعة الكتابة ، فقسم كتابة الى قسمين أو مقاليتين :  
المقالة الأولى فى المناعة اللفظية ، وتحدث فى القسم  
الثانى منها عن اللفاظ المركبة ، حيث عرض فى هذا القسم  
لأنواع البديع اللفظى ، وفيها يقول :

"وأعلم أن صناعة تأليف اللفاظ تنقسم الى ثمانية  
أنواع هى : السجع ويختص بالكلام المنشور ، التمريع ويختص  
بالكلام المنظوم ، التجنيس ويشمل القسمين جميعا ، الترميع  
ولزوم مالا يلزم ، الموازنة ، واختلاف صيغ اللفاظ ، وتكرير  
الحروف"<sup>(١)</sup> .

وتحدث فى المقالة الثانية عن المناعة المعنوية ،  
فجمع بهذا العمل مسائل البيان والمعانى والبديع فى تلك  
المقاليتين :

لهذا فأننى أحاول جمع ما تفرق فى أنحاء الكتاب من  
الأنواع التى اشتهر بها علم البديع عند معظم المتأخرين :  
فأبدا بالمحسنات المعنوية :

الطباق : التناسب بين المعانى :

وقد قسمه الى ثلاثة أقسام :

---

(١) المثل السائر ص ٣٠٨ .



النوع الأول : المطابقة : وتسمى البديع - ايضا - "وهو فى المعانى ضد التجنيس فى اللفاظ ، لأن التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى ، وهذا هو أن يكون المعنيان ضدّين" (١) : ويبيّن ابن الاثير أن أرباب هذه الصناعة قد اجمعوا "على أن المطابقة فى الكلام هى الجمع بين الشئ وضده ، كالسواد والبياض ، والليل والنهار ، الا أن قدامة بن جعفر قد خالفهم فى هذا فقال : "المطابقة ايراد لفظين متساويين فى البناء والصيغة مختلفين فى المعنى وهذا الذى ذكره هو التجنيس بعينه ، غير أن الاسماء لا مشاحة فيها الا اذا كانت (٢) مشتقة " .

ثم يوضح ابن الاثير. أمل المطابقة فى اللغة فيقول "وقد وجدنا الطباق فى اللغة من طابق البعير فى سيره ، اذا وضع رجله موضع يده ، وهذا يؤكد ما ذكره قدامة لأن اليد غير الرجل لا ضدها ، والموقع الذى يقعان فيه واحد ، وكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذى يجمعها واحد ، فقدامة سمى هذا النوع من الكلام مطابقا حيث كان الاسم مشتقا مما سمى به ، وذلك مناسب وواقع فى موقعه" (٣) .

ثم يذكر ابن الاثير أن غير قدامة من حذاق هذه الصناعة قد سنوا هذا الضرب من الكلام مطابقا لغير اشتقاق بينه وبين مسماه الا أن يكونوا قد علموا مناسبة لم يعلمها ابن الاثير ثم يبين : أن الاليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع

---

(١) المصدر نفسه ١٧١/٣ .  
 (٢) المصدر نفسه ١٧١/٣ .  
 (٣) المصدر نفسه ١٧١/٣ .

المقابلة : لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين : أما أن يقابل  
الشئ بضده أو يقابل الشئ بما ليس بضده وليس لنا وجه  
ثالث :

فأما الأول : فهو مقابلة الشئ بضده كالسواد والبياض ،  
وما جرى مجراهما فإنه ينقسم الى قسمين :

أحدهما : مقابلة فى اللفظ والمعنى كقوله تعالى :  
{فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا} <sup>(١)</sup> فقابل الضحك والبكاء ،  
والقليل والكثير .

وكذلك قوله تعالى : {لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ  
وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} <sup>(٢)</sup> ثم يقول "وهذا أحسن ما جاء فى هذا  
الباب" <sup>(٣)</sup> .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خير المال عين  
ساهرة لعين نائمة" <sup>(٤)</sup> .

ومثل له أيضا بقول على رضى الله عنه "ان الحق ثقيل  
مريى والباطل خفيف وبى" . وأنت رجل ان صدقت سخطت وان  
كذبت رضيت" وهذه خمس مقابلات فى الكلمات القصار .

وأما الآخر فهو مقابلة فى المعنى دون اللفظ :

فقد مثل لها بقول المقنع الكندى من شعراء الحماسة :  
لَهُمْ جَلٌّ مَالِيٍّ إِنْ تَتَابَعَ لِي غِنَى  
وَإِنْ قَلَّ مَالِيٍّ لَمْ أَكَلْفُهُمْ رِقْدًا <sup>(٥)</sup>

فقوله "تتابع لى غنى بمعنى قوله : كثر مالى ، فهو

(١) التوبة : ٨٢

(٢) الحديد : ٢٣

(٣) المثل السائر ١٧٢/٣ بتصرف .

(٤) لم أعثر عليه فى كتب الحديث .

(٥) المثل السائر ١٧٩/٣ .

إذا مقابلته من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، لأن حقيقة  
الاضداد اللفظية إنما هي في المفردات من الألفاظ ، نحو قام  
وقعد .. وقل وكثر فالقيام ضد القعود ، والقليل ضد الكثير  
فإذا ترك المفرد من الألفاظ وتوصل إلى مقابلته بلفظ مركب  
كان ذلك مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، وهذا  
(١)  
مقابلة معنوية لا لفظية :

ويبدو لي أن هذه المقابلة المعنوية في رأى ابن الأثير  
هي ما عبر عنه الخطيب القزويني بالطباق الخفى فقال :  
(٢)  
"والطباق قد يكون ظاهراً كما ذكرنا وقد يكون خفياً ...  
كقوله تعالى : {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً} (٣)  
طابق بين أغرقوا وأدخلوا نارا فالتقابل ظاهر بين الاغرق  
والاحراق الذى هو لازم لدخول النار .  
أما مقابلة الشئ بما ليس بضده ، فإنها ضربان :  
الضرب الأول يتفرع إلى فرعين :

#### الفرع الأول :

"ماكان بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقارب كقول

قريط بن أنيف :  
يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلَمِ مَغْفَرَةً  
(٤)  
وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا

- 
- (١) المصدر السابق ١٧٩/٣ .  
(٢) الإيضاح للقزويني ص ١٩٣ .  
(٣) نوح : ٢٥  
(٤) المثل السائر ١٨٠/٣ .

"فقابل الظلم بالمغفرة ، وليس هذا لها وإنما ضد العدل  
الا انه لما كانت المغفرة قريبة من العدل حسنت المقابلة  
(١)  
بينها وبين الظلم " .

(٢)

ومثله قوله تعالى : {أشداء على الكفار رحماء بينهم}  
فالرحمة ليست ضد الشدة وإنما ضد الشدة اللين الا أنه لما  
كانت الرحمة من مسببات اللين حسنت المقابلة بينها وبين  
الشدة" (٣) وأرى أيضا أن الرحمة تقابل القسوة ولكنه قال أشداء  
ولم يقل قساة ، لأن المطلوب مع الكفار هو الشدة واطهار  
الشوكة والغلبة وليست القسوة والظلم ، ولم يقل أشداء على  
الكفار لينون بينهم لأن المطلوب بين المؤمنين هو التراحم  
والتعاطف والتواد وليس الضعف واللين .

#### الفرع الثاني :

ماكان بين المقابل والمقابل به بعد وهذا مما لا يحسن  
استعماله كقول أبي الطيب المتنبي :  
لمن تطلب الدنيا اذا لم تُرد بها  
سرور محب أو اساءة مجرم

فان المقابلة الصحيحة بين المحب والمبغض ، لا بين  
المحب والمجرم اذ ليس كل من أجرم اليك كان مبغضا لك .  
والذي يبدو لى أن هذا الضرب بفرعيه - وهو مقابلة  
الشيء بما ليس بضده انما هو واحد من أمرين أحدهما الخطيب

---

(١) المثل السائر ص ١٨٠ .  
(٢) الفتح : ٢٩  
(٣) المثل السائر ١٨٠/٣ .

(١)

بالطباق ، حيث قال : "ويلحق بالطباق شيان :

أحدهما بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع  
تعلق كالسببية وال لزوم ، نحو قوله تعالى : "أشداء على  
الكفار رحماء بينهم" .

والآخر : الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما

بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان كقول دعبل :

لا تمجبي ياسلم من رجل  
ضحك المشيب برأسه فبكى

فالمراد بضحك المشيب ظهوره وهو لا يقابل البكاء وإنما

اللفظ الذي عبر به عن الظهور وهو الضحك المقابل للبكاء .

ومما يتصل بهذا الضرب ما يسميه ابن الأثير :

المؤاخاة بين المعانى ، والمؤاخاه بين المبانى .

أما المؤاخاة بين المعانى ، فهو أن يذكر المعنى مع

أخيه ، لا مع الأجنبي ، ومثاله : أن تذكر وصفا من الأوصاف ،

وتقربه بما يلتئم به ، فإن ذكرته مع ما يبعد منه كان ذلك

قدحا فى الصناعة ، وإن كان جائزا . ومن ذلك قول الكميت :

أم هل ضغائن بالعلياء رافعة  
وإن تكامل فيها الدل والشنب

فالدل يذكر مع الغنج وما أشبه ، والشنب يذكر مع اللعس

"وهذا موضع يغلط فيه أرباب النظم والنثر كثيرا . وهو مظنة

الغلط لأنه يحتاج الى شاقب فكرة وحذق بحيث توضع المعانى

(٢)

مع أخواتها لا مع الأجنبي منها" .

(١) شروح التلخيص ٢٩٤/٤ ، الايضاح ص ١٩٤ .

(٢) المثل السائر ١٨٢/٣ .

ومنه قول أبى الخواس وقد أخطأ فيه :

وقد حلفت يميناً  
مبررة لا تكذب .

ربّ زمزم والحو  
ض والمفا والمحصب .

لان ذكر الحوض مع زمزم ، والمفا والمحصب غير مناسب ،  
وانما يذكر الحوض مع الصراط والميزان وما جرى مجراهما .  
ويلاحظ أن ماسماه ابن الأثير هنا باسم المؤاخاة بين  
(١)

المعاني هو ما عرف عند الخطيب باسم "مراعاة النظير" .  
(٢)  
أما المؤاخاة بين المباني فانه يتعلق بالالفاظ ، فمن

ذلك قول أبى تمام فى وصف الرماح :  
مشققات سلبين العرب سمرتها

(٣)  
والروم زرقتها والعاشق القففا

ويقول "وهذا البيت من أبيات أبى تمام الافراد ، غير أن  
فيه نظرا ، وهو قوله العرب والروم ، ثم قال العاشق ، ولو  
صح أن يقول العاشق لكان أحسن . إذ كانت الأوصاف تجرى على  
نهج واحد وكذلك قوله سمرتها وزرقتها ثم قال القففا ، وكان  
(٤)  
ينبغي أن يقول قففا أو دقتها" .

ويرى ابن الأثير أن المؤاخاة بين المباني إنما يطالب  
بها الناثر دون الناظم ، لأنه يمكنه التصرف فى ضروب القول  
أكثر من الناظم ، كما أنه يرى أن هذا الضرب من الكلام واجب

(١) المبخ البديع ص ٢٧٤ .  
(٢) المثل السائر ١٨٤/٣ .  
(٣) القففا : النخافة والضمور .  
(٤) المثل السائر ١٨٥/١٨٤/٣ .

"وأنه لا يحسن المحيد عنه حتى مر به فى القرآن الكريم ما يخالفه ، كقوله تعالى : {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُ ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ} (١) ولو كان الأحسن لزوم البناء اللفظى على سنن واحد لجمع اليمين كما جمع الشمال

أو أفرد الشمال كما أفرد اليمين ، وكذلك قوله تعالى : {أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ} (٢) وأولئك هم الغافلون

وكذلك ورد قوله تعالى : {حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ} (٣)

(٤)

فذكر السمع بلفظ الأفراد وجمع الأبصار والجلود .

وهكذا نجد ابن الأثير يرى أن المؤاخاة بين المباني ليست محسناً للكلام وقد عاب قبل ذلك بيت أبى تمام لأنه لم يلتزم بها ، ثم رأى أن من الانصاف أن يطالب بها الناشر دون الناظم ، فكما وجد فى القرآن الكريم ما يخالفها ، رأى أن المؤاخاة بين المباني غير لازمة لحسن الكلام .

الضرب الثانى "فى مقابلة الشئ بمثله" ويتفرع الى

فرعين :

الفرع الأول "مقابلة المفرد بالمفرد" كقوله تعالى {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} (٥) وكقوله تعالى {وَمَكْرُوا مَكْرًا ، وَمَكْرُنَا مَكْرًا} (٦)

- 
- |     |                      |
|-----|----------------------|
| (١) | النحل : ٤٨           |
| (٢) | النحل : ١٠٨          |
| (٣) | فصلت : ٢٠            |
| (٤) | المثل السائر ١٨٦/٣ . |
| (٥) | التوبة : ٦٧          |
| (٦) | النمل : ٥٠           |

وقد روعى هذا فى القرآن كثيرا ، فإذا ورد ماورد فى صدر آية من الآيات ما يحتاج الى جواب كان جوابه مماثلا كقوله تعالى : {من كفر فعليه كفره} وكقوله تعالى : {وجزاء سيئة سيئة مثلها} وهذا هو الأحسن وعليه مدار الاستعمال ومعلوم أن هذا النوع الذى تحدث عنه ابن الأثير هو ما عرف عند المتأخرين باسم المشاكلة . وهو ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبتته تحقيقا أو تقديرا .

المثال الأول : وجزاء سيئة سيئة مثلها .  
وأما الثانى كقوله : {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً} (٤)

الفرع الثانى : مقابلة الجملة بالجملة :

يرى ابن الأثير أن الجملة فى الكلام إذا كانت مستقبلية قوبلت بمستقبلية ، وإن كانت ماضية قوبلت بماضية وربما قوبلت الماضية بالمستقبلية والمستقبلية بالماضية إذا كانت (٥)  
أحدهما فى معنى الأخرى .

ويمثل لهذا النوع بقول الله تعالى {قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن إهتديت فبما يوحي إلي ربي} (٦) فالتقابل فى هذه الآية من جهة المعنى ، ولو كان التقابل من جهة اللفظ ، لقال وإن إهتديت فأنما إهتدى لها ، وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما عليها فهو بها ، أعنى أن

- 
- |     |                      |
|-----|----------------------|
| (١) | الروم : ٤٤           |
| (٢) | الشورى : ٤٠          |
| (٣) | الايضاح : ١٩٨ .      |
| (٤) | البقرة : ١٣٨         |
| (٥) | المثل السائر ١٩٠/٣ . |
| (٦) | سبأ : ٥٠             |



كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بسببها ومنها لأنها  
الأمارة بالسوء ، وكل ما هو لها مما ينفعها فبهداية ربها  
وتوفيقه إياها ، وهذا حكم عام لكل مكلف .

وانما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن يسند  
ذلك الى نفسه ، لأن الرسول اذا دخل تحتة مع علو محله ،  
(١)  
وسداد طريقته كان غيره أولى به .

ومن هذا النوع قوله تعالى : { ألم يروا أنا جعلنا  
الليل ليسكنوا فيه والنهار مبمرا } (٢)  
ففي قوله " ليسكنوا ومبمرا " اذ لو روى التقابل لقال  
" والنهار ليبمروا فيه وانما هو مراعى من جهة المعنى لا من  
جهة اللفظ وهذا النظم المطبوع غير المتكلف ، لان معنى قوله  
مبمرا ليبمروا فيه طرق القلب في الحاجات " .

ويرى ابن الأثير أن في تقابل المعانى بابا عجيب الأمر  
يحتاج الى فضل تأمل وتدبر قل من يظن اليها . وذلك يختم  
(٣)

بالقوامل من الكلام المنثور وبالأعجاز من الأبيات الشعرية .  
يقول في قوله تعالى : { وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا  
إنما نحن مملحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون }  
وقوله : { وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن  
كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون } (٤)

- 
- (١) المثل السائر ٣/ ١٩٠ .  
(٢) النمل : ٨٦  
(٣) المثل السائر ص ١٩٠ .  
(٤) البقرة : ١١-١٣

يقول : "ألا ترى كيف فعل الآية الأخرى بيعلمون ، والآية التي قبلها يشعرون وانما فعل ذلك لأن الأمر والوقوف على المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر العلم والمعرفة بذلك وأما النفاق ومافيه من البغى معلوم عند الناس خصوصا عند العرب وماكان فيهم من التجارب والتفاور ، فهو كالمحسوس عندهم فلذلك قال فيه "يشعرون" وأيضا ، فإنه ذكر السفه في الآية الأخيرة أو هو جهل ، كان ذكر العلم معه أحسن طباقا مثالا "لايعلمون" (١)

ومما جاء في هذا الباب قول أبي الطيب المتنبي :

وقفت وما في الموت شك لواقف

كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة

ووجهك وضاح وشغرك باسم

وقد أخذ على ذلك ، وقيل لو جعل آخر البيت الأول آخر

(٢)

للبيت الثاني ، وآخر البيت الثاني آخرًا للاول لكان أولى .

القسم الثاني "من التناسب بين المعانى" فى صفة

(٣)

التقسيم وفساده .

نبه ابن الاثير فى بداية كلامه عن هذا القسم أنه لايريد

بصفة التقسيم ههنا ماتقتضيه القسمة العقلية كما عنى بها

المتكلمون وانما يريد به مايقضيه المعنى مما يمكن وجوده

من غير أن يترك منها قسم واحد ، واذا ذكرت قام كل قسم منها

بنفسه ولم يشارك غيره ، فتارة يكون التقسيم بلفظة "اما"

(١) المثل السائر ١٩٤/٣-١٩٣ .

(٢) المصدر نفسه ١٩٣/٣ .

(٣) المصدر نفسه ١٩٤/٣ .

وتارة يكون بلفظة "بين" وتارة بلفظة "منهم" وهكذا ...

ومما جاء من هذا القسم قوله تعالى : {ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فيمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله} (١) يقول :

"فهذه قسمة صحيحة لانه لا يخلو أقسام العباد من هذه

الثلاثة فاما عامي ، ظالم لنفسه واما مطيع مبادر الى الخيرات ، واما مقتصد بينهما" . (٢)

وعند قوله تعالى : {هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً}

لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطماع وليس هناك قسم ثالث .

وقد ذكر ابن حجة ما ذكره البلاغيون في معنى التقسيم ثم

قال "ويعجبني بلاغة زكي الدين ابن أبي الاصبع فانه قال عن التقسيم عبارة عن استثناء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه ، ومثل له بقوله تعالى : {هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً} وليس في رؤية البرق غير الخوف من الصواعق أو الطمع في الأمطار ولا ثالث لهماذين القسمين" . (٤)

ومن التقسيم ما روى أن اعرابيا وقف على مجلس الحسن

البصري - رضى الله عنه - فقال "رحم الله عبداً أعطى من سعة أو امسك من كفاف أو آثر من قلة" فقال الحسن البصري : ماترك لاحد عذرا .

وقد ذكر ابن الاثير أن أبا هلال العسكري قد عاب على

جميل قوله :

(١) فاطر : ٣٢

(٢) المثل السائر ١٩٤/٣ .

(٣) الرعد : ١٢

(٤) خزانة الادب لابن حجة ص ٤٤٣ .

لو كان في قلبي كقدر قلامة  
حبا وملتك ، أو أتك رسائلي  
(١)

لأن اتيان الرسائل داخل في جملة الوصل .

ويرد ابن الأثير على أبي هلال العسكري بقوله "وليس الأمر كما وقع له ، فإن جميلا إنما أراد بقوله : وصلتك ، أتيك زائرا ، قاصدا أو كنت راسلتك مراسلة ، والوصل لا يخرج عن هذين الوصفين أما زيارة وأما رسالة " . وهو في نقده محق فالوصل ليس كالرسالة .

ومن شرط التقسيم عند ابن الأثير أن لا تتداخل أقسامه بعضها ببعض وهو مأخوذ عن قدامة في نقد الشعر " .  
(٣)

ونلاحظ أن ابن الأثير تحدث عن صحة التقسيم ولم يتطرق إلى الجمع مع التفريق أو الجمع مع التقسيم أو الجمع مع التقسيم والتفريق مما نلاحظه عند عبد القاهر الجرجاني ثم عند الخطيب القزويني ، ولكنه أخذ صحة التقسيم عن قدامة بن جعفر . فأحاط بمفهومه وشروطه .  
(٤)  
(٥)

القسم الثالث "من التناسب بين المعاني" في ترتيب التفسير .

يبين ابن الأثير مقمده من هذا النوع بأن صحة الترتيب يقيمدها "أن يذكر في الكلام معان مختلفة فإذا عيد إليها بالذكر لتفسير قدم المقدم وآخر المؤخر وهو الأحسن ، إلا أنه قد ورد في القرآن الكريم وغيره من الكلام الفصيح ، ولم

- 
- (١) المناعتين ص ٣٧٩ .  
(٢) المثل السائر ١٩٧/٣ .  
(٣) دلائل الإعجاز ص ٦٤-٦٥ .  
(٤) الإيفاح ص ٢٠٤ .  
(٥) نقد الشعر ص ١٣٩ .

يراع فيه تقديم المقدم ولاتأخير المؤخر كقوله تعالى :  
 {أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ  
 نَشَأَ نَحْصِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي  
 ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ} (١) ولو قدم التفسير المقدم فى هذه  
 الآية وأخر تفسير المؤخر لقليل ان نشأ نسقط عليهم كسفا من  
 السماء أو نخسف بهم الأرض" . (٢)

وكذلك قوله تعالى : {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ  
 فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا  
 الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ  
 اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} . فقدم المؤخر آخر المقدم . (٣)

وأما ما روى فيه تقديم المقدم وتأخير المؤخر قوله  
 تعالى : {وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ . يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَفْئِدَةُ  
 بِأُذُنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا ففِى النَّارِ لَهُمْ  
 فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا  
 مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِى  
 الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ  
 عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُودٍ} (٤)

قال العلامة سعد الدين التفتازانى جمع الانفس فى عدم  
 التكلم "يقول لاتكلم نفس لأن النكرة فى سياق النفى تعم ، ثم  
 فرق بأن أوقع التباين بينهما بأن بعضها شقى وبعضها سعيد  
 بقوله فمنهم شقى وسعيد وإنما الانفس وأهل الموقف واحد ، ثم

- 
- (١) سبأ : ٩  
 (٢) المثل السائر ٢٠٠/٣ .  
 (٣) آل عمران : ١٠٦-١٠٧  
 (٤) هود : ١٠٤-١٠٨

قسم وأضاف الى السعداء مالهم من نعيم الجنة والى الاشقياء مالهم من عذاب النار بقوله فأما الذين شقوا الى آخره..... " اقول تداخل هذه الالكوان وبناء العبارة عليها جعلها كأنها ضرب من القبض والبسط ، وضروب من الملاحظات النافذة السريعة التى تدرك الحدود الفارقة والصفات الجامعة وتضع الاشارات السريعة التى تمل الاشياء بعضها ببعض ، فهم واحد بالنسبة للموقف وهم فريقان بالنسبة للشقاوة والسعادة ، والشقاوة للاشقياء هى كذا ، والسعادة للسعداء هى كذا ، وهكذا ...

تحديدات ذهنية أشبه بالاعمال الرياضية ، وهذا هو مرجع المزية فيها ، لأنها تشير ألوانا عديدة من نشاط النفس ولا بد أن يكون هذا النشاط جادا ويقظا .  
(٢)

ويلاحظ مما تقدم أن ابن الاثير قد ألم بصحة التقسيم وفساده ، وترتيب التفسير وفساده ، قد ألم بهما عند قدامة ابن جعفر الا أنه لم يذكر صحة التفسير واستعاض عنها بترتيب التفسير . ولا أعلم السبب الذى من أجله ترك صحة التفسير الى صحة ترتيبه مع أنه يقول " ان فساد التفسير أقبح من فساد ترتيبه " .  
(٣)

الأرصاد أو التسميم :

ويعرفه بقوله " وأن يبنى الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرمدها له ، أى أعدها فى نفسه ، فاذا أنشد

(١) شروح التلخيص ٣٤٥/٣٤/٤ .  
(٢) قد استفدت فى هذا كثيرا من الدكتور محمد أبو موسى .  
(٣) المثل السائر ٢٠٤/٣ .

(١)  
البيت عرف مايتى فى قافيته " ثم يذكر أن ذلك محمود الصفة  
لان الكلام مادل بعفه على بعض ، فقد افتخر ابن نباتة السعدى  
بذلك فقال :

خذها اذا أنشدت فى القوم من طرب

عدورها عرفت منها قوافيها

ثم يبدأ ابن الأثير فى التمثيل لهذا النوع البديعى  
بما جاء منه شعرا ويختمه بما جاء منه نثرا ، فما جاء منه  
شعرا قول النابغة :

فِدَاءُ لَأَمْرٍ سَارَتْ إِلَيْهِ  
بِعَذْرَةِ رَبِّهَا عَمَّى وَخَالِي  
وَلَوْ كَفَى الْيَمِينُ نَفْتِكَ خَوْناً  
لَأَفْرَدْتُ الْيَمِينِ عَنِ الشَّمَالِ

ثم يقول الا ترى أنه يعلم اذا عرفت القافية فى البيت  
الاول أن فى البيت الثانى ذكرا للشمال .

وأما ما جاء منه نثرا فقول الله تعالى : {وما كان  
الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا} ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى  
بينهم فيما فيه يختلفون} عرف أن بعده يختلفون لأنه تقدم  
ما يدل عليه .

ومنه قوله تعالى : {مثل الذين اتخذوا من دون الله  
أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت  
العنكبوت} فاذا وقف السامع على قوله عز وجل وإن أوهن  
(٢)

(١) المثل السائر ٢٤٥/٣ .

(٢) يونس : ١٩

(٣) العنكبوت : ٤١

البيوت يعلم أن بعده بيت العنكبوت .

ويذكر ابن الأثير أنه قد رأى أبا هلال العسكري يسمى هذا النوع باسم التوشيح "وليس كذلك بل تسميته بالارصاد أولى حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به وأما التوشيح فإنه نوع (١)  
آخر من علم البيان" .

والنلاحظ مما تقدم أن تعريف ابن الأثير للارصاد لم يكن دقيقاً لأنه خصه بالشعر حيث قال "أن يبنى الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرمدها له ، أى أعدها فى نفسه ، فإذا أنشد صدر البيت عرف مايتى به فى قافيته" على الرغم من (٢)  
هذا فقد مثل له نثراً والتعريف لم يشمل النثر كما شمل الشعر .

ولهذا عرفه الخطيب القزوينى بقوله "أن يجعل من الفقرة أو البيت مايدل على العجز إذا عرف الروى" (٣)

أما تسمية بالارصاد فقد انفرد به ابن الأثير ولعل أول من نبه اليه عبد الله بن المقفع بقوله عند ماسئل عن البلاغة "وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر الذى إذا سمعت مدره عرفت قافيته ، ولم يسمه وجاء (٤)  
قدامة فسماه التوشيح وجاراه فى التسمية كل من أبى هلال (٥)  
العسكرى والباقلانى وأطلق عليه ابن رشيق التسميم متابعاً فى (٦)  
ذلك على بن هارون المنجم . (٧)

- 
- (١) المثل السائر ص ٢٤٦ .  
(٢) المثل السائر ص ١٤٦-٢٤٦ .  
(٣) الايضاح ص ١٩٨ .  
(٤) البيان والتبيين للجاحظ ١١٧/١ .  
(٥) نقد الشعر ص ١٦٧ .  
(٦) المناعتين لأبى هلال ص ٣٩٧ .  
(٧) البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف ص ١٤٩ .



وجاء الارصاد على لسان ابن الاثير ، فجاءت على لسان من  
 بعده الا أن الخطيب أطلق عليه اسم الارصاد أو التسهيم .  
 (١)  
 وقد ذكر العلامة السبكي - أن الارصاد انما سمى ارصادا  
 لأن السامع يرصد ذهنه للقافية بما يدل عليها فيما قبلها  
 وسمى تسهيمًا من البرد المسهم المستوى الخطوط ، وقيل يسمى  
 تسهيمًا ، لأن المتكلم يصوب ما قبل عجز الكلام الى عجزه  
 (٢)  
 والتسهيم ، تصويب السهم الى الغرض .

#### التورية :

يسمى ابن الاثير هذا النوع باسم المغالطات المعنوية ،  
 وعرفه بقوله " أن يذكر معنى من المعانى له مثل فى شئ آخر  
 ونقيض ، والنقيض أحسن موقعا والطف مأخذا " ، وهى من أحلى  
 (٣)  
 ما استعمل من الكلام والطفه لما فيه من التورية .  
 ثم يبين أن الذى يكون له مثل يقع فى الالفاظ المشتركة

من ذلك قول أبى الطيب :

يَشْلَهُمْ بِكُلِّ أَقْبَ نَهْدٍ

لِفَارِسِهِ عَلَى الْخَيْلِ الْخِيَارِ

وَكُلِّ أَسْمٍ يَعْسِلُ جَانِبَاهُ

عَلَى الْكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمُ حِمَارِ

يَغَادِرُ كُلَّ مَلْتَفَةٍ إِلَيْهِ

وَلَيْتَهُ لِيَتَلَبَّاهُ وَجَارُ

(١) الايضاح للقزويني ١٩٨ .

(٢) عروس الافراح للسبكي ٣٠٥/٤ .

(٣) المثل السائر ٩١/٣ .

وقد أخذ ابن الأثير التسمية من قول عبد القاهر الجرجاني وكقول الذى قال لاحملنك على الأدهم ، يريد القيد ، فقال على سبيل المغالطة : ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب فالمراد بالأدهم - القيد والفرس الذى فيه سواد وقد حملته الحجاج على المعنى الأول وحمله الفيثري على الآخر فكل منهما قد حمل ذلك اللفظ على خلاف مراد الآخر .  
وعبد القاهر جدير بهذه التسمية وان كانت مغالطة أدبية طريفة .

وقد سمي السكاكى هذا الفن باسم الأسلوب الحكيم ، وعرفه الخطيب بقوله بأنه "تلقى المخاطب بغير ما يترقب يحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها له على أنه الأولى بالقصد أو السائل بغير ما يتطلب تنزيل سؤاله منزلة غيره ، تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم لذا" .  
(٢)

#### التجريد :

وعرفه بقوله "إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه" .

ويبين سر هذه التسمية ، فبين أن أمله فى وضع اللغة : من جردت السيف اذا نزعته من غمده ، وجردت فلانا اذا نزعته شيابه ، ومن هنا قال النبى صلى الله عليه وسلم "لا مد ولا تجريد" فى النهى عند اقامة الحد ، أن يمد صاحبه على الأرض

---

(١) الدلائل ص ١٠٧ .

(٢) الايضاح ص ٤٦ .

وأن تجرد شياؤه ، ثم نقل هذا المعنى الى نوع من أنواع علم  
(١)  
البيان " .

وابن الأثير وجد للتجريد فائدتين .

الأولى : طلب التوسع فى الكلام ، لأنه اذا كان ظاهره  
خطابا لغيرك وباطنه خطابا لنفسك كان ذلك من باب التوسع .  
الفائدة الثانية : وهى الأبلغ أن المتكلم يتمكن من  
اجراء الأوصاف المقمودة من مدح أو غيره على نفسه اذ يكون  
مخاطبا بها غيره ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله  
غير محجور عليه .

وعلى هذا الأساس قسم ابن الأثير التجريد قسمين : محضاً ،  
وغير محض .

القسم الأول : التجريد المحض وعرفه بقوله : أن تأتى  
بكلام لغيرك وأنت تريد به نفسك ، وهذا القسم ينطبق على  
(٢)  
تعريف ابن الأثير للتجريد .

وقد قسمه الى قسمين :

القسم الأول : ما يمكن به تمكين المتكلم من اجراء  
الأوصاف المقمودة من مدح أو غيره على نفسه ، وقد مثل له  
بقول الشاعر المعروف بالحيمس بيض :

إِلَامَ يَرَاكَ الْمَجْدُ فِي زِيٍّ شَاعِرٍ  
وَقَدْ نَحَلَتْ شَوْقًا فُرُوعَ الْمَنَابِرِ  
كَتَمْتُ بَعِيبَ الشَّعْرِ حِلْمًا وَحِكْمَةً

بِبَعْضِهِمَا تَنْقَادُ صَعْبُ الْمَفَاخِرِ

(١) المثل السائر ١٦٩/٢ .

(٢) المثل السائر ١٧٠/٢ .

أَمَّا وَأَبِيكَ الْخَيْرَ إِنَّكَ قَارِسٌ<sup>١</sup> أَلْ

مَقَال - وَمَحْي الدَّارِسَاتِ الْغَوَابِرِ

وَأِنَّكَ أَعْيَيْتَ الْمَسَامِعَ وَالنُّهَى

بِقَوْلِكَ عَمَّا فِي بَطُونِ الدَّفَاتِرِ

فقد أجرى الشاعر الخطاب على غيره ، وهو يريد نفسه  
ليتمكن من ذكر مذكره ونحن نعلم أن هذا التجريد التفات  
على رأى السكاكى حيث انتقل من التكلم الى الخطاب .<sup>(١)</sup>

النوع الثانى : ما قصد به التوسع خاصة ومنه قول

الشاعر :

حَنَنْتُ إِلَى رِيًّا ، وَنَفْسِكَ بَاعَدْتُ

مَزَارَكَ مِنْ رِيًّا وَشَعْبَاكَمَا مَعَا

فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا

وَتَجْزَعُ أَنْ دَاعَى الْمَبَابِقِ اسْمَعَا

ثم يقول ابن الأثير : وقد ورد بعد هذين البيتين ما يدل

على أن المراد بالتجريد فيهما التوسع لأنه قال :

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحَمَى ثُمَّ أَنْثَنَى

عَلَى كَبْدِي خَشِيقًا أَنْ يَتَمَدَّعَا

بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضَ مَا أَطْيَبَ الرِّبَا

وَمَا أَحْسَنَ الْمَمْطَافَ وَالْمَتَرِبَعَا

فانتقل من الخطاب التجريدى الى خطاب النفس ولو استمر

على الحالة الأولى لما قضى عليه بالتوسع وإنما يقضى عليه

بالتجريد البليغ الذى هو الطرف الآخر وهذا النوع هو التفات

(١) الايفاج ص ٢٠٦ .

(٢) المثل السائر ١٧٠/٢ .

من المخاطب الى المتكلم على رأى الجمهور وكان الأخرى بابن  
الأثير أن يضم هذا النوع الى أنواع الالتفات عنده .

أما القسم الثانى :

فهو تجريد غير محض ، فهو خطاب للنفس لا للغير ، ومن

أمثلة :

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ جَشَّتْ وَجَاشَتْ  
رَوَيْدُكَ تَحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي .

عكس الظاهر :

وقد عرفه ابن الأثير بقوله : "وهو نفى الشئ بأشباته ،  
وعنده من مستظرفات علم البيان ، ذلك لانك "تذكر كلاما يدل  
ظاهره أنه نفى لصفه موصوف ، وهو نفى للموصوف أصلا" .  
(١)

ومن أمثلة هذا النوع قول على بن أبى طالب  
- رضى الله عنه - فى وصف مجلس رسول الله صلى الله عليه  
وسلم "لا تشنى فلتاته" أى لاتذاع وليس المعنى ذلك بل  
المعنى أنه لم يكن ثم فلتات تشنى .

ومن أمثلة هذا النوع أيضا قول الشاعر الباهلى :

لَا تَفْزَعُ الْأَرْنَبُ أَهْوَالَهَا  
وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ .

فظاهر المعنى من البيت أنه كان هناك ضب ولكنه ليس  
منجحر وليس الأمر كذلك ، لأن المعنى أنه لم يكن هناك ضب  
أصلا .

وسبب قلة استعمال هذا النوع من الكلام ، كما يقول ابن الأثير "أن الفهم يأباه ولا يقبله إلا بقريضة خارجة عن دلالة لفظه على معناه ، وما كان عاريا عن قرينه فإنه لا يفهم منه (١) ما أراد قائله " .

ولئن كان هناك قريضة وضحت المراد من قول على - رضى الله عنه - "لا تثنى فلتاته " ، وهى أنه قد شبتت فى النفوس ، وتقرر عند العقول أن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله عن فلتات تكون به وهو أكرم من ذلك وأوقر فليس هناك قريضة تبين المراد من قول القائل "ولاترى الفب بها ينحجر" ويقول ابن الأثير : "انه مكث يطوف على أقوال الشعراء قمدا للظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم يجد إلا بيتا لامرئ القيس هو" (٢)

على لا حبل لا يهتدى بمناره

إذا ساءه العود الديافى جرجرا

فقوله "لا يهتدى بمناره" ظاهره أن له منارا ولكنه لا يهتدى به ، وليس الأمر كذلك بل وإنما المراد : أنه لا منار له ، فيهتدى به .

ويلاحظ أن ابن الأثير لم يقرأ "كتاب العمدة" لابن رشيق المتوفى سنة ٤٥٦ هـ لأنه يقول "قد طوف على أقوال الشعراء قمدا للظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم يجد غير (٣) ماتقدم" مع العلم بأن ابن رشيق أورد هذا النوع وسماه (٤)

نفى الشئ بإيجابه ومن أمثلة قول زهير :

(١) المثل السائر ٢/٢٩٠ .

(٢) المثل السائر ٢/٢٩٠ .

(٣) العمدة لابن رشيق ٢/٨٠ .

(٤) العمدة لابن رشيق ٢/٨١ .

بأَرْفٍ خَلَاءٍ ، لَا يَسْدُ وَصِيدَهَا  
عَلَى وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ

حيث أثبت بها في اللفظ وصيدا ، وإنما أراد : ليس  
لها وصيد وقد عده من البديع .

ومن أمثله أيضا قول ابى ذؤيب :

مَتَفَلَّقٌ أَنْسَاؤُهَا عَنْ قَانِيٍّ  
كَالْقَرِطِ مَا وَغَيْرُهُ لَا يَرْضَعُ

فلم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع ، ولكن أراد أنها لا  
لبن لها فيرضع .

وقد عثر العلامة السيوطى على هذا النوع من الكلام فى  
علم البديع وأطلق عليه نثر الشئ بإيجابه متابعا فيه ابن  
رشيق صاحب العمدة .<sup>(١)</sup>

#### الاستدراج :

ويقول انه استخرجه من كتاب الله تعالى ، وعرفه بقوله  
(٢)  
"وهو من مخادعات الأقوال التى تقوم مقام مخادعات الأفعال" .  
ويوضح أن مدار البلاغة فيه إنما تكمن فى النكت  
الدقيقة التى يستخدمها فى استدراج الخصم للاذعان والتسليم  
ويقول "وقد ذكرت فى هذا النوع ما يتعلم منه سلوك

(١) شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان للسيوطى ،  
ط/مصطفى حلبى ، ١٣٥٨هـ - ص ١٣٤ .  
(٢) المثل السائر ٢/٢٩٥ .

الطريق " فمن ذلك قوله تعالى : {وقال رجل مؤمن من آل فرعون  
يكنتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم  
بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا  
يُمبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يعدي من هو مسرف كذاب } (١) .

يقول ابن الأثير "الآثرى ما أحسن مأخذ هذا الكلام والطفه  
فانه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم ، فقال لا يخلو هذا  
الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يتعداه أو يكون  
صادقا فيمبكم بعض الذي يعدكم ان تعرفتم له " (٢) .

ثم يقول : "انما قال يُمبكم بعض الذي يعدكم ، وقد علم  
أنه نبي صادق وان كل ما يعدهم به لابد وأن يُمبهم ، لابعضه ،  
ذلك لأنه احتاج مقابلة خصوم موسى عليه السلام أن يسلك معهم  
طريق الانصاف والملاطفة في القول ، ويأتيهم من جهة المناصحة  
ليكون أدعى الى سكونهم اليه ، فجاء بما علم أنه أقرب الى  
تسليمهم لقوله ، وأدخل من تمديقهم اياه ، فقال "وان يك  
صادقا يُمبكم بعض الذي يعدكم" وهو كلام المنصف في مقابلة  
المشتط ، وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في  
جميع ما يعد به لكنه أردف بقوله "يُمبكم بعض الذي يعدكم"  
ليهممه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من  
أعطاه حقه وافيا ، فضلا عن أن يتعصب له ، وتقديم الكاذب  
على الصادق من هذا القبيل ، كأنه برطلهم في مدر الكلام بما  
(٣)  
(٤) يزعمونه ، لئلا ينفروا منه " .

(١) غافر : ٢٨

(٢) المصدر نفسه ٢٩٦/٢ .

(٣) المثل السائر ٢٩٧/٢ ٧٩٦ .

(٤) يقال برطل فلانا رشاه ، فتبرطل فارطشى .



ويقول فى آخر الآية : "لو كان مسرفا كذابا لما هداه  
 الله للنبوّة ولاعهده بالبينات" ، وفيه من خداع الخصم  
 واستدراجه مالا خفاء فيه .

وللاستدراج سالك وتصرفات عجيبة فى القرآن الكريم ،  
 كشف عنها ابن الاثير ببراءة واتقان ، نرى ذلك حين تكلم عن  
 قوله تعالى : {وَإِذْ كُفِّرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا  
 نَبِيًّا ، إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي  
 عَنْكَ شَيْئًا ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ  
 فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ  
 كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَمِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ  
 فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} يقول ابن الاثير .

"هذا كلام يهز أعطاف السامعين ، وفيه من الفوائد  
 ما أذكره ، وهو أنه لما أراد إبراهيم عليه السلام أن ينصح  
 أباه ويعظه وينقذه مما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم  
 الذى عمى به أمر العقل رتب الكلام معه فى أحسن نظام ، مع  
 استعمال المجاملة واللفظ ، والأدب الحميد ، والخلق الحسن  
 مستنصحا فى ذلك بنصيحة ربه ، وذلك أنه طلب منه أولا العلة  
 فى خطيئته طلب منبهة على تمادييه ، موقظ من غفلته لأن  
 المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الشواب  
 والعقاب ، إلا أنه بعض الخلق يستخف عقل من أهله للعبادة ،  
 ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلائق كالملائكة والنبيين ،  
 فكيف بمن جعل المعبود جمادا لا يسمع ولا يبصر يعنى به الصم .

(١) المثل السائر ٢/٢٩٦ .

(٢) مريم : ٤١-٤٥

(٣) المثل السائر ٢/٢٩٧-٢٩٨ .

ثم ثنى ذلك بدعوته الى الحق ، مترفقا به ، فلم يسم أباه بالجهل المطلق ، ولا نفسه بالعلم الفائق ، ولكنه قال ان معنى لطائفة من العلم وشيئا منه ، وذلك علم الدلالة على سلوك الطريق ، فلا تستذكف ، وهب اننى واياك فى مسير وعندى معرفة بهداية الطريق دونك فاتبعنى أنجك من أن تغل ثم ثلث ذلك بتشبيطه عما كان عليه ونهيه ثم حذره من سوء العاقبة فلم يصرح بأن العقاب لاحق به ولكنه قال "انى أخاف أن يمسك عذاب" فنكر العذاب ملاطفة لأبيه ، وصدر كل نصيحة من هذه النماذج بقوله ياأبت توسلا اليه واستعطافا<sup>(١)</sup> .

ثم يقول "وفى القرآن مواضع كثيرة من هذا الجنس لا سيما فى مخاطبات الانبياء صلوات الله عليهم - للكفار -<sup>(٢)</sup> والرد عليهم" .

#### الالتفات :

يرى ابن الاثير أن "الالتفات خلاصة علم البيان التى حولها يدندن واليها تستند البلاغة ، وعنها يعنمن"<sup>(٣)</sup> . وهذا النوع مأخوذ من التفات الانسان عن يمينه وشماله ويسميه شجاعة العربية . لأن الشجاعة هى الاقدام فالشجاع يركب مالا يستطيعه غيره ، ويتورد مالا يتورده غيره وكذلك هذا فى الالتفات من الكلام ، فان اللغة العربية تختص به دون سائر اللغات .

(١) المثل السائر ٢/٢٩٨-٢٩٩ .  
(٢) المصدر نفسه ٢/٢٩٩ .  
(٣) المصدر نفسه ٢/١٨١ .

وقد تكون التسمية مأخوذة من أن الشجاعة فيها مخاطرة وكذلك الانتقال من الكلام أو الخطاب أو الغيبة الى معنى آخر فيه مخاطرة بفهم السامع ، وان كان مما يجدد نشاطه وينبذه للامغاء الى ما يقال له من الكلام .

الاسرار البلاغية لأسلوب الالتفات :

يورد ابن الاثير رأيا للامام الزمخشري - رحمه الله - فى قيمة الالتفات ، وهو "أن الرجوع من الغيبة الى الخطاب انما يستعمل للتفنن فى الكلام ، والانتقال من أسلوب الى أسلوب تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للامغاء اليه" (١) ، ولكنه يرد هذا الرأى لسببين اثنين :

اولهما : "أن الانتقال فى الكلام من أسلوب الى أسلوب اذا لم يكن الا تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظا للامغاء اليه فان ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد ، فينتقل الى غيره ليجد نشاطا للاستماع ، وهذا قدح فى الكلام ، لا وصف له ، لانه لو كان حسنا لما مل" (٢) .

وثانيهما : أنه لو سلم للزمخشري "ماذهب اليه لكان يوجد ذلك فى الكلام المطول ، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك لانه قد ورد الانتقال من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجموع الجانبيين معا يبلغ عشرة ألفاظ ، أو أقل من ذلك" (٣) .

(١) المصدر نفسه ١٨١/٢ .  
(٢) المصدر نفسه ١٨٢/٢ .  
(٣) المصدر نفسه ١٨٢/٢ .

ثم يبين ابن الاثير رأيه فيقول " ان الانتقال من الخطاب الى الغيبة أو من الغيبة الى الخطاب لا يكون الا لفائدة اقتضته ، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب الى أسلوب ، غير أنها لاتحد بحد ولا تضبط بضابط لكن يشار اليها الى مواقع منها ، ليقاس عليها غيرها ، فانا رأينا الانتقال من الغيبة الى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ، ثم رأينا ذلك بعيذه ، وهو ضد الاول قد استعمل فى الانتقال من الخطاب الى الغيبة فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لايجرى على وتيرة واحدة ، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود " .<sup>(١)</sup>

وابن الاثير ينهج نهج الأوائل فهاهو ذا "ابن جنى" يذهب الى البحث عن الأسرار التى يلتفت من أجلها فى الكلام ، موضحا أن هذه الأسرار هى من خمائص التراكيب ، ومتطلبات السياق والمقام .

يقول ابن جنى "وليس ينبغى أن يقتصر فى ذكر علّة الانتقال من الخطاب الى الغيبة ، ومن الغيبة الى الخطاب بما عادة أهل النظر أن يفعلوه ، وهو قولهم : ان فيه ضربا من الاتساع فى اللغة لانتقاله من لفظ الى لفظ ، هذا ينبغى أن يقال اذا عرى الموضوع من غرض معتمد ، وسر على مثله<sup>(٢)</sup> تنعقد اليد " .

(١) المثل السائر ١٨٣/٢ .

(٢) المحتسب لابن جنى ١٤٥/١ .

### أقسام الالتفات عند ابن الأثير :

قسم ابن الأثير الالتفات الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الرجوع من الغيبة الى الخطاب ، ومن الخطاب الى الغيبة .

(١) أما الرجوع من الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى في

سورة الفاتحة :

{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، مَالِكُ يَوْمِ  
الدِّينِ ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ  
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} (١)

حيث رجع هنا من الغيبة الى الخطاب اذ قال "اياك نعبد  
واياك نستعين" بعد قوله "الحمد لله رب العالمين" فعدل فيه  
من الغيبة الى الخطاب ، لأن الحمد دون العبادة فأنث تحمدا  
نظيرك ولا تعبد ، ولهذا استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة  
فى الخبر ، فقال الحمد لله ولم يقل الحمد لك ، ولما صار  
الى العبادة التى هى أقصى الطاعات قال : اياك نعبد فخاطب  
بالعبادة تصريحاً بها وتقريباً منه عز اسمه .

(٢) وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال {صِرَاطَ الَّذِينَ  
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} فصرح بالخطاب لما ذكر النعمة ، ثم قال {غير  
المغضوب عليهم} عطفاً على الأول ، لأن الأول موضع تقرب من  
الله بذكر نعمه فلما صار الى ذكر الغضب جاء باللفظ  
منحرفاً عن ذكر الغاضب فأسند النعمة اليه لفظاً ، وروى عنه

(١) الفاتحة : ١-٧

(٢) المثل السائر ٢/٨٣-١٨٤ .

ذكر الغضب تحذرا ولطفا وهذه صورة من صور الالتفات التي حظيت بالقبول عند البلاغيين من بعده .

ومما يندرج تحت هذا النوع أعنى الرجوع من الغيبة الى

الخطاب :

(١) الرجوع من خطاب الغيبة الى خطاب النفس . كقوله تعالى  
 {ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا  
 طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي  
 يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا  
 بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } (٢)

وهذا رجوع من الغيبة الى خطاب النفس ، فانه قال :  
 {وزينا} بعد قوله {ثم استوى} وقوله {فقضاهن} ، وأوحى ،  
 وفائدة الالتفات هنا أن طائفة من الناس غير المتشرعين  
 يعتقدون أن النجوم ليست من سماء الدنيا ، وأنها ليست حفظا  
 ولا رجوما ، فلما صار الكلام الى هاهنا عدل به عن خطاب  
 الغائب الى خطاب النفس لانه مهم من مهمات الاعتقاد ، وهذا  
 هو الالتفات من الغيبة الى التكلم في مفهوم المتأخرين .

(٢) الرجوع من خطاب النفس الى الجماعة :

ومن ذلك قوله تعالى : {وما لى لا أعبد الذى فطرنى واليه  
 (٥)  
 ترجعون} .

حيث صرف الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم لابرار الكلام  
 لهم فى معرض المناصحة ، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم

(١) المثل السائر ص ١٨٦ .

(٢) فصلت : ١٢، ١١

(٣) المثل السائر ص ١٨٦-١٨٧ .

(٤) المصدر السابق ص ١٨٧ .

(٥) يس : ٢٢

ويداريهم ، لأن ذلك أدخل فى امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه وقد وضع قوله { وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي } فكان قوله : وما لكم لاتعبدون الذى فطركم ؟ بدليل قوله بعد ذلك { وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } <sup>(١)</sup> ولولا هذا القمد لقال "الذى فطرنى واليه أرجع" وقد ساقه هذا المساق الى أن قال { إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ } <sup>(٢)</sup> فاسمعون { ثم يقول "فانظر أيها المتأمل الى هذه النكت الدقيقة التى تمر عليها من آيات القرآن الكريم ، وأنت تظن أنك فهمت فحواها ، واستنبطت" رموزها وهى من بديع القرآن وتلك صورة من صور الالتفات من التكلم الى الخطاب عند المتأخرين .

(٤)

(٣) الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد .

ومنه قوله تعالى : { اَنَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ اَنَا كُنَّا مُنْذِرِينَ ، فيها يفرق كل أمر حكيم . أمر من عندنا انا كنا مرسلين ، رحمة من ربك انه هو السميع العليم } . <sup>(٥)</sup>

والفائدة هاهنا هى "تخصيص النبى صلى الله عليه وسلم بالذكر والاشارة بأن انزال الكتاب انما هو اليه ، وان لم يكن ذلك صريحا ، لكن مفهوم الكلام يدل عليه " . <sup>(٦)</sup>

ويبدو لى أن ابن الاثير قد وهم فى فهم الالتفات فى الآية الكريمة فالانتقال من التكلم فى قوله "انا" و"أنزلنا" و"انا كنا" الى الغيبة فى قوله "من ربك" اذ لم يقل "رحمة

(١) المثل السائر ص ١٨٧ .

(٢) يس : ٢٥

(٣) المثل السائر ص ١٨٧ .

(٤) المصدر السابق ص ١٨٧ .

(٥) الدخان : ٣-٦

(٦) المثل السائر ١٨٨/٢ .

منا " وذلك لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة .  
(١)

(ب) وأما الرجوع من الخطاب الى الغيبة .

فمنه قوله تعالى : {هُوَ الَّذِي يَسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ  
حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا  
جَاءَتْهُمْ رِيحٌ عَامِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ  
بِهِمْ دَعَاؤُا إِلَهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ  
مِنَ الشَّاكِرِينَ} (٢)

فقد صرف الكلام هنا من الخطاب الى الغيبة لكي يذكر  
لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم ، ويطلب منهم  
الانكار عليهم .

ومنه قوله تعالى : {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ  
إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ، الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي  
وَيُمِيتُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (٣) . يقول ابن الأثير :

"فانه انما قال {فآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} ولم يقل :  
فآمَنُوا بِاللَّهِ وَبِي ، عطفًا على قوله : "انني رسول الله  
اليكم " لكي تجرى عليه الصفات التي أجريت عليه ، وليعلم أن  
الذي وجب الايمان به والاتباع له هو هذا الشخص الموصوف بأنه  
النبي الذي يؤمن بالله وبكلماته كائنا من كان ، انا أو  
غيري ، اظهارًا للنصفة وبعد التعجب لنفسه ، فقرر أولاً في  
مدر الآية أنه رسول الى الناس ، ثم أخرج كلامه من الخطاب  
الى معرض الغيبة لغرضين :

(١) المرجع السابق ص ١٩١ .

(٢) يونس : ٢٢

(٣) الاعراف : ١٥٨



الأول منهما : اجراء تلك الصفات عليه .

(١)

الثانى : الخروج من تهمة التعصب لنفسه .

القسم الثانى : الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل

(٢)

الأمر ، وعن الفعل الماضى الى فعل الأمر .

ويقول عنه ابن الأثير " انه كالذى قبله فى انه ليس

الانتقال فيه من صيغة الى صيغة طلبا للتوسع فى أساليب

الكلام فقط بل الأمر وراء ذلك وانما يقصد اليه تعظيما لحال

من أجرى عليه الفعل المستقبل وتفضيلا لأمره وبالفرد من ذلك

(٣)

فيمن أجرى عليه فعل الأمر "

ومن هذا القسم قوله تعالى : { قالوا يا هود ما جئنا

ببينة وما نحن بتاركى آلِهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن

نقول إلا اعتراك بعض آلِهتنا بسوء قال إني أشهد الله

(٤)

وأشهدوا إني بريء مما تشركون } .

فقد قال : أشهدوا ، ولم يقل : "وأشهدكم " ليكون

موازنا له وبمعناه فاشهاد الله على البراءة من الشرك

صحيح ثابت ، وأما أشهادهم ، فإنا هو الاتهامون بهم ودلالة

(٥)

على قلة المبالاة بأمرهم .

وهذا المثال راجع الى صورة الرجوع من المتكلم الى

الخطاب التى ذكرها ابن الأثير ، لأنه رجع عن التكلم فى قوله

"وأشهدوا " .

(١) المثل السائر ص ١٩٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٩٢ .

(٤) هود : ٥٣-٥٤

(٥) المثل السائر ص ١٩٣ .

القسم الثالث : الاخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل ،  
(١)  
وعن المستقبل بالماضى :

فالاول : وهو الاخبار عن الماضى بالمستقبل ، ابلغ من  
الاخبار بالماضى لأن الفعل المستقبل يبين الحال التى يقع  
فيها ، ويستحضر تلك الصورة ، حتى كأن السامع يشاهدها ،  
وليس كذلك الماضى .

فالضرب الاول : كقوله تعالى : {والله الذى ارسل  
الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت، فأحييناه به الأرض  
بعد موتها كذلك النشور} .  
(٢)

وانما عبر بالمستقبل عن الماضى فى قوله "فتثير"  
لحكاية الحال التى يقع فيها اشارة الريح السحاب واستحضار  
تلك الصورة البديعية الدالة على القدرة الباهرة ، وهكذا  
يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية كحال تستغرب أوتهم  
المخاطب أو غير ذلك .  
(٣)

وفى الآية الكريمة التفات لم يذكره ابن الاثير وهو  
الانتقال من الغيبة فى قوله "والله الذى ارسل" الى المتكلم  
فى قوله فسقناه .

الضرب الثانى : الاخبار عن المستقبل بالماضى ،  
وفائدته المبالغة فى تحقيق الفعل وايجاده لأن الفعل الماضى  
يعطيك معنى أنه كان ووجد ، وانما يكون ذلك اذا كان  
المستقبل من الأمور العظيمة التى يستعظم وجودها ومن أمثلته

---

(١) المثل السائر ص ١٩٤ .

(٢) فاطر : ٩

(٣) المثل السائر ص ١٩٥ .

قوله تعالى : {يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الْمَوْرِ فَفَزَعَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ} (١) فهو انما قال {ففزع} بلفظ الماضى بعد قوله {ينفخ}  
وهو مستقبل ، للاشعار بتحقيق الفزع ، وأنه كائن لا محالة ،  
لأن الفعل الماضى يدل على وجود الفعل ، وكونه مقطوعا به .  
وتلك هى أقسام الالتفات عند ابن الأثير ، وقد رأينا  
كيف فهم هذا الفن البديعى وعرف سر بلاغته عندما جعل القرآن  
الكريم وسنة الممطفى صلى الله عليه وسلم وكلام العرب  
البلغاء همه فى التطبيق ليعرف قيمة هذا الفن ، وهذا النوع  
عند علماء البلاغة المتأخرين ، لأنه يفيد الكلام ظرافة وحسن  
تطرية ، يقول ابن يعقوب معلقا على هذا النوع على أنه من  
علم البديع :

"فان قلت لئى وجه خص تسميته بعلماء المعانى مع أن عد  
الالتفات من البديع أقرب ، لأن حاصل ما فيه أنه يفيد الكلام  
ظرافة وحسن تطرية ، فيصغى اليه لطرافته وابتداعه ، وان لم  
يكن الكلام مطابقا لمقتضى الحال فلا يكون من علم المعانى  
فضلا عن كونه يختص بهم فيسمونه به دون أهل البديع ؟ قلت :  
أما كونه من الأحوال التى تذكر فى علم المعانى فصحيح كما  
إذا اقتضى المقام فائدة من طلب مزيد الاصغاء لكون الكلام  
سؤالا ، أو مدحا ، أو اقامة حجة أو غير ذلك فهو من هذا  
الوجه من علم المعانى ، ومن جهة كونه شيئا ظريفا مستبذعا  
يكون من علم البديع ، وكثيرا مايوجد فى المعانى مثل هذا

(١) النحل : ٨٧

(٢) المثل السائر ص ١٩٩ .

فليفهم ، وأما تخصيص علماء المعانى بالتسمية فلاحجر فيه  
(١)  
ولاحرج ، والله أعلم " .

قال صاحب البغية معلقا على الشق الاول من عبارة ابن  
يعقوب "والحق أن مثل هذا يكون شرطا لحسنه ، ولا يقتضى  
(٢)  
وجوبه فى البلاغة فلا يصح أن يعد به من علم المعانى" .

#### الاقتصاد والتفريط والافراط :

وضح ابن الاثير حقيقة هذه المعانى الثلاثة ، ويرى أن  
التفريط هو التقصير فى المعانى عن المطلوب ، والافراط  
الزيادة فيه والاقتصاد الاعتدال والتوسط بين الطرفين ، يقول  
فى قوله تعالى : {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ  
سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ} (٣) .

فظلم النفس والسبق بالخيرات طرفان والاقتصاد وسط  
بينهما . وهذا المعنى اللغوى اما فى الاصطلاح البيانى فهو :  
أن يكون المعنى المضمّر فى العبارة على حسب ما تقتضيه  
منزلة المعبر عنه فى منزلته ، والافراط عنده الغلو أو  
المغلاة وذكر أن قوما من أرباب هذه الصناعة ذموا وحمدوا  
آخرون ، والمذهب عنده استعماله ، فان أحسن الشعر أكذبه بل  
أصدقه أكذبه . والاقتصاد ، ماوردت فيه مبالغة مقبولة ،  
(٤)  
مسبوقة بكاد ومايجرى مجراها من أفعال المقاربة .

والكلام عن المبالغة فى البيان وصلتها بالصدق أو  
الكذب قديم ، وهى من مسائل الاعجاز التى دار حولها الكلام

(١) مواهب المفتاح ٤٦٣/١ ، ٤٦٤ .

(٢) بغية الايضاح ١٤٥/١ .

(٣) سورة فاطر : ٣٢

(٤) المثل السائر ٢٢٢/٣ .

فى اسلوب القرآن الكريم ، وهل تجوز المبالغة اذا جازت فى قول الناس من شعر ونثر ؟ وتعرض لتلك المشكلة ابن قتيبة فى كتابه تأويل مشكل القرآن وقسم الناس من حيث النظر اليها فريقين أحدهما وهم فى الغالب فريق الأدباء والبيانين - أجازها لأنها لازمة فى التعبير القنى "البيان" (١) .

والآخر ، فريق المتحفظين من اللغويين ومن لف لفهم ، وهم يرون فى المجاز عامة ضربا من الكذب والقرآن برئ منه ، والمبالغة لاتجوز فى كلام رب العالمين .

بينما وقف فريق آخر فى الوسط ، فلم يأخذ بالمبالغة ولم ير الاغراق فيها ، انما تطلب التوسط ، وكان لتلك الفرق الثلاث آراؤها فى الشعر ، فالفريق الاول يرى أن أعذب الشعر أكذبه ، والثانى يرى أن أعذبهُ أصدقهُ ، والثالث يرى أن أحسن الشعر المذهب الوسط الذى لاتزيد معانيه على ألفاظه ولاتنقص (٢) .

وبعد فقد اتخذ ابن الاثير القرآن الكريم نموذجا للفصاحة والبلاغة ، فقد ذكر فى مقدمته أنه استمد منه بعض مقاييسه البيانية ، حيث كان مرجعه الاخير اذا أشكل عليه الأمر ، وكثيرا مايخالف بيانه مع ماوضع من مقاييس ، أو ماتعارف عليه الناس ، فلا يكون ذلك قصورا فيه ، بل يكون نقما وعيبا فيما وضع ورأى غيره من النقاد ، يقول فيه "والقرآن الكريم أحق أن يتبع وأجدر بأن يقاس عليه لا على غيره" (٣) .

(١) انظر أثر القرآن فى تطور النقد ص ٣٧ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٣٧ .

(٣) الاستدراك لابن الاثير ص ٩ .

وقد رأينا تقديمه أسلوب القرآن على مقاييسه ،  
وتنازله عما وضعه هو أمام ما جاء فى الذكر الحكيم من قوله  
فى التناسب بين المعانى والمباني حيث يقول "وقد كنت أرى  
هذا الضرب من الكلام واجبا فى الاستعمال، وأنه لا يحسن بالمحسن  
المحيد عنه حتى مر بى فى القرآن الكريم ما يخالفه كقوله  
تعالى فى سورة النحل : {أولم يروا إلى ما خلق الله من شئ  
يتفییوا ظلاله عن اليمين والشمائل} ولو كان الأحسن لزوم  
البناء اللفظى على سنن واحد لجمع اليمين كما جمع الشمال ،  
أو أفرد الشمال كما أفرد اليمين" .<sup>(١)</sup>

ثم يقول "ولو كان هذا معتبرا لورد فى كلام الله تعالى  
الذى هو أفصح من كل كلام ، والاخذ فى مقام الفصاحة والبلاغة  
انما يكون منه والمعول عليه" .<sup>(٢)</sup>

فالقرآن الكريم نموذج رائع للأدب العربى شعرا ونثرا ،  
وجمع كل خمائمهما بدرجة فائقة من حيث المعانى والمور ،  
والإخيلة والاحاسيس ، والالفاظ الموحية القوية التأثير ،  
والموسيقى المؤثرة فى فقراته وآياته فى سجعه وتناسق  
فواصله ولهذا اعتبر القرآن أروع بيان وبلاغته أسمى بلاغة  
ولغته أفصح اللغات .

ولقد كان القرآن الكريم مصدرا مهما اتخذته ابن الأثير  
فنراه يكثر من الشواهد القرآنية ويبعد فى تحليلها تحليللا

---

(١) سورة النحل : ٤٨  
(٢) المثل السائر ٢٥/٢ .  
(٣) المثل السائر ٢٩٧/٢ .

أدبياً بارزاً كما أشاد بما تكشف له من أسلوب القرآن من  
النكت البيانية التي لم يتنبه لها من قبله أحد . ثم  
يعضدها بأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وكلام العرب  
القدماء سواء كان شعراً أم نثراً كما مر معنا حتى أصبحت  
كتبه نموذجاً رائعاً لما اعتمد عليه من مصادر أولية ساعدت  
في نقل الموهبة عنده وأبرزته بهذه المنزلة .

## التجنيس

البديع اللفظى عند ابن الاثير :

لقد اختلف الدارسون بفن التجنيس ، وكثر الكلام فيه والاختصاص حوله ، والاحتجاج له ، وعليه ، وقد سيطر هذا الفن على الادب فى ازمنا متطاولة ، وطبع أعمالا كثيرة بطابعه حيث كان مظهرا لمزيد من المقل والتثقيف لدى كثير من أهل الطبع كما نلاحظ فى خطب أهل المقال عن الجاهليين ، والاسلاميين وفى وصاياهم وعهودهم ورسائلهم ، وغير ذلك من المقامات التى هى فطنة المقل والتقويم ، ويمكن أن تكتب دراسات حول الجناس فى أى فن من فنون الادب فى أى عصر من عصوره . ويمكن أن تكتب دراسات أيضا مستقلة فى النشر نحو كتابات ابن العميد والخوارزمى فضلا عن أبى تمام ومسلم فى الشعر .

وقد امتدح ابن الاثير هذا الموضوع فى بداية حديثه عنه فقال "انه غرة شامخة فى وجه الكلام" <sup>(١)</sup> .

وقال فى فصل آخر حين تكلم عن آلات علم البيان وأدواته "وكذلك يحتاج الى معرفة الاسماء "المشتركة" ليستعين بها على استعمال التجنيس فى كلامه وهى اتحاد الاسم واختلاف المسميات ، كالعين فانها تطلق على العين الناضرة وعلى ينبوع الماء ، وعلى المطر وغيره الا أن المشتركة تفتقر فى الاستعمال الى قرينة تخصها ، كى لاتكون مبهمة لانا اذا قلنا

(١) المثل السائر ٣٧٩/١ .



عين ... ثم سكتنا وقع ذلك على احتملات كثيرة من العين الناضرة ، والعين النابعة ، والمطر وغيره ، مما هو موضوع بازاء هذا الاسم واذا قرنا اليه قرينة تخصه زال ذلك الابهام بأن تقول عين مستاء أو عين نضاعة ، أو مثالثة ... " (١) .

ويقول " ... أما قولك : ان فائدة وضع اللغة انما هو البيان عند اطلاق اللفظ ، واللفظ المشترك يخل بهذه الفائدة فهذا غير مسلم ، بل فائدة وضع اللغة هو البيان والتحسين . أما البيان فقد وفى به الاسماء المتباينة التى هى كل اسم واحد دل على مسمى واحد . فاذا اطلق اللفظ فى هذه الاسماء كان بينا مفهوما لايحتاج الى قرينة ، ولو لم يضع الواضع من الاسماء شيئا غيرها لكان كافيا فى البيان .

وأما التحسين فان الواضع لهذه اللغة العربية ، التى هى أحسن اللغات نظر الى ما يحتاج اليه أرباب الفماحة والبلاغة فيما يصوغونه من نظم ونثر ورأى من مهمات ذلك "التجنييس" ولا يقوم به الا الاسماء المشتركة ، التى هى كل اسم واحد دل على مسميين فصاعدا ، فوضعها من أجل ذلك " (٢) .

ويلاحظ أن الغلو بين فى كلام ابن الأثير "فلا يرتفع الجنس الى هذه المكانة التى وضعه فيها" بل لا يرتفع نوع بلاغى الى الحد الذى يضع الواضع الالفاظ من أجله وتمبح اللغة خادمة له . (٣)

وقد قسم ابن الأثير الجنس الى قسمين :

- 
- (١) المصدر نفسه ٧١-٧٠/١ .  
 (٢) المصدر نفسه ٧٢-٧١/١ .  
 (٣) فن الجنس ، دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد بمصر ص ٢٠ .

تجنيس على الحقيقة ، وهو ما يعرف عند الخطيب بالجناس التام ، وعرفه بقوله أن تتساوى حروف ألفاظه فى تركيبها ووزنها ، كقوله تعالى : { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ } فالساعة الاولى - القيامة - والساعة الثانية الوقت المعلوم من الزمن .

ومن أمثله قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين نازعوا جرير ابن عبد الله البجلي زمام ناقته "خلوا بين جرير والجرير" أى دعوا زمامه .

ومما جاء منه فى الشعر قول أبى تمام .  
فأصبحت غرر الأيام مشرقة

(٣) بالنصر تضحك عن أيامك الغرر

فالغرر الاولى استعارة من غرر الوجه ، والغرر الثانية مأخوذة من غرة الشئ : أكرمه ، فاللفظ واحد ، المعنى مختلف ومنه قوله :

من القوم جعد أبيض الوجه والندى  
وليس بنان يجتدى منه بالجعد

فالجعد : السيد ، والبنان الجعد : ضد البسيط ، فأحدهما يوصف به السيد والآخر يوصف به البخيل .

ومنه أيضا :

بكل فتى ضرب يعرض للقنا  
محيا محلى حليه الطعن والضرب (٤)

- 
- (١) الروم : ٥٥  
(٢) النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الاثير ص ٢٥٩ .  
(٣) المثل السائر ١/٣٨٠ .  
(٤) المثل السائر ١/٣٨٠ .

فالمقصود بالضرب الرجل الخفيف ، والضرب بالسيف فى القتال

ومنه أيضا :

كَمْ أَحْرَزْتَ قَضْبُ الْهِنْدِيِّ مَمْلَكَةً

تهتز من قضب تهتز فى كذب

بَيْضٌ إِذَا انْتَفِيتْ مِنْ حَبِيهَا رَجَعَتْ

أَحَقُّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا مِنْ الْحَبِّ

فالقضب : السيوف ، والقضب : القدور على سبيل

الاستعارة . والبيض : السيوف وتعنى أيضا : النساء .

ويلاحظ على جميع الأمثلة السابقة التى ساقها ابن

الأثير إنما هو - أى الجنس - بين اسمين بمعنى أن اللفظين

فيه إنما هما من نوع واحد وهذه الذى سماه الخطيب :

المماثل . (١) وقد سماه عبد القاهر بالمستوفى ، وسماه العلوى (٢)

المستوفى والكامل وسماه الحلبي المستوفى التام وعند ابن (٣)

الأثير بالتجنيس الحقيقى ولامشاحة فى الممطلحات أو تعدد (٤)

الأسماء للمسمى الواحد كما يقول السجلمانى . (٥)

وقد أورد ابن الأثير لأبى العلاء المعرى قوله :

لَوْ زَارَنَا طَيْفُ ذَاتِ الْخَالِ أَحْيَانًا

وَنَحْنُ فِي حَفَرِ الْأَجْدَاثِ أَحْيَانًا

ومن أبياتها أيضا :

تَقُولُ أَنْتِ أَمْرٌ جَافٍ مَغَالِطَةٌ

فَقُلْتُ : لَاهُومَتْ أَجْفَانُ أَجْفَانًا

(١) الإيضاح ٢٠٦/٦ .

(٢) أسرار البلاغة ص ٥ .

(٣) الطراز ٣٥٦/٢ .

(٤) حسن التوسل للحلبى ص ٤٣ .

(٥) راجع الباب الأول من هذا البحث ، الفصل الثانى .

فأحيانا : فى الشطر الاول من البيت الاول : جمع حين ،  
وهو الزمن ، وأحيانا فى الشطر الثانى منه فعل ماضى ، أى  
بعث فينا الحياة بعد الموت ، فالجناس فى هذا البيت ليس  
بين لفظين من نوع واحد ، وانما هو لفظان من نوعين مختلفين  
لأنه بين اسم وفعل والجناس الواقع بين نوعين كاسم وفعل ،  
يسميه الخطيب المستوفى حيث مثل له بقوله :

مامات من كرم الزمان فإنه  
يَحْيَا لدى يحيى بن عبد الله (١)

وان كان ابن الاثير لم يفرق بينها فان الخطيب استفاد  
من أمثلة ابن الاثير ورتب عليها أنواع الجناس .  
ثم يذكر أنه رأى الغامى قد ذكر فى كتابه بابا سماه  
"رد الاعجاز على الصدور" وجعله منقلا عن باب التجنيس مع  
أنه ضرب من التجنيس وقسم من أقسامه ، أما ما أورده الغامى  
من الأمثلة كقول بعضهم :

ونَشَرَى بِجَمِيلِ الصَّنْعِ  
ذِكْرًا طَيِّبَ النَّشْرِ  
ونَقَرَى بِسَيُوفِ الهِنْدِ  
من أَشْرَفِ فى النَّفْرِ  
ويَحْرِى فى شَرَى الحَمْدِ  
على شَاكِلَةِ البَحْرِ  
وقول بعضهم فى الشيب :

يا بياضا أذرى دموعى حتى  
عاد منها سواد عيني بياضا

وقول البحترى :

وأغر فى الزمن البهيم مجل  
قد رحت منه على أغر مجل (١)  
كالهيكل المبني إلا أنه

فى الحسن جاء كمورة فى هيكل

ثم يقول ابن الأثير "وليس الأخذ على المعانى فى ذلك  
مناقشة على الأسماء ، وإنما المناقشة على أن ينصب نفسه  
لايراد علم البيان ، وتفصيل أبوابه ، ويكون أحد الأبواب  
التي ذكرناها داخلا فى الآخر ، فيذهب عليه ذلك ويخفى عنه ،  
(٢)  
وهو أشهر من فلق المبح" .

ثم يقول "وربما جهل بعض الناس ، فأدخل فى التجنيس  
ماليس منه نظرا الى مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى ، فمن  
ذلك قول أبى تمام :

أظنُّ الدمع فى خدي سيبقى  
رسوماً من بكائي فى الرسوم (٣)

وهذا ليس من التجنيس فى شئ ، إذ حد التجنيس هو اتفاق  
اللفظ واختلاف المعنى وهذا البيت المشار اليه هو اتفاق  
(٤)  
اللفظ والمعنى معا .

والواقع أنه لامناقضات بين مقاله الغامى ومقاله ابن  
الأثير ، لأنه يصح اجتماع الجنس ورد العجز على المصدر فى

(١) ديوان البحترى ٢/٢١٧ .

(٢) المثل السائر ١/٣٨٥ .

(٣) ديوان أبى تمام ص ٢٨٨ .

(٤) المثل السائر ١/٣٨٦ .

كلام واحد ويسمى كل واحد منهما باسمه الذى يميزه بالنظر اليه من زاوية خاصة ، وتعريف رد العجز على الصدر يقيد ذلك ففى قول الارجاني :

دعائى من ملائكتى دعائى  
فدا الشوق قبلكما دعائى

دعائى الاولى بمعنى اتركائى ، والاخر بمعنى نادائى .  
فهو جناس من هذه الناحية ، ورد عجز على صدر من ناحية  
أن التجانس المذكور آخر البيت بعينه من حيث الصورة فى صدر  
المصراع الاول . (١)

وان كنا نرى أن كلا منهما أصبح فنا مستقلا بذاته عند  
المؤخرين .

القسم الثانى : تجنيس بالمشابهة ، وهو ستة أنواع :  
اولها : أن تكون الحروف المتساوية فى تركيبها مختلفة  
فى وزنها ، وهذا يعنى أن الاختلاف فى هيئات الحروف فقط ،  
واللغة مليئة بهذه الكلمات المتحدة فى أنواع الحروف وفى  
اعدادها وترتيبها ، وتختلف فقط فى هيئاتها نحو كلمة جنة  
فهى بالفتح ، البستان وبالكسر من الجنون ، وبالضم تعنى  
ساترا ، وكلمة برد بضم الاول ثوب وبفتحة ضد الحر . وهكذا .  
وقد مثل له ابن الاثير بقول النبى صلى الله عليه وسلم  
"اللهم كما حسنت خلقى ، فحسن خلقى" حيث اتحدتا فى أنواع (٢)

(١) فن الجناس - بتصريف ص ٢٠٥ .  
(٢) مسند الامام أحمد بن حنبل ٤٠٣/١ وقد جاء بنحوه قوله :  
"اللهم كما حسنت خلقى فأحسن خلقى" .

الحروف وأعدادها وترتيبها واختلفت في هياتها فالأولى بفتح  
الخاء والثانية بضمها .

ومن أمثله أيضا قول أحدهم "لاتنال غرر المعالى إلا  
بركوب الغرر واهتبال الغرر"

وقول البحترى :  
وفر الخائن المغرور يرجو  
أمانا أي ساعة ما أمان  
يها بـ الالتفات وقد تميأ  
للحظة طرفه طرف السنان (١)

ومنه قول الآخر :  
قد ذبت بين حشاشة وذمأ  
مابين حر هوى وحر هواء .

ويلاحظ مما تقدم أن الجنس بين "طرفه" و"طرف" و"خلقى"  
و"خلقى" إنما هو من الجنس الذى يدعى عند الخطيب جناسا  
محرفا ، وان الجنس بين "هوى" و"هواء" مما يسميه الخطيب  
جناسا ناقصا "ويعنى هذا أنهما اختلفا في أعداد الحروف فقط  
واتفقا في أنواعها وهيئاتها وترتيبها" والكلمات التى يتكون  
منها هذا الجنس كثيرة جدا منها الجوى ، والجوانب ،  
والجوى والجوانح ومنها حوام ، وحوامل ، الأولى حامية  
والثانية جمع حاملة . والهوى ، والهواجس ، وهكذا .

(١) المثل السائر ٣٨٦/١ .

(٢) الايضاح ص ٢١٨ .

وعلى كل هي كلمات ذات طابع مستحسن قد يتوهم من ينظر اليها انه يرى كلمات تنمو بين يديه .

وثانيها : أن تكون اللفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لاغير ، وأن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس .<sup>(١)</sup>

ومما جاء منه قوله تعالى : { وَجَّهَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاصِرَةٌ }<sup>(٢)</sup> فان الاختلاف بين حرفين متقاربين وان كانا متحدتين من حيث الوزن .

وقوله تعالى : { وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيُنْأَوْنَ عَنْهُ }<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى : { ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ }<sup>(٤)</sup> فالاختلاف بين حرفين متقاربين ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم " الخيل معقود بنواصيها الخير " .<sup>(٥)</sup>

ومنه قول البحترى :  
مِنْ كُلِّ سَاجِي الطَّرْفِ أَغِيدَ أَجِيدَ  
ومفهم الكشحيين أحوى أحور

وقول أبى تمام :  
بمحدون من أيدٍ عوامٍ عوامٍ  
تصول بأسياقٍ قواضٍ قواضٍ

وقول البحترى أيضا :

- 
- (١) المثل السائر ٣٨٦/١ .  
(٢) القيامة : ٢٢-٢٣ .  
(٣) الانعام : ٢٦ .  
(٤) غافر : ٧٥ .  
(٥) صحيح مسلم ١٤٩٣/٣ كتاب الامارة عن جرير بن عبد الله .  
وفى سنن أبى داود ٤٧/٣ كتاب الجهاد .



شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ تَقْطَعُ بَيْنَهُمْ  
شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٌ قَطْوَعُهَا .

ويلاحظ أن ابن الأثير قد مثل لعدة أنواع ولم يسمها كما فعل الخطيب الذي استفاد كثيرا من أمثلة ابن الأثير حيث عمد إلى ترتيبها وتقعيدتها تقعيديا يوافق وأصحاب المدرسة الكلامية ، فهو ، مثل للقسم الذي يسميه الخطيب جناسا مضارعا .

نلاحظ ذلك في قوله { نَاضِرَةٌ وَنَاضِرَةٌ } وينهون ، ويناون ، الخيل ، الخير ، وأغيد ، وأجيد .

ومثل أيضا للجناس اللاحق وهو أن يكون الاختلاف بين حرفين غير مقاربين وذلك نحو "تقرحون ، وتمرحون" .  
ومثل أيضا للجناس الناقص ولم يسمه وهو ما كان الاختلاف فيه أعداد الحروف وهو ما نلاحظه في عوامى وعوامم وقواضى وقواضم .

ثم مثل للجناس القلب وهو ما اختلف في ترتيب الحروف ومثل له بقول البحتري "ارماج" و"أرحام" .  
واللغة العربية غنية بالالفاظ التى تشرى هذا الباب من مثل "علم ، وعمل ، ولمع ، وسخر ، وخسر ، ورسخ وهكذا وهذا باب واسع .

ثالثها : أن تكون الالفاظ مختلفة في الوزن والتركيب  
(١)  
بحرف واحد .

وذلك كقوله تعالى : { وَالتَّحْتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ }  
يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ<sup>(١)</sup> وقد عد الخطيب المثال السابق ضمن أمثلة  
الجناس الناقص وهو ما نلاحظه بين قوله : { الساق ، والمساق }  
والزيادة جاءت في أول الكلمة .

ومثل لهذا النوع بقوله تعالى : { وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهم }  
يَحْسِنُونَ صُنْعًا<sup>(٢)</sup> وهو من الجناس اللاحق عند الخطيب .

ومنه أيضا قول النبی صلی الله عليه وسلم "المسلم من  
سلم الناس من لسانه ويده"<sup>(٣)</sup> .

ومن الشعر قول ابي تمام :  
بَدُرُ اطالت فيك بادرة النوى  
وَلَعَا وَشَمْسٌ أُولِعَتْ بِشِمَاسٍ

وقوله :  
كَادُوا النُّبُوَّةَ وَالْهَدَى فَتَقَطَّعَتْ  
أَعْنَاقَهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَضْمَارِ  
جَهَلُوا فلم يستكثروا من طاعةٍ  
معروفةٍ بعمارة الأعمار

ومنه قول محمد بن وهيب  
قَسَمْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ بَأْسًا وَنَائِلًا  
فَمَا لَكَ مَوْتُورًا ، وَسَيْفَكَ وَاتِرًا

(١) القيامة : ٣٠، ٢٩

(٢) الكهف : ١٠٨

(٣) ذكره البخاري في كتاب الايمان ٥٤٠، ٥٣١ ، ولفظه : من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وعند أحمد ٤٤٠/٣ ولفظه "السالم من سلم الناس من يده ولسانه" .

ونلاحظ أن ابن الأثير هنا جاء بما ألحقه الخطيب بالجناس وهو نوعان :

الأول : جناس الاشتقاق وهو ما يجمع فيه الكلمتين الاشتقاق ، نحو "اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا" وقوله "سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ" (٢).

الثانى : أن يجمع بين اللفظين شبه الاشتقاق ، وهذا النوع أكثر من سابقه وأدخل فى الجناس وأجدر أن يكون منه وألا يكون ملحقا به ، ومنه قول النابغة :

واقطع الخرق بالخرقاء قد جعلت

بعد الكلال تشكى الآين والسما  
والذى أعنيه أن هذين النوعين قد وردا فى أمثلة ابن الأثير وان لم يسمهما ، فقد جمع بين قوله "المسلم وسلم ، بين بدر ، وبادرة وبين شمس ، وشماس وبين عمارة والاعمار ، وبين موتور ، وواتر"

ولعل السمة الأدبية التى انفرد بها ابن الأثير هى التى جعلته يكثر من الشواهد الأدبية ، دون النظر فى الأنواع التى تتفرع من الجناس .

وقد مثل ابن الأثير للأنواع السابقة من نشره إذ يقول فى فصل يتضمن ذكر الجهاد . "وخيل الله قد اشتاقت أن يقال لها اركبى ، وسيوفه قد تطلعت أن يقال لها اضربى ، ومواطن الجهاد قد بعد عهدا باستسقاء شآبيب النحور ، وانبات ربيع الذباب والنسور ، وما ذاك إلا لأن العدو إذا طلب تقمص ثوب اذلاله وتضمحل من صفة نماله ، واعتصم بمعاقله التى لا فرق

(١) سورة نوح : ١٠  
(٢) سورة المعارج : ١

(١)

بينها وبين عقاله " .

فالحظ قوله " اركبى واضربى " و " النحور والنسور " " معاقله ، وعقاله " جميعا تنطوى ضمن الأقسام التى عددناها .

الرابع : ويسمى المعكوس ، وهو ضربان :

أحدهما عكس الألفاظ ، كقول بعضهم (عادات السادات -  
سادات العادات) وكقول الآخر (شيم الأحرار - أحرار الشيم) .  
(٢)

ومنه قول الأضبط بن قريع من شعراء الجاهلية :

قد يجمعُ المالُ غيرُ آكله  
ويأكلُ المالُ غيرُ من جمعه  
ويقطعُ الثوبُ غيرُ لابسِه  
ويلبسُ الثوبُ غيرُ من قطعه

ومنه قول المتنبى :

فلا مجدَ فى الدنيا لمن قل مالُه  
ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

ومنه قول الآخر :

إن الليالى للأنام مناهلٌ  
تنطوى وتنشر بينها الأعمارُ  
فقمارهن من الهموم طويلة  
وطوالهن من السُرورِ قصارُ

ومنه قول ابن الزقاق الأندلسى :

غيرتنا يدُ الزمانِ  
فقد شبت والتحنى

(١) المثل السائر ٣٨٨/١ .

(٢) المثل السائر ٣٩٢/١ - ٣٩٣ .

## فاستحال الضحى دجى واستحال الدجى ضحى

ويقول ابن الأثير "وقد سماه قدامة بن جعفر الكاتب "التبديل" وذلك اسم مناسب لمسماه لأن مؤلف الكلام يأتى بما كان مقدما فى جزء كلامه الأول مؤخرا فى الثانى وبما كان مؤخرا فى الأول مقدما فى الثانى" ، ثم مثل له بقول :<sup>(١)</sup>

أشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك .  
وقد مثل له بقوله تعالى : {تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ،  
وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} .<sup>(٢)</sup>

ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم "جار الدار أحق  
بدار الجار" .<sup>(٣)</sup>

ووصفه بأن له حلاوة وعليه رونق .

ويلاحظ أن هذا النوع من البديع بعد أن سماه قدامة  
باسم التبديل جاء أبو هلال العسكري فسماه "العكس" وأول من  
جمع المصطلحين معا هو أبو بكر الباقلانى حيث سماه "العكس  
والتبديل" ثم تابعه فى هذه التسمية الخطيب القزوينى .<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>

فالكلمة فى هذا الأسلوب لاتظل فى مكانها الا ريثما ترجع  
اليها لتحركها ثانية فى توافق مع جارتها فتشبه كل واحدة  
مكان الأخرى فيتولد معنى جديد وكأننا نتوهم أن ليس وراء  
هذا التغيير المفاجئ للكلمات معنى جديد ثم نواجه بهذا

- 
- (١) المثل السائر ٣٩٤/١ .  
(٢) آل عمران : ٢٧ .  
(٣) مسند الامام أحمد بن حنبل ٣٨٨/٤ . ولفظه جار الدار  
أحق بالدار من غيره .  
(٤) الصناعتين ص ٣٨٥ .  
(٥) اعجاز القرآن للباقلانى ص ٩٨ .  
(٦) الايضاح ص ٢٠٠ .

المعنى وكل ذلك له أثر فى تنشيط النفس وإشارة الانتباه

والآخر : عكس الحروف ومثل له بقول الشاعر :

أَهْدَيْتُ شَيْئًا يَقِلُّ لَوْلَا  
أُحْدُوْثَةُ الْفَالِ وَالتَّبْرُكِ  
كَرْسِيَّ تَفَاءَلْتُ فِيهِ لَمَّا  
رَأَيْتُ مَقْلُوبَهُ "يَسْرُكُ" (١)

ومنه قوله الآخر :

جَاذِبَتْهَا وَالرَّيْحُ تَجْذِبُ عَقْرَبًا  
مَنْ فَوْقَ خَدِّ مِثْلِ قَلْبِ الْعَقْرَبِ  
وَطَفِقْتُ أَلْثَمَ شُغْرَهَا فَتَمَنَعْتُ  
وَتَحَجَبْتُ عَنِّي بِقَلْبِ "الْعَقْرَبِ" (٢)  
قال ابن الأثير "واذ قلب لفظ : عقرب صار برقعا .

وهذا النوع يسمى عند الخطيب جناس القلب وقد تحدثنا

عنه سابقا "وهو نادر الاستعمال لأنه قل ما يقع كلمة تقلب  
حروفها فيجئ معناها صوابا" كما يقول ابن الأثير . (٣)

النوع الخامس "المجنب" وهو أن يجمع مؤلف بين كلمتين

أحدهما كالتبع للآخرى والجنيبة لها . ومنه قول الشاعر :

أَبَا الْعَبَّاسِ لَا تَحْسَبْ بَائِي  
لَشَيْءٍ مِنْ حَلَى الْأَشْعَارِ عَارِي  
فَلْيُطْبِعْ كَسَلَسَالٍ مَعِينِ  
زَلَالٍ مِنْ ذُرَا الْأَحْجَارِ جَارِي

(١) المثل السائر ٣٩٦/١ .

(٢) المصدر نفسه ٣٩٦/١ .

(٣) المصدر نفسه ٣٩٦/١ .

ثم يقول "وهذا القسم عندى فيه نظر ، لانه بلزوم مالا يلزم أولى منه بالتجنيس ألا ترى أن التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى ، وهاهنا لم يتحقق إلا جزء من اللفظ ، وهو أقله ، وأما اللزوم من الكلام المنثور فهو تساوى الحروف التى قبل الفواصل المسجوعة ، وهذا هو كذلك لأن العين والراء تشاويان فى البيت الأول فى قوله "الاشعار وعار" والجيم والراء فى البيت الثانى فى قوله "الأحجار وجار" .<sup>(١)</sup>

وهذا النوع عند الخطيب هو ما يعرف بالجناس الناقص ومن

أمثلته أيضا قول الخنساء :

إِنَّ الْبَكَاءَ هُوَ الشِّفَاءُ

من الجوى بينَ الجوانح .

ومنه أيضا قول حسان :

وَحَامِي لَوَاءٍ قَدْ قَتَلْنَا وَحَامِلٌ

لَوَاءٍ مَنَعْنَا وَالرَّمَا حُ شَوَارِعُ

وهكذا .

النوع السادس : من المشبه بالتجنيس : "هو مايساوى وزنه وتركيبه ، غير أن حروفه تتقدم وتتأخر . ومنه قول أبى تمام :

بَيْضُ الْمَفَائِحِ لَا سَوْدُ الْمَحَائِفِ فِي  
مَتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ<sup>(٢)</sup>

فالمحائف والمفائح قد تقدمت حروفه وتأخرت .

ومما جاء من الكلام المنثور قوله صلى الله عليه وسلم فى فضل تلاوة القرآن الكريم "يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل

(١) المصدر نفسه ٣٩٧/١ .

(٢) المصدر نفسه ٣٩٧/١ .

(١)  
 كما كنت ترتل فى الدنيا ، فان منزلتك عند آخر آية تقرأ " .  
 فقوله صلى الله عليه وسلم " اقرأ ، وارق " من التجنيس  
 وهذا الضرب من التجنيس هو ما عرف عند الخطيب أيضا  
 بجناس القلب ، وهو ما كان "الاختلاف فيه بين اللفظين فى  
 ترتيب الحروف ، ومثل له بقولهم : حسامه فتح لأوليائه حتف  
 لأعدائه . ومنه ما جاء فى الخبر " اللهم استر عوراتنا وآمن  
 روعاتنا " وقد يتسع جناس القلب حتى يشمل الجملة من الكلام  
 أو البيت من الشعر وهذا غاية الصقل والاتقان من ذلك قوله  
 تعالى : { كل فى فلك } وقوله : { وربك فكبر } اقرأ الاثنتين من  
 اليمين لليسا .

ومن أبلغ شواهد الشعرية قول القاضى الأرجانى :  
 مودته تدوم لكل هول  
 وهل كل مودته تدوم

### (٣) السجع :

إذا كان الجنس دراسة صوتية للادب ، فالسجع كذلك إلا  
 أنه لايجوز خلال الكلمات والحروف ليجدد الضروب الصوتية  
 المتشابهة ، ولكنه يقف عند نهايات الفقر ليقس ما بين هذه  
 النهايات من اتقان واختلاف فى أنواع الأصوات وحركاتها ،  
 وأوزانها .

- 
- (١) مسند الامام أحمد بن حنبل ٢/١٩٢، ٤٧١ .  
 (٢) الايضاح ص ٢١٢ .  
 (٣) المرجع السابق ٣/٣ وبنحوه فى سنن أبى داود ، كتاب  
 الادب ، مايقول إذا أصبح ٣١٩/٤ ، وبنحوه فى سنن ابن  
 ماجه ، كتاب الدعاء باب ١٤ ، ١٢٧٤/٢ .



واذا كانت الفنون البديعية مما تجرى فى الشعر والنثر على سواء فان السجع يكاد يكون خاصا بالنثر ، وهو الفن البلاغى الوحيد الذى يمكن أن يقال انه يجرى فى داخل البيت ويسمى تشطييرا أو ترميعا .

وقد عرف ابن الاثير السجع بقوله : "تواطؤ الفواصل فى الكلام المنثور على حرف واحد" <sup>(١)</sup> والتعريف ينص صراحة على انه من الفنون الخاصة بالنثر .

ثم يقول : "وقد ذمه بعض اصحابنا من ارباب هذه الصناعة ولا أرى لذلك وجها سوى عجزهم أن يأتوا به ، والا فلو كان مذموما لما ورد فى القرآن الكريم ، فانه قد أتى منه بالكثير حتى انه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن ، وسورة القمر ، وغيرهما" كما انه لم تخل من السجع سورة من سور القرآن .

فما جاء منه فى القرآن الكريم {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} <sup>(٢)</sup> ومنه قوله تعالى : {طه} ، ما أنزلنا عليك القرآن ليتشقى إلا تذكرة لمن يخشى . تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى . الرحمن على العرش استوى : له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى . الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى} <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>

(١) المثل السائر ٣٠٨/١ .

(٢) المصدر نفسه ٣٠٨/١ .

(٣) الأحزاب : ٦٤-٦٥ .

(٤) طه : ١-٨ .

وقوله تعالى "والعاديات فيها . فالموريات قدحا  
فالمغيرات صباحا ، فأثرن به نَقعا فوسطن به جمعا { (١)  
ذلك كثيرة .

(٢)  
وقد ذكر القزويني أن الفواصل قد تكون قصيرة كقوله  
تعالى : {وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا فَالْعَامِغَاتُ عَمْفًا} (٣) وقد تكون متوسطة  
"إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا  
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ" (٤) وقد تكون طويلة كقوله تعالى : {إِذَا  
يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكُمْ قَلِيلًا ، وَلَوْ أَرَأَكُمُ كَثِيرًا لَفُشِلْتُمْ  
وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ .  
وَإِذَا يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي  
أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} . (٥)  
ويبدو أن الخطيب قد استفاد من امثلة ابن الاثير التي  
أوردها فمضف الآيات على حد قوله السابق .

ثم يرد ابن الاثير على الذين يذمون السجع في القرآن  
وأن ذلك وارد في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم اذ يقول  
"أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام" .

(٦)  
"وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام" .

ومن ذلك أيضا ، مارواه ابن مسعود رضي الله عنه ، قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم "استحيوا من الله حق

- 
- (١) العاديات : ١-٥  
(٢) الايضاح ص ٢٢٣ .  
(٣) المرسلات : ٢٠١  
(٤) سورة القمر : ١-٣  
(٥) سورة الانفال : ٤٢، ٤٣  
(٦) سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب  
اقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ١٧٤ ، ٤٢٣/١ المكتبة  
العلمية ببيروت . ورواه الترمذي في كتاب صفة القيامة  
٦٥٢/٤ وقال هذا حديث صحيح .

الحياء " قلنا : انا لنستحي من الله يا رسول الله ! قال :  
ليس ذلك ! ولكن الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى ،  
والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك  
زينته الحياة الدنيا " .<sup>(١)</sup>

وأما ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال  
لبعضهم منكرًا عليه وكلمه بكلام مسجوع : أسجعا كسجج الكهان<sup>(٢)</sup>  
ولولا أن السجج مكروه لما أنكره النبي صلى الله عليه وسلم  
فابن الأثير يجيب عن ذلك قائلا : لو كره النبي صلى الله  
عليه وسلم السجج مطلقا ، لقال أسجعا ؟ ثم سكت ، وكان  
المعنى يدل على انكار هذا الفعل لم كان فلما قال : "أسجج  
كسجج الكهان" صار المعنى معلقا على الأمر ، وهو انكار  
الفعل على هذا الوجه ، فعلم أنه إنما ذم من السجج مثل سجج  
الكهان لا غير ، وأنه لم يذم السجج على الإطلاق فقد ورد في  
القرآن الكريم .<sup>(٣)</sup>

على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نطق به في كثير  
من كلامه ، حتى أنه غير الكلمة عن وجهها اتباعا لها  
بأخواتها من أجل السجج ، فقال لابن ابنته عليها السلام<sup>(٤)</sup>  
"أعيذه من الهامة والسامة ، وكل عين لامة" وإنما أراد

(١) رواه الترمذى ، كتاب صفة القيامة ٦٣٧/٤ عن عبد الله  
ابن مسعود .

(٢) الذى فى صحيح مسلم ١٣١١/٣ كتاب القسامة "أسجج كسجج  
الأعراب" . وفى رواية أخرى أنه قال للرجل صاحب القول  
"كيف أعزم من لا شرب ولا أكل ، ولا نطق ولا استهل ؟ فمثل ذلك  
بطل قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : "هذا من  
أخوان الكهان" .

ومثله كذلك فى أبى داود كتاب الديات ٧٠٠/٤ ،  
والنسائى كتاب القسامة ٤٩/٨ .

(٣) المثل السائر ص ٣١٠ .  
(٤) رواه الترمذى ٦٥٢/٤ وقال هذا حديث حسن صحيح .

"لممة" لأن الأصل فيها من ألم فهو ملم . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "ارجعن مأزورات غير مأجورات" <sup>(١)</sup> وإنما أراد مأزورات من الوزر ، فقال مأزورات لمكان مأجورات ، طلبا للتوازن والسجع ، وهذا مما يدل على قفيلة السجع .

على أن الحديث النبوى الذى يتضمن انكار سجع الكهان عندى فيه نظر ، فإن الوهم يسبق الى انكاره ، يقال : فما سجع الكهان الذى يتعلق بالانكار به ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والجواب عن ذلك أن النهى لم يكن عن السجع نفسه وإنما النهى عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع ألا ترى أنه لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحنين بغرة عبد أو أمة قال الرجل : "أأدى من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك يطل" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "سجعا كسجع الكهان" أى اتتبع المعانى كسجع الكهان .

وكذلك كان الكهنة كلهم فأنهم كانوا إذا سئلوا عن أمر جاءوا بالكلام مسجوعا .

....فالسجع اذن ليس بمنهى عنه ، وإنما المنهى عنه هو الحكم المتبوع فى قول الكاهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اسجعا كسجع الكهان" أى أحكما كحكم الكهان .  
والا فالسجع الذى أتى به ذلك الرجل لا بأس به لأنه قال "أأدى من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك يطل"

(١) ارجعن مأزورات غير مأجورات . سنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ٥٠ ، ٥٠٣/١ .

وهذا كلام حسن من حيث السجع وليس بمنكر لنفسه وانما المنكر هو الحكم الذى تضمنه فى امتناع الكاهن أن يدي الحنين بغرة عبده أو أمه .

ثم يقول "وأعلم أن الأمل فى السجع انما هو الاعتدال فى مقاطع الكلام والاعتدال مطلوب فى جميع الأشياء والنفس تميل (١) اليه بالطبع" .

ومع هذا فليس الوقوف فى السجع عند الاعتدال فقط ، ولا عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد ، اذ لو كان ذلك هو المراد من السجع لكان كل أديب من الأدباء سجاعا ، وما من أحد منهم ، ولو شدا شيئا يسيرا من الأدب الا ويمكنه أن يؤلف ألفاظا مسجوعة ويأتى فى كلامه ، بل ينبغى أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حادة طنانة رنانة ، لا غثة ، ولا باردة ، وأعنى بقولى "غثة" و"باردة" أن صاحبها يصرف نظره الى السجع نفسه من غير نظر الى مفردات الألفاظ المسجوعة ، وما يشترط لها من الحسن ولا الى تركيبها ، وما يشترط له من الحسن وهو فى الذى يأتى به من الألفاظ المسجوعة كمن ينقش (٢) أثوابا من الكرسف ، أو ينظم عقدا من الخزف الملون .

ويفترض ابن الاثير افتراضا فيقول "فان قيل : فاذا كان أعلى درجات الكلام على ما ذهبت اليه لكان ينبغى أن يأتى القرآن كله مسجوعا وليس الأمر كذلك بل منه المسجوع وغير المسجوع .

قلت فى الجواب : ان أكثر القرآن مسجوع حتى أن السورة

(١) المثل السائر ص ٣١٠-٣١٤ .

(٢) الكرسف : القطن .

لتأتى جميعها مسجوعة ... وممنوع أن يأتى القرآن كله مسجوعا إلا أنه سلك مسلك الإيجاز والاختصار ، فترك استعماله فى جميع القرآن لهذا السبب .

وهاهنا وجه آخر هو أقوى من الأول ، ولذلك ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع ، وإنما تضمن القرآن غير المسجوع لأن ورود غير المسجوع معجزا أبلغ فى باب الإعجاز من ورود المسجوع ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين<sup>(١)</sup> .

وهكذا يرى ابن الأثير أن هذا الفن البديعى سر من أسرار الإعجاز فى القرآن وأنه مظهر من مظاهر الاقتدار على البلاغة ، كيف لا ؟ وهو يرى أيضا أن السجع الكثير فى القرآن قد جاء فى أرفع صور البيان ، وقد باين كل اسجاع الساجعين وقد جاوز أيضا ببلاغته الرائعة جميع بلاغات العرب .

ثم يوضح ابن الأثير أن للسجع سرا آخر وهو خلاصته المطلوبة ... فان عرى الكلام المسجوع منه فلا يعتد به أصلا وهو شئ لم ينبه عليه أحد غيرى ، .... وأقول فيه قولا هو أبين مما تقدم وأمثل لك مثالا اذا حذوته أمنت الطاعن والعائب وقيل فى كلامك ليبلغ الشاهد الغائب ... والذى أقوله هو "أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذى اشتملت عليه أختها ، فان كان المعنى بعينه فيهما سواء فذاك هو التطويل بعينه ، لأن التطويل إنما هو الدلالة على المعنى بالفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها . واذا وردت سجتان تدلان على معنى واحد كانت

(١) المثل السائر ص ٣١٤ .

(١)

احداهما كافية فى الدلالة عليه - وجل كلام الناس جار عليه .

لذا فابن الاثير يضع للكلام المسجوع اربع شرائط .

الاولى : اختيار مفردات اللفاظ على الوجه الذى اشرت

اليه فيما تقدم .

الثانية : اختيار التركيب على الوجه الذى اشرت اليه

الثالثة : أن يكون اللفظ فى الكلام المسجوع تابعا

للمعنى لا أن يكون المعنى تابعا للفظ .

الرابعة : أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين

دالة على معنى غير المعنى الذى دلت عليه اختها . فهذه

اربعة شرائط لابد منها . اذا استوفاهما كان فى غاية الحسن

وهو أعلى درجات الكلام .

ومهما يكن فالسجع من فنون البديع التى ذاعت فى القرن

السادس ، وكان غاية الاديب يقصد اليه ، ويتكلفه فقط

واستردله النقاد ، وليس ذلك راجعا الى قلة شأنه فى الاسلوب

اذا وقع مطبوعا ، بل ان غرام الادباء به وتعلقهم دليل على

أصالته وتأثيره وان عجزوا عن أن يصوغوا منه صورا زاهية

فحين هاجم النقاد هذا الفن البديعى انما هاجموا صوره

المتكلفة المزدولة ، ومثل السجع فى هذا مثل الاستعارات

التى أغرب فيها أبو تمام وتكلفها ، فليس اسقاط هذه الصور

دليلا على قلة شأن الاستعارة فى الاسلوب وانما هو استردال

الصور المتكلفة القبيحة التى كانت أثرا من آثار الإفراط فيها

وكلام ابن الاثير عن السجع الذى نقلناه سابقا ، حرى

بالقبول والتقدير ذلك أنه وضع شروطا ومعايير ينبغي أن يكون عليها السجع . لذا فهو يقع فى القرآن مطبوعا غير متكلف ويبدع لفظا ومعنى ، وهو من صميم البلاغة شريطة أن يضعه عالم بجوهر الكلام يحفظ من صحة المعنى وسداده .  
وكأن هناك سجعا لا يراعى فيه هذا الشرط فيضعه متكلفون أدعياء لا يحفظون فيه روح المعنى . ولا سلاسة اللفظ .

ومن أجود الذين دافعوا عن السجع شاعرنا الحديث أحمد شوقى ، اذ يقول فى كلامه عن السجع "السجع شعر العربية الثانى ، وقواف مرنة ريفة خمت بها القمى ، يستريح اليها الشاعر المطبوع ويرسل فيها الكاتب المتقن خياله ، ويسلو بها أحيانا عن فاته من القدر القدرة على صياغة الشعر وكل موضع للشعر الرصين محل للسجع ، وكل قرار لموسيقاه قرار كذلك للسجع ، فانما يوضع السجع النابع فيما يصلح مواضع للشعر الرصين ، من حكمة تخترع ، أو مثل يضرب ، أو وصف يساق ، وربما وشيت به الطوال من رسائل الادب الخالص ، ورمعت به القمار من فقر البيان المحض ، وقد ظلم العربية رجال قبحوا السجع وعدوه عيبا فيها ، وخلطوا الجميل المتفرد بالقبيح المردول منه : يوضع عنوانا لكتاب أو دلالة على باب ، أو حشوا فى رسائل السياسة ، أو شرشرة فى المقالات العلمية فيا نشء العربية ان لفنكم لسرية مثرية ، لن يضيرها عائب ينكر حلاوة الفواصل فى الكتاب الكريم ، ولا سجع الحمام فى الحديث الشريف ، ولا كل ماثور خالد من كلام  
(١)  
السلف الصالح " .

(١) أسواق الذهب لأحمد شوقى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٣٩٠هـ - ص ١١٥ .



أقسام السجع :

يقسم ابن الأثير السجع الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أن يكون الفصلان متساويين لايزيد أحدهما  
عن الآخر كقوله تعالى : { فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا  
السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ } وقوله تعالى : { وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ،  
فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا ، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ، فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا ، فَوسطن  
بِهِ جَمْعًا } وهذا النوع هو أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي  
فيه كما يقول ابن الأثير .

القسم الثانى : أن يكون الفصل الثانى أطول من الأول ،  
طولا لا يخرج به عن الاعتدال خروجا كثيرا ، ومنه قوله تعالى :  
{ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا  
رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أَلْقَا  
مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا } (٤) .

فالفصل الأول ثمانى لفظات والفصلان الثانى والثالث -

تسع - تسع .

ومنه قوله تعالى : { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ  
جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ  
الْجِبَالُ هَدًّا } (٥) .

وأمثال ذلك فى القرآن كثير كما يقول ابن الأثير .

- 
- (١) المثل السائر ١/٣٧٠ .  
(٢) الفصحى : ٩-١٠ .  
(٣) العاديات : ١-٥ .  
(٤) الفرقان : ١١-١٣ .  
(٥) مريم : ٨٨-٩٠ .

والقسم الثالث : وهو أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول ، ويرى ابن الأثير أن هذا النوع عيب فاحش وذلك أن السجع قد استوفى أمدّه في الفصل بسبب طوله ثم يجئ الفصل الثاني قصيرا عن الأول ، فيكون كالشئ المبتور .<sup>(١)</sup>  
ثم يبين ابن الأثير أن السجع على اختلاف أقسامه "ضربان" :

الأول : السجع القصير ، وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة ، وكلما قلت الألفاظ كان أفضل لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع .  
وهو أوعر السجع مذهباً وأبعده متناولا ولا يكاد استعماله يقع إلا نادرا .  
والضرب الآخر : وهو ضد الأول لأنه أسهل متناولا ، وكل من هذين الضربين تتفاوت درجاته .

فالسجع القصير فأحسنه ما كان مؤلفا من لفظتين لفظتين كقوله تعالى : {وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا ، فَالْعَامَّاتُ عَصْفًا} <sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الْمَدْيُنَةُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ، وَشَاقِبَةٌ} <sup>(٣)</sup> ويرى ابن الأثير أن ما كان من عشرة ألفاظ يعد من السجع القصير وأما ما زاد عن ذلك فإنه من الطويل وهو أيضا درجات متفاوتة .

منه ما يقرب من السجع القصير وهو أن يكون تاليه من إحدى عشرة لفظة إلى اثنتى عشرة لفظة وأكثره خمس عشرة لفظة

(١) المثل السائر ٣٧٢/١ .  
(٢) المرسلات : ٢٠١ .  
(٣) المدثر ١-٤ .

كقوله تعالى : { وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ كَفُورًا ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا } (١) فالأولى إحدى عشرة لفظة والثانية ثلاث عشرة لفظة .

ومن السجع الطويل ما يكون تأليفه من العشرين لفظة في طولها كقوله تعالى : { إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَكُمُ كَثِيرًا لَفَشلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } (٢) .

### (٣) الترصيع :

يرى ابن الأثير أن الترصيع مأخوذ من ترصيع العقد ، بأن يكون في أحد جانبي العقد من اللآلئ مثل مافي الجانب الآخر . وكذلك تجعل الألفاظ المنثورة من الأسجاع ، وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية . (٣)

ويجئ الترصيع في الشعر ، ولكنه لايجئ في كلام الله تعالى لما فيه من التكلف كما أنه قليل جدا في الشعر لما فيه من تعمق الصنعة وتعسف الكلفة ، ومن هذا قول بعضهم :

فَمَكَارِمُ أَوْلِيَّتِهَا مُتَبَرِّعًا  
وَجَرَائِمُ الْغِيَّتِهَا مُتَوَرِّعًا

(١) هود : ٩-١٠

(٢) الأنفال : ٤٣-٤٤

(٣) المثل السائر ١/٣٩٧ .

وهو كما نرى كلام وخم جدا .

ورد ابن الاثير على من استشهد لهذا النوع من كتاب الله ومثله بقوله تعالى : { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ } . فيقول "فليس الأمر كما وقع له فإن لفظة لفي" قد وردت في الفقرتين معا ، وهذا يخالف شرط الترصيع الذي شرطناه ، لكنه قريب منه .

ومما جاء نثرا قول الحريري "فهو يطيع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه قالفاظ الفصل الأول مساوية لالفاظ الفصل الثاني وزنا وقافية" .  
(٢)

#### (٤) لزوم مالا يلزم :

يرى ابن الاثير أن هذا الفن من أشق هذه الصناعة مذهبا وأبعدها مسلكا ، لأن اللازم في هذا الموضع إنما هو السجع ، وهو تساوى أجزاء القوافل من الكلام المذثور في قوانينها ، وهو فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التى قبل الفاصلة حرفا واحدا ، وفى الشعر : أن تتساوى الحروف التى قبل روى الأبيات الشعرية .  
(٣)

وهذا النوع سماه عبد الله بن المعتز "اعنات الشاعر نفسه" فدلت التسمية على ما فى صناعته من مشقة وعناء وقد سماه ابن جنى التطوع بما لايلزم ثم قال وهو "أن يلتزم (٤) الشاعر مالا يجب عليه ، ليدل بذلك على غزارة وسعة اطلاعه" . ولئن جعل ابن المعتز هذا النوع خاصا بالشعر وخصه

(١) الانقطاع : ١٣-١٤

(٢) المثل السائر ١/٣٩٧ .

(٣) المثل السائر ١/٤٠١-٤٠٢ .

(٤) انظر الخصائص ٢/٢٣٤ .

كذلك ابن جنى ، فان ابن الاثير جعله شاملا للشعر والنثر  
 (١) وجاراه فى ذلك الخطيب القزوينى ولقد جعل ابن الاثير لهذا  
 النوع ملحقا له وسماه مايلحق باللزوم وذلك ان الكلمة  
 الاخيرة اذا صغرت من الشعر أو من فواصل الكلام المنشور فهو  
 ملحق باللزوم والتمغير عوضا عن تساوى الحروف التى قبل روى  
 الابيات الشعرية والتى قبل الفاملة من النثر وورود مثل هذا  
 النوع فى القرآن يسير جدا فمن ذلك قوله تعالى : {إِقْرَأْ  
 بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} (٢) ومنه قوله :  
 {وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مُّسْتَوٍ} (٣) ويقول ، وربما وقع بعض الجاهل فى  
 هذا الموضع ، فادخل فيه ما ليس منه كقوله تعالى : {إِنْ  
 الْمُتَّقِينَ فى جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ، فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ  
 رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (٤) وهو لايدخل فى باب اللزوم لأن الأمل فيه  
 "نعم" و"جحيم" والياء هى من حروف المد واللين ، فلا يعتد  
 (٥) بها هاهنا .

الموازنة : ويعرفها بقوله هى "أن تكون ألفاظ الفواصل

من الكلام المنشور متساوية فى الوزن وأن يكون صدر البيت  
 الشعرى وعجزه متساويى الألفاظ وزنا وللكلام مع الموازنة  
 (٦)

- 
- (١) الايفاح للقزوينى ص ٢١٢ .  
 (٢) العلق : ٢-١  
 (٣) الطور : ٢-١  
 (٤) الطور : ١٧-١٨  
 (٥) المثل السائر ١/٤١٣ .  
 (٦) المثل السائر ص ٤١٤ .

طلاوة ورونقا ، وسببه الاعتدال ، لأنه مطلوب فى جميع الاشياء .  
ولهذا يكون أسلوب الموازنة . آخا للسجع فى المعادلة دون  
المماثلة لأن فى السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال وهى  
تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد .<sup>(١)</sup>

أما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود فى السجع ولا  
تماثل فى فواصلها . فكل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعا .  
وعلى هذا السجع أفضل من الموازنة .

ومن هذا النوع قوله تعالى : { وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ، كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ  
عَلَيْهِمْ ضِدًّا . أَلَمْ تَرَ أَنَا أُرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ  
تَوَزَّهُمْ أَزْأ ، فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُّهُمْ عِدًّا } .<sup>(٢)</sup>

وكذلك قوله تعالى : { مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ وِزْرًا ، خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا } .<sup>(٣)</sup>

ثم يقول : "وأما هذا فى القرآن كثير ، بل معظم  
آياته جارية على هذا النهج حتى أنه لا تخلو منه سورة من  
السور ، ولقد تمفحته فوجدته لا يكاد يخرج منه شئ عن السجع  
والموازنة " .<sup>(٤)</sup>

وبعد . فهذه هى أنواع البديع التى أوردتها ابن الأثير  
فى كتابه "المثل السائر" ورأينا كيف عالج ابن الأثير هذه  
الفنون علاجا ممتازا بلمحاته الفنية وذوقه الأدبى الخالص ،  
وكيف عاد بها أيضا الى مصادرها الأولية القديمة القرآن

(١) المثل السائر ص ٤١٥ .

(٢) مريم : ٨١-٨٤ .

(٣) طه : ١٠٠-١٠١ .

(٤) المثل السائر ١/٤١٦ .

الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وأشعار العرب القدماء  
عودا حميدا . وقد أكثر من ايراد الشواهد وحللها ببيان  
دقائقها الفنية ، وتشريح ما جاء فيها من عيوب على حد ماورد  
فى أنواع البديع عند ابن الاثير .  
وقد لاحظت أن أصحاب المدرسة الادبية أهل اتجاهين  
بارزين :

الأول : يكتفى بإيراد الأمثلة وكأنها بذاتها توحى  
وتؤثر ، مثلها فى ذلك مثل المعارض الفنية تنطق معروضاتها  
عن نفسها ، نلاحظ مثلا كتاب البديع ، لابن المعتز حين تكلم  
عن الاستعارة فهو يورد النصوص دون أن يعلق بكلمة . على أن  
مثل تلك الكتب التى تعرض للنصوص الادبية للتأثير والايحاء  
لاتخلو من أحكام فنية ، وتعليلات جمالية لكنها كثيرا ماتكون  
موجزة .

والاتجاه الآخر : نجد أصحابه يوردون النصوص الادبية  
ويحللونها بتوضيح دقائقها الفنية وتشريح ماقد يكون فيها  
من عيوب .

وقد امتاز بذلك كتاب "المثل السائر" لابن الاثير  
فمقياسه أدبى عماده الذوق ، والذوق تمقله التربوية الادبية  
يسبقها طبع موهوب ، يسلط ذلك كله على النص الادبى فيميز  
جيده من رديئه .

واذا رأينا ابن الاثير جعل السجع وجها من وجوه الاعجاز  
فى القرآن الكريم وكذلك الجناس - فأننا سنلتقى - بعالم  
آخر جعل همه الاعجازى "بديع القرآن" . ذلك ماسنتكلم عنه فى  
الفصل الثانى ان شاء الله .

الفصل الثانىبديع القرآن لابن أبى الاصبع<sup>(١)</sup>

لم يكن كتاب بديع القرآن أول عمل قام به ابن أبى الاصبع ، وإنما كان له قبل مؤلفه هذا كتابان آخران ، أحدهما "تحرير التحبير فى بديع القرآن والشعر والمنثور" والآخر : هو "بيان البرهان فى اعجاز القرآن" ويبدو أنه لاحظ ما فى هذا الكتاب من فنون بديعية معجزة ، فأراد أن يفرد لها كتابا خاصا بالقرآن ، وما فيه من وجوه بديعية فكان بديع القرآن تكملة له .

نلمح ذلك من قوله فى بديع القرآن اذ يقول "جمعت من ذلك خمسة وتسعين بابا أصولا وفروعا ، فالأصول منها ما ابتكر المخترعان الأولان تدوينه ، وهما قدامة بن جعفر الكاتب ، وابن المعتز ، وعدتها ثلاثون بابا بعد حذف ماتوارد عليه منها ، وما تداخل عليها فيها ، وخمسة وستون بابا لمن جاء بعدها ، الى زمنى هذا على ما قدمت من الشرائط ورايت أن أضيف الى ذلك الأصل والمضاف فذلكة أنا مخرج أسمائها ، ومستخرج شواهدا ، فاستنبطت واحدا وثلاثين بابا لم أسبق فى غلبة ظنى الى شئ منها ، الا أن يوجد فى زوايا الكتب شئ من ذلك لم أقف عليه ، فأكون أنا ومن سبقنى متواردين عليه ، فأضفت ما استنبطت الى الأصل والمضاف الذى جمعت فصارت

---

(١) هو زكى الدين أبى محمد عبد العظيم بن عبد الواحد القيروانى المصرى ولد سنة ٦٥٤هـ ومن آثاره بدائع القرآن ، وتحرير التحبير . انظر : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لحاجى خليفة دار الفكر ٢٣٠/١



الفذلكة مائة باب وستة وعشرين بابا كلها فى كتابى الجامع لبديع جميع الكلام الموسوم "بتحرير التحبير" ولما فتح على بعمل الكتاب الذى وسمته ببيان البرهان فى اعجاز القرآن وعلمت أنه لابد له من شئمة تتضمن مافى الكتاب العزيز من أبواب البديع فأفردت مايختص بالقرآن ، فكان ذلك مائة باب وثمانية أبواب وعند سياقة الأبواب مفصلة تتحرى ان شاء الله تعالى العدة " (١) .

وقد اتضح لى من خلال مراجعتى للأصول التى ذكرها فى مقدمة كتابه أنه ذكر ستة عشر نوعا لابن المعتز وهى "الاستعارة ، والتجنييس ، والطباق ، ورد الاعجاز على الصدور والمذهب الكلامى ، والالتفات والتمام ، أو التتميم ، والاستطراد ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، وحسن التضمين ، والكناية ، والافراط فى الصفة ، والتشبيه وعتاب المرء نفسه ، ويقول وهو من أفراد ابن المعتز ثم ساق البيتين اللذين أوردهما ابن المعتز وهو ما يعرف عند ابن المعتز "اعنات الشاعر نفسه" وحسن الابتداءات ثم يقول "هذا آخر أبواب ابن المعتز ومن هنا نبتدى بأبواب قدامة" ثم ذكر من أبواب قدامة أحد عشر نوعا وهى على الترتيب "صحة المقابلات ، وصحة الأقسام ، صحة التفسير ، باب ائتلاف اللفظ مع المعنى ، المساوات ، والاشارة ، والارداف ، التمثيل ،

(١) بديع القرآن ص ١٤-١٥ .

(٢) بديع القرآن ص ١٧-٦٤ .

أما الأنواع التى لم يذكرها من أنواع ابن المعتز هى :

١ - الهزل الذى يراد به الجد .

٢ - الرجوع .

(٣) بديع القرآن ٦٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٦٥-٩٣ .

اختلف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام ، والتوشيح  
والايغال وعنه يقول "وهو آخر أبواب قدامة ، ومن هاهنا نبدا  
بأبواب من بعد الرجلين أعنى ابن المعتز وقدامة" (١)

ثم مضى فى عد الفروع بعد المبتكرين الاولين ابن  
المعتز وقدامة وهى أبواب المتأخرين وعدتها خمسون نوعا وهى  
"الاحتراس ، المواردية ، والموازنة ، الترديد ، التعطف ،  
التفويف ، التسهيم ، التسميط ، التورية ، الترشيح ،  
الاستخدام ، التفابير ، المماثلة ، التسجيع ، التعليل ،  
الطاعة والعصيان ، والعكس والتبديل والقسم ، والسلب  
والايجاب ، والاستدراك والرجوع ، الاستثناء ، والتلفيف ، جمع  
المؤتلفة والمختلفة ، التوهيم ، الاطراد ، التحويل ،  
المناسبة ، التكرار ، ونفى الشئ بايجابه ، والتفصيل ،  
والتذليل ، والتهذيب ، حسن النسق ، وبراعة الانسجام ،  
وبراعة التخلص ، والتعليق ، والادماج ، والاتساع ، المجاز ،  
الايجاز ، سلامة الاختراع من الاتباع ، حسن الاتباع ، حسن  
البيان ، التوليد ، التنكيت ، النوادر ، الاجاء ، الالتزام  
تشابه الاطراف ، التوأم ، ثم يقول تمت جميع أبواب  
المتقدمين من الأصول والفروع ومن هنا ابتدئ سياقة أبوابى  
التي استنبطها والانواع التي استخرجتها" (٢) أما الانواع التي  
استنبطها واستخرجتها فهي "التخيير ، والتنظير والتدريج ،  
والتمزيح ، والاستقماء ، وباب البسط ، والعنوان الايضاح ،  
التشكيك ، الحيرة والانتقال ، والشماعة ، والتهكم والتندير

(١) المرجع السابق ٩٣ .

(٢) المرجع السابق ٩٣-٢٣٣ .

(٣) بديع القرآن ص ٢٣٣ .

والاسجال بعد المغالطة والفرائد ، والاقتدار ، والتراهة ،  
والتسليم ، والافتنان ، والمراجعة ، واشبات الشئ للشئ  
بنفيه عن ذلك الشئ ، والزيادة التى يفيد اللفظ فصاحة  
وحسنا والمعنى توكيدا أو تمييز المدلول من غيره ، والايهام  
والابهام ، والتفريق ، والجمع ، والقول بالموجب ، وحصر  
الجزئى والحاقه بالكلى ، والمقارنة ، والرمز والايحاء  
المناقضة ، والانفصال ، والابداع ، وحسن الخاتمة " (١)

ثم يقول "تم كتاب بديع القرآن المجيد وعدة أبوابه  
مائة وثلاثة أبواب وتم بتمامه كتاب البرهان فى اعجاز  
القرآن" (٢) ويعلق على هذا الدكتور حفى شرف رحمه الله بقوله  
"وهى تختلف عن خاتمة بقية النسخ وليس لهذا الاختلاف أى أثر  
لأنه من صنع النساخ" (٣)

والذى أريد تبينه مما تقدم أن ابن أبى الاصبع أفرد  
القول عن الأنواع التى وردت فى تحرير التحرير ، من أصول  
وفروع ، والمبتكرات التى أضافها ولم يوضح فى بديع القرآن  
عدد الأصول والفروع وإضافاته التى ذكر أنه استنبطها ، لذلك  
أردت أن أبين هذه الأصول والفروع حيث ذكر ماورد فى  
هذا الكتاب بالجملة ولم يفرد القول فيه فأقول أن عدة  
أبواب البديع مائة باب وتسعة أبواب وليست كما ذكر ابن أبى  
الاصبع فى المقدمة مائة وثمانية أبواب وأما الأنواع التى ذكر  
أنها أصول سبعة وعشرون نوعا وأما الفروع التى أوردها فى  
كتابه فهى خمسون نوعا ، وأما الأنواع التى جاءت ضمن إضافاته

(١) بديع القرآن ٢٣٣-٢٥٣ .

(٢) بديع القرآن ص ٢٥٣ .

(٣) المرجع السابق - الهامش ص ٣٥٣ .

فقد اتضح لنا بعد المراجعة انها اثنان وثلاثون نوعا ، وهى كلها لم تسلم له وسنعرف ذلك مقصلا من خلال عرضنا لها ان شاء الله تعالى .

والكتاب الذى بين أيدينا ليس مجرد تلخيص لأراء السابقين من البلاغيين كما هو الحال عند شراح التلخيص ، ولم يكن مجرد جمع لكتب السابقين كما هو الأمر عند ابن رشيق صاحب العمدة وانما هو عمل فنى أصيل عكف عليه ابن أبى الاصبع وبين فى مقدمة كتابه أن الدرس البلاغى كان همه الشاغل فى فتوته وشيخوخته على السواء ، فقد اطلع على تراث العرب البلغاء وجمع مايعنيه من كتب بلاغية ونقدية وأطلع على تفاسير ، وكتب حديث ، وكتب أدبية كالأمالى والمحاضرات ودواوين الخطب والشعر ، والرسائل الأدبية وكتب الفقه وغيرها نلاحظ هذا من المصادر التى أطلع عليها اذ يقول فى المقدمة "كتاب بديع القرآن" الذى هو تنمة للعجاز المترجم "ببيان القرآن" أفردته من كتاب هو وظيفة عمرى ، وثمرة اشتغالى فى ابان شبىبتى ومباحثى فى أو ان شيخوختى ، مع من لقيته من عقلاء العلماء وأذكياء الفضلاء ، ونبلأء البلغاء فى علم البيان وكل من له عناية بتدبر القرآن ، ونظر شاقب فى نقد جواهر الكلام ، ومن له تمييز بين الذهب والشبه من نقود النثر والنظام ، جمعته من كتاب وكتابين منها ما هو منفرد بهذا العلم ، ومنها ما هذا العلم داخل فى أثنائه :

(١)، (٢) كئقدى قدامة .

(٣) بديع ابن المعتز .

(٤) حلية المحاضرة للحاتمى ، وكشفت عن "الحالى والعاطل"

له الذى أشار اليه فى "الحلية" فلم أظفر بمن يعترف  
بوقوفه عليه ، الا ابن مقفذ فى "بديعه"

(٥) المناعتين للعسكرى .

(٦)، (٧) العمدة لابن رشيقي وتزييف نقد قدامة له .

(٨)، (٩) رسالة الآمدى فى الرد على قدامة ، والموازنة بين

الطائيين له .

(١٠) كشف الظلامة للموفق البغدادي

(١١) النكت فى الاعجاز للرومانى

(١٢) الجامع الكبير فى التفسير له .

(١٣) البلاغة للرومانى .

(١٤) اعجاز ابن الطيب الباقلانى .

(١٥) دلائل الاعجاز للجرجانى .

(١٦) أسرار البلاغة للجرجانى .

(١٧) الوساطة لعلى بن عبد العزيز الجرجانى .

(١٨) اعجاز بن الخطيب .

(١٩) شرح أسماء الله الحسنى له .

(٢٠) التفسير الكبير له .

(٢١) الكشف للزمخشري .

(٢٢) شرح أسماء الله الحسنى لابن أبى البرجان .

(٢٣) التفسير لابن صمادح .

(٢٤) تفسير ابن عطية .

(٢٥) الوسيط فى التفسير للواحدى .

(٢٦) أسباب النزول للواحدى .

(٢٧) فوائد القرآن للقاضى عبد الجبار .

- (٢٨) أمثال القرآن لابن حبيب .
- (٢٩) التمثيل والمحاضرة للشعالبي .
- (٣٠) التعريف والاعلام للسهيلي .
- (٣١) الروض الائف للسهيلي أيضا .
- (٣٢) الأمثال والحكم من كلام سيد الأمم لأبي أحمد العسكري .
- (٣٣) الأمثال للرامهرمزي .
- (٣٤) الدلائل للبيهقي .
- (٣٥) الأمثال لأبي عبيد القاسم ابن سلام .
- (٣٦) أمثال الزمخشري .
- (٣٧) كلام بعض العلماء عن قوله تعالى "تلك عشرة كاملة"
- (٣٨) كلام بعض الفضلاء على ماجاء فى الكتاب العزيز من الاستثناء .
- (٣٩) كلام القاضى بهاء الدين بن شداد - رحمه الله - على سورة الاخلاص فانه استخرج منها ثلاثين فائدة .
- (٤٠) ما استخرج بعض الفضلاء من الاحكام الستين من حديث "حبيب الى من دنياكم ثلاث"
- (٤١) ما استخرج من الاحكام من حديث "ياأبا عمير ما فعل النفيير"
- (٤٢) الأمثال للميدانى .
- (٤٣) المصنف لابن وكيع التنيسى .
- (٤٤) رسالة ابن عباد فى التنكىت أيضا على المتنبي ومتآخذه من أبى تمام ومتآخذ البحتري من أبى تمام .
- (٤٥) نهج البلاغة للإمام على عليه السلام .
- (٤٦) ونظم القرآن للجاحظ .

- (٤٧) البيان والتبيين للجاحظ .
- (٤٨) الخطب النبائية للخطيب .
- (٤٩) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب .
- (٥٠) تنقيح البلاغة لمحمد بن أحمد العميدى .
- (٥١) الفصل والوصل لابن أبى البرجان .
- (٥٢) شرح الحماسة للتبريزى .
- (٥٣) البديع للتبريزى .
- (٥٤) شرح الأشعار السنة للعسكرى .
- (٥٥) شرح المقصود لابن خالويه .
- (٥٦) اليتيمة للشعالى .
- (٥٧) أجناس التجنيس للشعالى .
- (٥٨) دمية القصر للباخرزى .
- (٥٩) والخريدة للعماد والكاتب الأصبهاني .
- (٦٠) العقود والاعتذار .
- (٦١) محاضرات الراغب .
- (٦٢) شرح سقط الزند لابن البطليوس .
- (٦٣) رسالة الصولى التى قدمها على شعر أبى نواس .
- (٦٤) رسالة الصولى عن أبى تمام .
- (٦٥) شرح الاشراف للبلاذرى .
- (٦٦) السبيل الى معرفة سبيل التنزيل .
- (٦٧) الغرر والدرر للشريف المرتضى رحمه الله .
- (٦٨) وتنزيه الانبياء عليهم السلام (له) .
- (٦٩) طيف الخيال له .
- (٧٠) كتاب المرفقة له .

- (٧١) جواهر القرآن للغزالي .
- (٧٢) احياء علوم الدين للغزالي .
- (٧٣)، (٧٤)، (٧٥) رسالتى الخاتمة اللتين عملهما فى شعر المتنبى : احدهما فى مآخذة ، والاخرى : فى مآخذة الجميلة ، ووقعة الادهم الحاتمي له اعنى الحاتمي .
- (٧٦) المجاز للشريف الرضى - رحمه الله - .
- (٧٧) المجاز لآبى عبيدة .
- (٧٨) الشفا فى تعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض .
- (٧٩) شرح حديث أم زرع .
- (٨٠) بديع الحديث الذى لخمه منه وأفرده عنه للقاضى عياض .
- (٨١) الحديقة للحجارى ، وهو صاحب المسهب فى أخبار أهل المغرب .
- (٨٢) قلائد العقبان لابن خاقان .
- (٨٣) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى .
- (٨٤) مقامات البديع ورسائله .
- (٨٥) مقامات الحريرى .
- (٨٦) الممثل السائر لابن الاثير .
- (٨٧) الوشى المرقوم له .
- (٨٨) الاقناع للماحب ابن السائر لابن عباد .
- (٨٩) بديع ابن اسحاق الاحداوى صاحب "كفاية المتحفظ" .
- (٩٠) العقد لابن عبد ربه .
- (٩١) رسالة القاضى الفاضل رحمه الله فى البلاغة .
- (٩٢) بديع شرف الدين التيفاشى ، وقد جمع فيه مالم يجمع غيره ، لولا مواضع نقلها كما وجدها ولم ينعم النظر



فيها ما انتقد على غيره وبعض الأبواب التي تداخلت عليه  
(١)  
(٩٣) بديع ابن منقذ على ما فيه من التوارد والتداخل .

تلك هي المصادر التي رجع إليها ابن أبي الأصبع في  
تأليفه "بديع القرآن" وهي كما يبدو لنا يغلب على معظمها  
الذوق الأدبي ، الذي تتسم به طريقة العرب البلغاء ، لذلك  
لم يذكر السكاكي ضمن مصادره التي اعتمد عليها بالرغم من  
أنه كان معاصرا له . وهذه الكتب كما يبدو لنا ضعف الكتب  
التي استعان بها عند تأليف كتابه الأول المسمى "بتحرير  
التحبير" حيث يقول في مقدمته "وقد وقفت في هذا العلم على  
(٢)  
أربعين كتابا" .

وهذا يعني أننا أمام عمل أصيل لا مجرد تلخيص ، معتمدا  
في ذلك على النقد والتحليل ، والتنظيم ، وقد استخدم حسه  
الأدبي ، يقول منتقدا تأليف التيفاشي وابن منقذ مما يدلنا  
على منهجه في التأليف في هذا الفن حيث فطن الى ما وقع فيه  
الذين سبقوا الى التأليف في البديع من التداخل والنقل  
والاستعجال يقول "... وبديع شرف الدين التيفاشي وقد جمع  
فيه ما لم يجمع غيره لولا مواضع نقلها كما وجدها ولم ينعم  
النظر فيها فانتقد عليه فيها ما انتقد غيره ، وبعض الأبواب  
التي تداخلت عليه ، وبديع ابن منقذ على ما فيه من التوارد  
والتداخل وتسمية أقسام الباب الواحد أبوابا وضم أنواع  
المآخذ وأضاف العيوب الى المحاسن والاعتداد بها في عدة  
أبواب المحاسن ومخالفة الشواهد والتراجم الى فنون من الزلل

(١) بديع القرآن ص ٤-١٣ .

(٢) تحرير التحبير ص ٤ .

وضروب من الخل يعرف صحتها من وقف على كتابه وأنعم النظر فيه ، وتدبر جملة معانيه ، وإن كان قلما رأيت فى هذا الفن كتابا خلا من موضع نقد بحسب منزلة واضعه من العلم والدراية فمن قليل وكثير ، وكل أحد مأخوذ من قوله ومترك إلا من عمم الله سبحانه من أنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه ، والسعيد من عدت سقطاته ، وما أبرئ نفسى ، ولا أدعى سلامة وضعى دون أبناء جنسى ، غير أنى توخيت تحرير ما جمعت جهدى ، ودققت النظر حسب طاقتى ووسعى فتجذبت التداخل وتحرست من التوارد ونقحت ما يجب تنقيحه ، وصححت ما قدرت تمحيحه ، ووضعت شاهدا على موضعه وربما أبقيت اسم الباب وغيّرت مسماه ، إذا رأيت اسمه لا يطابق معناه ، الى أن جمعت من ذلك خمسة وتسعين بابا (١)  
أصولا وفروعا "

فالموضوع يلزمه تجنب التداخل ، وإيراد الأمثلة الملائمة ، ومطابقة اسم الباب لمسماه ، والتنظيم يلزمه أن ينفى المتوارد ، ويبعد الشاهد النازل فى غير موطنه ، وينقح كل باب ويحرره ، والذوق هو الذى يملئ عليه أن يتدبر هذا التراث البلاغى الذى أمامه ويرتبه بالصورة التى تحدثنا عنها قبل قليل .

---

(١) بديع القرآن ص ١٣-١٤ .

أهم المواضع التى اختلف فيها عن مدرسة السكاكى :

### التحليل :

ان من سمات المدرسة الادبية فى البلاغة العربية ان  
تكثر من الشواهد من نثر وشعر ومن ثم تحليلها تحليلًا أدبيًا  
رائعًا يدل على أصالة المدرسة الادبية ، ولعل من أبرز رجال  
هذه المدرسة ابن أبى الاصبع اذ يقف أمام الشواهد وقفات  
جمالية متأنية تكشف عما تنطوى عليه من أسرار ودقائق جليلة  
ففى باب التمام أو التتميم يحلل ما فى الآية : {أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ  
أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ  
فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا  
إِغْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ} <sup>(١)</sup> فيقول فى هذه الآية ثمانية مواضع  
فى كل موضع منها تتميم ، وأتت على جميع أقسام التتميم من  
تتميم النقص ، وتتميم الاحتياط ، وتتميم المبالغة فأولها  
فى قوله تعالى فى تفسير الجنة {من نخيل وأعناب} لاحتمال أن  
تكون جنة ذات أشل وحمط ، فان لفظ الجنة يصدق على كل شجر  
مجتمع يستتر بظل غمونه الأرض كائنا ماكان ، ومن الشجر ماله  
نفع عظيم عميم كالنخيل والأعناب وماله نفع قليل كالأشل  
والخبط ، ومع هذا فلو احترقت لانسان جنة من أشل وخبط لاشتد  
أسفه عليها ، فكيف اذا كانت من نخيل وأعناب ؟ ثم علم  
سبحانه أن الجنة وان كانت من نخيل وأعناب ، مالم تجر  
الأنهار من تحتها لم يشمر شجرها ، ولم ينتفع بسكنها ولم

(١) سورة البقرة ٢٦٦ .

تكن لها حياة البتة فتمم هذا النقص بقوله تعالى {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} ثم علم عز وجل أن الجنة لو جمعت الى النخيل والأعناب محل الثمرات كان وضعها أتم ونفعها أعظم ، والأسف على فسادها أشد ، فقال متمما هذا النقص "تتميم" مبالغة "لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ" ولما فرغ سبحانه من أوصاف الجنة أخذ فى وصف صاحبها ، فوصفه بالكبر لأنه لو كان شابا لرجا أن ي خلفها بعد احراقها لما يجد فى نفسه من القوة ، ويأمل من طول المدة فقال محتاطا {وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ} ثم علم سبحانه أنه اذا كان عقيما مع الكبر سلاه عنها قرب المدة وعدم من يهتم بضياعه بعد ، فلا يشتد أسفه عليها ، فقال عز وجل محتاطا أيضا {وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ} ثم علم أنه اذا لم يصف الذرية بالضعف أحتمل الاطلاق أن يكونوا أقوياء فيترجى اخلاصهم لها ، فيخفض ذلك من أسفه فقال محتاطا "ضعفاء" ثم لما فرغ من وصف الجنة أخذ فى وصف الحادث المهلك لها بقوله عز وجل {فَأَصَابَهَا أَعْصَارٌ} وعلم تبارك وتعالى أن الأعصار لايعجل فساد هذه الجنة ولايحمل هلاكها به الا بعد استمراره عليها فى مدة طويلة وهو يريد الاخبار بتعجيل هلاكها فقال {فيه نار} ثم اقتصر سبحانه من الرياح على الأعصار ، لكونه عبارة عن تقابل الرياح المشيرة للعجاج الكثيف الذى دوامه يعمر عيون الماء ويظم الآبار والأنهار ويحرق بسمومه ووجهه الأشجار ، واذا اتفق مع ذلك أن تكون فيه نار أدارها على المكان الذى يكون فيه ، بحيث لاينصرف عنه لأنه لايقصد وجهه مقابلة فينصرف مايكون فيه اليها ، ثم علم سبحانه أن النار يحتمل أن تكون ضعيفة فتطفأ لضعفها عن مقاومة ما فى الجنة من الأنهار ورطوبة

الأشجار ، فاحتاط من ذلك بقوله تعالى {فاحترقت} فنفى هذا الاحتمال وأوجز فى تتميم المعنى المراد<sup>(١)</sup> ، ثم يقول "فانظر ماتضمنت هذه الآية الكريمة من تقاسيم هذا النوع أى مافيها من ائتلاف اللفظ بالمعنى والتعذيب ، وحسن النسق ، والتمثيل وحسن البيان ، والمساواة ، لتعلم أن هذا الكتاب الكريم بأمثال هذه الآية عجز الفصحاء وبلد الأذكياء ، واعيا على البلغاء"<sup>(٢)</sup> . وفى القول السابق نظر ، إذ أن الحرف "ثم" يفيد الترتيب الزمنى وعلم الله محيط بكل شيء ، فهو يعلم سبحانه بالامر قبل أن يكون ، وكلام ابن أبى الأصبع يتنافى مع علم الله الذى لا تخفى عليه خافية .

ويبين حسن التذكيت عند قوله تعالى : {وَإِذَا مَسَّ الشَّرُّ فَذُوْ دُعَاءٍ عَرِيضٍ} فيقول<sup>(٣)</sup> : "يقال ما النكته التى لأجلها عدل من طويل الى عريض ؟ فيقال : لأن الداعى يتوجه الى السماء إذ هى قبلة الدعاء ، وهو تحتها والذى يظله منها إنما هو نصف الكرة ، إذ هو تحت مكورها ، فالذى يظله إذا عرض لا طول وان كان الظرف عرضا وجب أن يوصف المظروف بالعرض دون الطول فيكون المراد - والله أعلم - ، فذو دعاء يملأ السماء ، يعنى مايتوجه اليه من السماء ، فانه الذى يطلق عليه سماء بالنسبة اليه فانه الذى يظله ، وهذا ارداف ، فان الحقيقة فذو دعاء يملأ السماء فعدل الى لفظ الاردا فوجهها للايجاز ، فان لفظه أوجز من لفظ الحقيقة"<sup>(٤)</sup> .

ويتعرض ابن أبى الأصبع للنواحي الاعرابية فى الآيات مع النواحي البلاغية إذ يحلل مافيها من قسما ت الجمال ويبين طرائق الكلام فيها فى باب الايضاح فى قوله تعالى :

(١) بديع القرآن ٤٦-٤٧ .  
 (٢) المصدر نفسه ٤٦-٤٨ .  
 (٣) سورة فصلت ٥١ .  
 (٤) بديع القرآن ص ٢١٨ .

{وَأَن يقاتِلوكم يولِوكم} الأَدْبَارَ كُـمَ لا يَنْصِرُونَ { (١) } اذ يقول "فان على ظاهر هذه الآية اشكالين : أحدهما من جهة الاعراب ، والآخر من جهة المعنى ، فأما الذى من جهة الاعراب فعطف مالىس بمجزوم على مجزوم ، والذى من جهة المعنى أن صدر الآية يغنى عن فاصلتها لأن توليهم عند المقابلة دليل على الخذلان ، والخذلان والنصر لا يجتمعان ، والجواب أن الله هو سبحانه أخبر المؤمنين بأن عدوهم هذا ان قاتلهم انهزم ، ثم أراد وهو أعلم تكميل العدة باخبارهم أنه مع توليه الآن لا ينصر أبدا فى الاستقبال ، فهو مخذول أبدا ما قاتلهم ، فيشق المؤمنون بنصر الله تعالى على هذا العدو ويتيقنوا أنه متى قاتلهم كان مخذولا فيقدموا على لقائه كلما أرادوا ذلك بثبات قلوب وقوة نفوس ، وطمأنينة وسكينة ، لا يتوقفون فى لقائه ، ولا يخشون مغبة قتاله ، ولو وقع الاقتتار على مادون الفاصلة لم يوف الكلام بهذا المعنى المراد ، لأنه لا يعطى قوله : {وَأَن يقاتِلوكم يولِوكم الأَدْبَارَ} انهم متى قاتلوهم كان الأمر كذلك ، فان قولك ، ان جاء زيد أكرمته ، لا يلزم منه أنه متى جاء على الدوام والاستمرار كان له عليك الاكرام وانما يعطى أنه ان جاءك أكرمته لتلك الجيئة ، ولما علم سبحانه وهو أعلم أن الاقتتار على مادون الفاصلة لا يفهم منه دوام هذه البشارة إلى آخر الأبد والمقصود دوامها قال {ثم لا ينصرون} ومنع الجزم ، وان عطف على مجزوم ليبقى على المعنى الذى وضعت له صيغة المضارع من الدلالة على الحال والاستقبال

فيعلم أنه أراد وهو أعلم أنهم لا ينتمون في الحال ولا في  
الاستقبال ..... وأحسن ما وقع في هذا النظم اختار لفظة "ثم"  
دون سائر حروف العطف لما تدل عليه التراخي والمهلة  
الملائمة لما قصد من الاستقبال ، فاتضح المعنى ، وارتفع  
الاشكال ، فتضمنت هذه اللفظات السبع ستة عشر ضربا من  
البديع وهى "التعليق والمطابقة المعنوية والاحتراس  
والتكميل والتذكيت والمقارنة والايضاح والادماج والترشيح  
والايغال والايجاز ، والافتتان وحسن النسق ، والتهديب ، وحسن  
البيان والمثل السائر ، واعجب ما وقع فيها أن حرفا واحدا  
منها وقع فيه على انفراده من ذلك ثمانية أضرب والحرف لفظة  
"ثم" وقع فيها الاحتراس والتذكيت والمقارنة والايضاح  
والادماج والتكميل . وحسن النسق والترشيح توجد هذه الضروب  
بوجودها وتعدم بعدمها . وبيان ذلك انا لو قدرنا موضعها  
(١)  
الواو سقط ذلك كله " .

ويحلل هذا المعنى القرآنى المبتدع الذى لم يسبق اليه  
ولم يتبع فيه فى باب سلامة الاختراع من الاتباع اذ يقول فى  
قوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا  
ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذَّابَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ  
مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} يقول (٢) "فانظر الى غرابة هذا  
التمثيل الذى تضمن الافراط فى المبالغة مع كونها جارية على  
الحق ، خارجة مخرج الصدق ، وذلك حين اقتصر سبحانه كائنا  
من كان عن خلق مثله من التضامن والاجتماع ، ثم نزل فى

(١) بديع القرآن ص ٢٦١-٢٦٣ .

(٢) سورة الحج ٧٢ .

التمثيل عن رتبة الخلق اذ هما مما يعجز عن مثلهما كل قادر غير الله عز وجل الى استنقاذ النزر التفه الذى يسلبه هذا الخلق الضعيف على ضعفه ، ويعجز كل قادر من المخلوقين عن استنقاذه منه فتزقل فى النزول فى التمثيل على ماتقتضيه البلاغة على الترتيب فى هذا المكان لما علم سبحانه أنه لامبالغة فى تعجيزهم عن الخلق ، والاختراع الذى لايدعيه جبار ولايتعاطاه من المخلوقين أحد ، وان أوتى قدرة وأعطى قوة وكان فيه من تعالى فى الكفر والجهل مايدعى معه الالهية وينتحل الربوبية ، فنزل بهم الى استنقاذ مايسلبه هذا المخلوق الضعيف على ضعفه وقوتهم ليبريهم عجزهم فتستبقنه نفوسهم ، وان لم تقربه ألسنتهم ، فجاء بما يقضى الظاهر أنه أيسر من الخلق وهو فى الحقيقة مثله فى العمر ، فان الظفر بنفس هذا المخلوق أيسر من الظفر بما يسلبه ، فاستنقاذ مايسلبه فى العجز عنه مثل خلقه ، ولم يسمع مثل هذا التمثيل فى بابه لاحد قبل نزول القرآن العزيز ، ولم يتناوله متناول كما فعل فى كثير من معانى الكتاب الكريم ، وهذا مثال يحذو عليه من تتبع مافى الكتاب العزيز من ذلك" (١) ويقول عن قوله تعالى {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} يقول محلا وموضعا مبلغ الاعجاز فيها "فانظروا الى مجئ الليل والنهار فى مدر الكلام وهما ضدان ، ومجئ السكون والحركة فى عجز الكلام وهما ضدان ، ومقابلة كل طرف منه بالطرف الآخر على الترتيب ،

(١) بديع القرآن ص ٢٠٠-٢٠١ .

(٢) القصص : ٧٣ .



وكيف عبر سبحانه عن الحركة بلفظ الازداف "الابتغاء" فاستلزم الكلام ضربا من المحاسن زائدا على المقابلة ، والذي أوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء الفضل كون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة ، وابتغاء الفضل حركة للمصلحة دون المفسدة ، وهى اشتراك الدعاء بالقوة ، وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل ، وسلامة الحس ، ويستلزم اضاءة الطرف الذى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ، ليهتدى ، المتحرك الى بلوغ المأرب ورجوه المصالح ويتقى اسباب المعاطب ، والآية سيقى للاعتداد بالنعم فوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ هو ردفه وتابعه ليتم حسن البيان ، فتضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدة من المنافع والمصالح التى لو عددت بألفاظها الموضوعات لها لاحتاجت فى العبارة عنها الى ألفاظ كثيرة ، فحصل فى الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن . ألا تراه سبحانه جعل العلة فى وجود الليل والنهار حصول منافع الانسان حيث قال "لتسكنوا" ، و"لتبتغوا" بلام التعليل فجمعت هذه الكلمات المقابلة والتعليل ، والاشارة والازداف ، والاثتلاف ، وحسن النسق ، وحسن البيان لمجئ الكلام متلاحما آخذة أعناق بعض بأعناق بعض ثم أخبر بالخبر الصادق أن جميع ماعدده من النعم بلفظه الخاص ، وما تضمنته العبارة من النعم التى هى من لفظى الاشارة والازداف بعض رحمته حيث قال بحرف التبعيض "ومن رحمته" وكل هذا من بعض آية عدتها احدى عشرة لفظة ، فالحظ هذه البلاغة الظاهرة ، والفصاحة المتظاهرة " (١)

ويقف عند قوله تعالى : {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} (١)  
وقفات جمالية رائعة اذ يقول محلا جوائب الابداع فيها "فانه  
سبحانه وطأ بهذا الفصل الى مايتى بعده من سرد قصة يوسف  
- عليه السلام - ، فتخلص تخلصا بارعا وجعل سبب براعة هذا  
التخلص ما جاء به فى التوطئة من التنكيت ، فان النكتة التى  
أشارت الى وصف هذه القصة بنهاية الحسن دون سائر قصص  
الأنبياء المذكورة فى القرآن هى قوله "أحسن القصص" فان  
المخاطب اذا سمع هذا الوصف لهذه القصة تنبه الى تأملها ،  
فيجد كل قضية فيها ختمت بخير وكل ضيق الى سعة ، وكل شدة  
الى رخاء ، فان يوسف - عليه السلام - رمى فى الجب فنجا ،  
وبيع بالثمن البخس ، فنزله الذى اشتراه منزلة الولد ،  
وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه ، فعممه الله ، ودخل  
السجن فخرج منه ملكا ، وظفر اخوته به ، فأظفره الله بهم ،  
وأظهره عليهم ، وسره الله بلقاء أخيه شقيقه فتأنس به ،  
وفارقه أبوه ، ثم اجتمع به وجزع لفراقه ، ثم سر بلقائه ،  
وعمى عن بكائه عليه فرده الله بصيرا ، وجاء به من البدو  
وأجلسه بمصر على سرير الملك . وغضب أعنى أباه ويوسف على  
بقية الأولاد ، ثم رضيا عنهم واستغفرا لهم وأسجد له أبويه  
واخوته تحقيقا لرؤياه من قبل فكانت القصة لذلك جديرة بأن  
توصف بنهاية الحسن دون غيرها من القصص" (٢)  
ويبين المناسبة بين الجمل المركبة ومعانيها فى قوله

(١) يوسف : ٣ .  
(٢) بديع القرآن ص ١٦٩-١٧٠ .

تعالى : {لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ  
 الْخَبِيرُ} (١) فيقول "فإن معنى نفى ادراك البصائر للشئ يناسب  
 اللطف ، وهذا الكلام خرج مخرج التمثيل ، لأن المعهود عند  
 البصر لا يدرك الأجسام اللطيفة كالهواء وسائر العناصر ، ولا  
 الجواهر المفردة ، وإنما يدرك اللون من كل متلون ، والكون  
 من كل متكون ، فجاء هذا التمثيل ليتخيله السامع فيقيس به  
 الغائب على الشاهد وكذلك قوله تعالى : {وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَارَ}  
 فإن ذلك يناسبه وصف المدرك بالخبرة ، فإنه سبحانه لما  
 أثبت له ادراك البصائر : أى الباب البصائر التى نفى عنها  
 ادراكه تكميلا للتمدح حسب ما اقتضته البلاغة من تمحيص معنى  
 التمدح ، واحتراسا ممن يظن أنه إذا لم يكن مدركا لم يكن  
 موجودا ، فوجب أن نقول "وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَارَ" لتثبت لذاته  
 الوجود وزيادة ثم عطف على الأول والثانى "وهو اللطيف  
 الخبير" ليناسب معنى آخر الكلام أوله ، وعجزه صدره ورجح  
 لفظة الخبير على لفظة البصائر لما فيها من الزيادة على  
 البصائر والادراك إذ مأكلا من أبصر شيئا ، أو أدركه كان  
 خبيرا به فتضمنت على ذلك الفاصلة معنى زائدا على معنى  
 الكلام وضعت لأجله بالايغال ، وهو ايغال متمم لمعنى التمدح ،  
 فحصل فى هذه الآية على ذلك اثنا عشر ضربا من البديع وهى :  
 التعطف الذى هو قوله : {لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَارُ} وهو يدرك البصائر  
 لمجئ لفظة "البصائر" فى أول الكلام وآخره ، والمقارنة  
 لاقتراحه بالمطابقة فى قوله : {لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَارُ} وهو يدرك

{الابصار} والادماج لما أدمج فى التعطف من الاحتراس ،  
والمناسبة التى هى أم الباب ، والترشيح بالمناسبة الى  
الايفال ، والايفال ... والاشارة لدلالة اللفظ القليل على  
المعانى الكثيرة ، والمجاز لحذف المضاف من قوله ، {وهو  
يدرك الابصار أى ذوى الابصار لتقرب الفاظ التعطف بعضها من  
بعض ، فيكون ذلك أحسن وأبين ، والتخيير للعدول فى الغمالة  
عن البصير ، والمدرک الى الخبير ، والايجاز ، فان هذه الآلية  
(١)  
تسع لفظات تضمنت اثنى عشر ضربا من البلاغة " .

وقد أشار "الطيبى" فى تفسيره الى قوله تعالى :  
{لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار} اشارة قريبة من معنى  
ابن أبى الاصبع فيقول "ذكر ادراكه "الابصار" والتلويح الى  
المحافظة التامة لئلا يسترق الرأى النظر الى الخالق وفى  
ذكر اللطيف الخبير "الرمز الى المراقبة الكاملة لجنابات  
الصدور ، وخفيات الهواجر ليكون المرید واقفا على مواقف  
(٢)  
الاخبات والخضوع آخذا أهبة الحذر عن الشرك الخفى" .

وابن أبى الاصبع حين يتطرق للشواهد محللا جوانب الجمال  
فيها نراه يعقد موازنة بينها وبين الأمثلة الشعرية موضحا  
الفرق بين قافية البيت وفاملة الآلية التى يعدها وجها من  
وجوه اعجازه ، ولن تنتج الموازنة غير علو القرآن بلاغة  
وسموه اعجازا . ويعقد ابن أبى الاصبع هذه الموازنات  
الأدبية بين القرآن والشعر والنثر كاشفا بذلك عن وجه من  
وجوه الاعجاز . فمثلا فى باب "التذييل" يقول " ... وعظم

(١) البديع ص ١٤٦-١٤٧ .

(٢) كتاب الغيب فى الكشف عن قناع الريب للطيبى ص ١٩٥ .

الناس قدر قول المتنبي البسيط :

تَمْسِي الْأَمَانِي صِرْعِي دُونَ مَبْلَغِ

فَمَا يَقُولُ لَشَيْءٍ لَيْتَ ذَلِكَ لِي

ولم يزل سيف الدولة ولها بهذا البيت معظما له ، مثنيا عليه مقرا له بأنه لا يلحق سبقا ولا يأتي أحد في بابه من المبالغة ، بمثل ما أتى به ، حتى قال ابن نباتة السعدي فيه "البسيط" .

لَمْ يَبْقَ جُودَكَ لِي شَيْئًا أَوْ مَلَهُ

تَرَكْتَنِي أَصْحَبَ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ

وقد استوفيت الكلام على هذين البيتين والتفصيل بينهما في كتاب "تحرير التحبير" وانما ذكرتهما هاهنا على خلاف شرط هذا الكتاب ، لينظر الناظر فيه بين ما وقع من المبالغة ، وبين قوله تعالى من باب التذييل "وله كل شيء" لما تستغرق لفظه "كل" من جميع الأشياء التي يقع ، وأحدهما على البسيط والمركب والقديم والمحدث والخالق والمخلوق ، وإن كان وقوعها على كل موجود سوى الله تعالى ، وكل معدوم ممكن (١) الوجود" .

ويعقد موازنة بين قول البحري في وصف الابل التي براها السير .

كالقسي المعطفات بل الاسهم ، مبريه بل الاوتار .

"فإن هذا البيت جمع التشبيه ، والتتميم في موضعين ، وحسن النسق والتهذيب ، والايفال ، وذلك أنه شبه هذه

الركائب بالقسى، وهو من التشبيه البليغ الذى ماوراءه مطمع ولم يقف عند ذلك حتى تتم معنى الوصف ليقع التشبيه من أكثر الوجوه التى يقرب بها المشبه من المشبه به فقال "المعظفات" لما فى خلق الابل من الحدب الانحناء ، فكان التشبيه بذلك أوقع والمعنى فى الوصف أتم ، ثم انتقل على مقتضى طريق البلاغة من الأدنى الى الأعلى .

فنسبها بعد التشبيه بالقسى الى الاسهم ، لأنها أنحف من القسى ، ثم تتم معنى الوصف ليقع التشبيه الثانى موقع الاول فى القرب فقال "مبرية" ثم انتقل من الاسهم مبرية الى "الأوتار" التى هى أنحف من الاسهم ، وكل ذلك على الترتيب المرضي الذى استحق الكلام بسببه وصفه بالتهذيب ، ونسق جمل البيت بعضها على بعض بلفظة "بل" التى هى للاضراب ليشير الى أنه غلط أولا فى تشبيهها بالقسى ، اذ كانت أنحف منها ، فشبهها بالاسهم ، ثم تبين أنه غلط أيضا فانتقل الى تشبيهها بالأوتار" ولذلك أضرب عن كل تشبيه كان آخذا فيه وأخذ فى غيره ، وجعل الأوتار قافية لشدة مشابهتها بتلك الركائب ، اذا كانت لم تبق الا أعصابا جافة فكانت أشبه الأشياء بها وأقرب اليها من كل ما تقدم من الكلام ، ولم يخرج عن اللفاظ الملائم بعضها لبعض ، ليأتى الكلام موصوفا بالائتلاف ، اذ الاسهم من أنسب الأشياء للقسى والأوتار أنسب وأقرب اليها ، وهذا أفضل بيت وقع فيه الاستقصاء لمولد .....

واذا نظرت بين بيت البحرى وبين قوله تعالى :

{أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ} (١).

علمت مقدار مافى نظم القرآن من البلاغة وتبينت أن الإعجاز فيه بالفصاحة وذلك أنه سبحانه بعد قوله "جنة" التى اقتصر على ذكرها لكان كافيا ، فلم يقف عند ذلك حتى قال فى تفسيرها "من نخيل وأعناب" إذ لفظة الجنة تطلق على أى شجر كان سائر بظل ورقة الأرض ، فإذا قال من نخيل وأعناب كان مصاب ربها بها أعظم ، ثم لم يقف عند ذلك حتى قال سبحانه "تجرى من تحتها الأنهار" متما لوصفها بذلك ، ثم كمل وصفها بعد التتميم بأن قال عز وجل "له فيها من كل ثمرات" وذلك لما علم سبحانه وهو أعلم أن الاقتصار على وصفها بالنخيل والأعناب لا يكون به وصفها كاملا فأتى بكل من الجنان ليشدد الأسف على افسادها ثم قال فى وصف صاحب الجنة "وأصابه الكبر" ثم استقصى المعنى فى ذلك بما يوجب تنظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر "وله ذرية" ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعف ، ثم ذكر استئصال تلك الجنة التى ليس لهذا الذى أصابه الكبر ، وليس لذريته الضعفاء غيرها بالهلاك فى أسرع وقت حيث قال "فأصابها إعصار" ولم يقتصر على ذكر الإعصار للعلم بأنه لا تحمّل به سرعة الهلاك فقال "فيه نار" ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر سبحانه وتعالى باحتراقها لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لاتفى باحتراقها لما فيها من

الأنهار ورطوبة الأشجار ، فاحترس من هذا الاحتمال بقوله  
(١) "فاحترقت" وهذا أحسن استقراء وقع فى كلام واتمه وأكمله " .

ويعقد موازنة أيضا بين قوله تعالى : {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ  
بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} (٢) وبين  
بيت من الشعر وحديث للرسول صلى الله عليه وسلم وقول لعل  
ابن أبى طالب وهذا نص الموازنة :

".... وأما الآية الثانية فاستوفت أقسام الزمان فى  
قوله تعالى : {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ  
قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} . فان ايمان هؤلاء المؤمنين بما  
أنزل الى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ايمان فى الحال ،  
وبما أنزل من قبله فى الماضى وايمانهم بالآخرة ايمان فى  
الاستقبال ثم زاد ايمانهم بالآخرة وصفا اذ أخبر أنه ايمان  
متيقن ، ليدل بذلك على قوة تصديقهم للنبي صلى الله عليه  
وسلم ووشوقهم بأن ما أخبر بوقوعه سيقع يقينا لاشك فيه ولا  
شبهة ، فحصل فى هذه الآية مع نهاية المدح صحة الأقسام فى  
اللفظ ، والمبالغة فى معنى المدح ، والإيغال فى الفاصلة اذ  
زاد بها المعنى ما حملت الا بها واذا نظرت بين معنى هذه  
الآية التى عدتها اثنتا عشرة لفظة وبين قول زهير ، وهو  
أجمل بيت جاءت فيه صحة التقسيم وأبلغه .

وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله

ولكننى عن علم ما فى غدٍ عم

علمت ما بين البلاغتين وذلك أن عدة البيت ثلاث عشرة

(١) بديع القرآن ص ٢٤٩-٢٥٠ .

(٢) البقرة : ٤-٣ .



لفظة وفيه من زيادة اللفظ التي لم يؤت بها الا لأجل الوزن والقافية لفظتان فان ملخص معنى عجز البيت كله أن يقول : ولا أعلم مافى الغد فاضطره الوزن والقافية الى أن قال ما قال . والحظ كم بين قافية البيت وقاملة الآية وما تضمنته الآية من مدح المؤمنين فى الأزمنة الثلاثة ، ومافى اجماع ذلك المدح من الإشارة الى الايمان بجميع كتب الله التي أنزلها ، وجميع رسله التي أرسلها ، وبما سيكون من أمر البعث ، وما نطقت به الكتب من جميع مافيه من الحساب والمساءلة والصراط والميزان والجنة والنار ، وجميع أصناف الثواب والعقاب ، وتفصيل هذه الجملة التي لو عددت معانيها بالفاظها الموضوعة لها لملأت الأكوان ، وكانت كما أخبر عنها الرحمن بقوله : {وَلَوْ أَنَّ مَافِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ} فسبحان المتكلم بهذا الكلام وأين يقع البيت من الآية ، فان بينهما من البعد ما بين المتكلم بحما بل أين هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، "ليس لك من مالك الا ما اكلت فأقنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأَمْضيت" بل أين البيت من قول على عليه السلام ، من الكلام الذى قال فيه أبو عبيدة فى كتاب الأمثال : ارتجل الامام على عليه السلام . تسع كلمات قطع الاطماع عن اللهاق بواحدة منهن : ثلاث فى المناجاة وهى قوله كفانى عزا أن تكون لى ربا وكفانى فخرا أن أكون لك عبدا ، أنت لى كما أحب فوفقنى لما تحب ، وأما التي فى العلم

(١) لقمان : ٢٧ .  
 (٢) رواه البخارى فى كتاب الاستسقاء باب دعاء النبى اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف رقم ٢ حديث ٩٦١ .

فقلوبه : المرء محبوبه تحت لسانه ، تكلموا تعرفوا ماضع  
 امرؤ عرف قدره ، وأما التى فى الأدب فقلوبه "أنعم على من  
 شئت تكن أميره ، واستغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من  
 شئت تكن أسيره ، وهذه الكلمات أردت إيرادها ، فانها  
 (١)  
 الداخلة فى هذا المعنى" .

ويتضح لنا مما تقدم أن ابن أبى الاصبع قد اعتمد على  
 مقاييس فى تحليلاته أو موازناته التى من خلالها نظر الى  
 وجوه الإعجاز القرآنى ، ولعل هذه المقاييس التى استخدمها  
 ابن أبى الاصبع هى خير دليل يوضح مدى أصالة الاتجاه الذى  
 طرقه ابن أبى الاصبع وهو الاتجاه الأدبى وقد جعل أساليب  
 البديع فى كتابه هى المقياس الرئيسى لتحليلاته وموازناته .  
 وابن أبى الاصبع لا يكتفى بتحليل الشواهد فى الآية  
 للابواب الواردة فيها وإنما يعدد الأنواع البديعية جميعها  
 فى الآية ، انظر اليه وهو يحلل قوله تعالى : {وَقِيلَ يَا أَرْضُ  
 ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ  
 عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلظَّالِمِينَ} (٢) إذ يقول وما  
 رأيت ولا رويت فى الكلام المنثور الموزون كآية من كتاب الله  
 تعالى "استخرجت منها أحدا وعشرين ضربا من البديع وعددها  
 سبع عشرة لفظة وهى قوله تعالى "وقيل يا أرض" وتتميل ماجاء  
 فيها من البديع : المناسبة التامة فى أبلعى وأقلعى للأرض  
 والسماء ، والمجاز فى قوله "ياسماء" فإن الحقيقة : ويامطر

(١) بديع القرآن ٧٠-٧٢ .

(٢) هود : ٤٤ .

(٣) بديع القرآن ص ٣٤٠ .

السماء أقلعى ، والإشارة فى قوله "وغيض الماء" فانه سبحانه وتعالى عبر بها بين اللفظين من معان كثيرة ، لأن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج من عيون الماء فينقص الحامل على وجه الأرض من الماء ، والارداف فى قوله تعالى "واستوت على الجودى" فانه عبر عن استقرار السفينة على هذا المكان وجلوها جلوسا متمكنا لازيغ فيه ولا ميل لطمانينة أهل السفينة بلفظ قريب من لفظ الحقيقة ، والتمثيل فى قوله تعالى "وقضى الأمر" فانه عبر بذلك عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ فيه بعدما من لفظ الحقيقة بالنسبة الى لفظ الارداف ، والتعليل لأن غيض الماء علة الاستواء وصحة التقسيم حين استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه إذ ليس إلا احتباس ماء السماء واحتقان الماء الذى ينبع من الأرض ، وغيض الماء الحامل على ظهر الأرض ، والاحتباس فى قوله تعالى "وقيل بعدا للقوم الظالمين" محترسا من توهم من يتوهم أن الهلاك ربما عم من لا يستحق الهلاك ، فجاء سبحانه بالدعاء على الهالكين ليعلم أنهم مستحقو الهلاك ، فان عدله منع أن يدعو على غير مستحق للدعاء عليه ، والانفصال فان لقائل أن يقول ! ان لفظة القوم مستغنى عنها فانه لو قيل "وقيل بعدا للظالمين" لتم الكلام ، والانفصال عن ذلك أن يقال : لما سبق فى صدر الكلام قبل الآية قوله تعالى {وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه} وقال سبحانه قبل ذلك مخاطبا نوحا عليه السلام : {ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مغرقون} فاقتضت البلاغة أن يؤتى بلفظة القوم التى آلة التعريف فيها للعهد ، ليتبين

أنهم القوم الذين تقدم ذكرهم فى قوله تعالى {وكلما مر عليه ملا من قومه} ووصفهم بالظلم وأخبر بسابق علمه أنهم هالكون بقوله {ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون} فحمل الانفعال عن الاشكال وعلم أن لفظة القوم ليست فضلة فى الكلام والمساواة لأن لفظ الآية لايزيد على معناه ولا ينقص عنه وحسن النسق فى عطف القضايا بعضها على بعض بأحسن ترتيب حسبما وقفت أولا فانه سبحانه أمر الأرض بالابتلاع ، ثم عطف على ذلك أمر السماء بالاقلاع ثم عطف غيض الماء على ذلك ، ثم عطف على ذلك قضاء الأمر بهلاك الهالكين ونجاة الناجين ، ثم عطف على ذلك استواء السفينة على الجودى ثم عطف على ذلك الدعاء على الهالكين ، فجاء عطف هذه الجمل على ترتيب وقوعها فى الوجود واثتلاف اللفظ مع المعنى لكون كل لفظة لايملىح فى موضعها غيرها والايجاز لأنه سبحانه اقتصر القمة بلفظها مستوعبة بحيث لم يخل منها بشئ فى أخمر عبارة بألفاظ غير مطولة ، والتسهيم لأن من أول الآية الى قوله تعالى "أقلعنى" يقتضى آخرها والتهذيب لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن ، كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة ، والتركيب سليم من التعقيد وأسبابه ، وحسن البيان من جهة أن السامع لايتوقف فى فهم معنى الكلام ويشكل عليه شئ منه ، والتمكين لأن الفاصلة مستقرة فى قرارها ، مطمئنة فى مكانها غير قاتمة ولا مستدعاة والانسجام وهو تحدر الكلام بسهولة وعذوبة سبك مع جزالة اللفظ كما ينسجم الماء القليل فى الهواء . وما فى مجموع ألفاظ الآية من الابداع ، وهو الذى سمي به هذا الباب

اذ فى كل لفظة بديع وبديعان ، لانهما كما تقدم سبع عشرة لفظة تضمنت واحدا وعشرين ضربا من البلاغة سوى مايتعدد من ضروبها ، فان الاستعارة وقعت فيها فى موضعين : وهما استعارة الابتلاع والاقلاع ، فانظر : رحمك الله الى عظمة هذا الكلام وما انطوى عليه نظمه وما تضمنه لفظه لتقديره حق قدره (١) وتبدو سمة الوضوح عند ابن أبى الاصبع جلية فهو حريص على ألا يترك بابا من أبواب الكتاب ورد فى أمثله غموض أو ابهام الا وضحه وبيّنه فما هو يزيل الاشكال البيانى الذى قد يتوجه على التكرار والتداخل فى الآية : {لَا يَعْمُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٢) يقول :

"فانه عز وجل سلب عن هؤلاء الموصوفين العصيان ، وأوجب لهم الطاعة ، فان قيل : على ظاهر الآية اشكال من جهة التداخل والتكرار فان معنى عجزها داخل فى معنى صدرها ، فهو مكرر وان اختلف لفظه وهذا عيب يتحاشى عنه نظم القرآن العزيز ، فان من لا يعصى مطيع ، أجاب الامام فخر الدين بن الخطيب عن ذلك بأن قال : "لا يعصون الله" فى الحال "ويفعلون ما يؤمرون فى المستقبل" .

وكنت قد أجبت عن الاشكال بجواب قبل أن أسمع جواب الامام فخر الدين ، فقلت : الوصف بالطاعة والعصيان على ثلاثة أقسام : نقول زيد لا يعصى ويطيع ، ونقيضه لا يطيع ويعصى ، والواسطة لا يعصى ولا يطيع ، والاول وصف أعلى والثانى وصف أدنى والثالث وصف متوسط والحق سبحانه أراده - وهو أعلم - أن

(١) بديع القرآن ص ٣٤١-٣٤٣ .

(٢) التحريم : ٦ .

يصف الملائكة بالوصف الأعلى فلو اقتصر عز وجل على قوله :  
 "لايعصون" احتمل أن يوصل بقولك ، ولايطيعون ، فلا يوفى ذلك  
 بالمعنى المراد فان وصفهم بأعلى الأوصاف ، يوجب أن يقول :  
 (١)  
 ويفعلون فتكمل الوصف" .

واذا كان طريق البلاغة الانتقال من الأدنى الى الأعلى  
 على الترتيب فان ظاهر نظم الآية : {عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} (٢)  
 يوجب اشكالا بيانيا فالغيب لدى الحس أعلى منزلة مما يراه  
 بحواسه ، فيرفع غموض الأشكال ابن أبى الاصبع بقوله : (فان  
 قيل فقد جاء فى الكتاب العزيز مواضع غير هذا الترتيب فما  
 العذر عنهما كقوله تعالى : {عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} فان  
 التمدح بعلم الغيب أبلغ من التمدح بعلم الشهادة وقد حمل  
 الانتقال من الأبلغ الى ما هو دونه . قلت : علم الشهادة فى  
 حق الله سبحانه أبلغ فأننا لانعقل أن علم الشهادة يعلم الا  
 بواسطة الحواس ومتى فقدنا الحواس فقد علم الشهادة .  
 وعلم الغيب لايفتقر فى تحصيله الى الحواس ، وقد ثبت  
 بالبرهان القاطع تنزيه الحق سبحانه عن الحواس وثبت أنه  
 يعلم علم الشهادة وحصول علم لايعلمه الا من له حواس لمن لم  
 تكن له حواس أبلغ وأعجب من حصول علم لايفتقر من حصوله الى  
 الحواس ، فثبت أن علم الشهادة هاهنا أبلغ" . (٣)

وقوله تعالى : {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ  
 فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا  
 تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً} (٤)

(١) بديع القرآن ص ١١٦-١١٧ .

(٢) الرعد : ٩ .

(٣) بديع القرآن ص ١٥٩ .

(٤) النساء : ٣ .

يبين مافيها من غموض واشكالات فيحلها ابن أبى الاصبع  
واحدة فواحدة قاصدا الايضاح فيقول : (١) فان ظاهر الآية يتوجه  
عليه اشكالات منها لم عدل عن العدد الصحيح الى المعدول ؟  
فقال سبحانه "مثنى وثلاث ورباع" ولم يقل اثنتين وثلاث وأربع  
ولم عطفت جملها بالواو المقتضية للجمع حتى التبس الامر  
فيها ؟ فجاء ظاهرها يدل على اباحة الجمع بين تسع نسوة ،  
ولم نزل عن الأربع لمن يخاف ألا يعدل بين النساء الى  
الواحدة ؟ ومن لا يعدل في الأربع يجوز أن يعدل في الثلاث ،  
ومن لم يعدل في الثلاث يجوز أن يعدل في اثنتين ، ولم لم  
يأت لفظ الواحدة معدولا ليناسب ما قبله من العدد المعدول ؟  
والجواب عن الأول أن ذلك لايجاز ، لأن قول العرب : مثنى  
وثلاث ورباع يسد مسد اثنتين ، اثنتين وثلاث ثلاث ، وأربع  
أربع ، مع التكرار ، ومثنى وثلاث ، ورباع أخمر من الأول لأن  
المراد من الآية تعريف ما أبيح للنكاح من الجمع بين حرائر  
النساء ، تعدل عن الصحيح الى المعدول توخيا للايجاز ، وأما  
الجواب عن عطف الجمل بالواو دون "أو" فلأن الخطاب لكافة  
المسلمين لا للواحد منهم ، فوجب العدول عن "أو" في العطف  
الى "الواو" المقتضية للجمع ، لأن الخطاب للجمع ليميب كل  
مكلف ما أبيح له من الجمع ، ولو عطف "بأو" لاختص الحكم  
بالمفرد الواحد من المكلفين ، وأما الجواب عن النزول من  
الأربع الى الواحدة ، ولم ينزل على الترتيب الى الثلاث ، ثم  
من الثلاث الى اثنتين فلنقصد بناء الكلام على الاختصار ، فان

---

(١) بديع القرآن ١٧٤-١٧٥ .

النزول على الترتيب يفضى الى اطالة فى الكلام له مندوحة عنها ، فلاجل ذلك قدر أنه قال : فان خفتم ألا تعدلوا فى اثنتين فواحدة ، وألغى الوسائط ، لدلالة ما ذكره على ما لغاه فأتى النظم على السنن المحموده من البلاغة ، فان من خاف ألا يعدل فى اثنتين كان من ألا يعدل فى الثلاث أخرى ، فضلا عن الأربع .

وأما قول السائل لم لم يأت لفظ الواحدة معدولا ، لأن العرب إنما جعلت العدول للأعداد ، والواحدة والواحد كل منهما أول للعدد وليس من المعدود ، ولأن العدول فى هذه الأعداد إنما جاءت للاختصار ليقوم مقام العدد المكرر ، وهذا العدد مأمون فى الواحدة ، فلاجل ذلك جاء لفظها على أصل وضع (١) غير معدول " .

وقد يمر باب بديعى يشتبه بباب آخر فيوضح الفرق ابن أبى الاصبع بينهما ، وبين مواطن الالتباس ، وفى باب التميز نراه يبين الفروق بين الابواب البديعية : التميز والتكميل والافتنان والتعليق ، والادماج فيقول : "والفرق بينهما أن التميز لا يكون الا بالفنون ومعانى البديع والمعانى فيه ظاهرة ، وان كان فى الكلام فنان فلا بد أن يظهر أحدهما ويخفى الآخر بخلاف التكميل ، فان التكميل بالفنون ومعانى النفس ، لامعانى البديع ، ولا بد أن يكون الفنان فيه اما ظاهرين معا أو مخفيين معا وهما فى التميز يظهر أحدهما ويخفى الآخر . والفرق بين التميز والافتنان : أن الافتنان مثل

(١) بديع القرآن ١٧٤-١٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ٢٤٦-٢٤٧ .



التكميل فى كونهما لا يكون الا بالفنون دون المعانى ، لأن التكميل يكون فيه الفنان ظاهرين أو مخفيين أبدا ، وهما فى الافتنان يجوز ظهورهما وخفاء أحدهما .

والفرق بين التميزج والتعليق : أن الفنان يكونان ظاهرين معا وأحدهما متعلق بالآخر يلزم من ثبوته ، ومن عدمه بخلاف التميزج فى الاتيان بالمعانى والفنون فيه ، ويكون أحد الفنانين ممتزجا بالآخر متحددا به .

والفرق بين التميزج والادماج : أن الادماج لا يكون الا بالمعانى البديعية دون الفنون .<sup>(١)</sup>

وقد قايس المقابلة بالمطابقة فيوضح الفرق بينهما ابن أبى الاصبع ".... فالفرق بين الطباق والمقابلة اذا من وجهين : أحدهما أن الطباق لا يكون الا بالجمع بين فدين فردين فقط ، والمقابلة لا تكون الا بما زاد على الفدين من الأربعة الى العشرة .

والوجه الثانى : أن المقابلة تكون بالاضداد وبغير الاضداد " .<sup>(٢)</sup>

وقد يقترب لوان من البديع فيبين ابن أبى الاصبع ما بينهما من فروق دقيقة ، فالاستعارة قد تلتبس بالتشبيه المحض "البليغ" فيوضح ما بينهما من فروق فيقول "ولما كانت الاستعارة تفيد المبالغة فى التشبيه التبتست بالتشبيه المحض فى بعض المواضع فاحتاجت الى الفرق ، وهو أن تعلم أن من حق الاستعارة أن يطوى معها ذكر المستعار "ألبة فلا يعرف

(١) بديع القرآن ٢٤٦-٢٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣١-٣٢ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٦-٢٧ .

الا بدلالة الحال عليه أو فحوى الكلام كقول زهير :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مَقْدَفٌ  
لَهُ لِبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ

ومن ثم يتناسى البليغ التشبيه عند أخذه فى الاستعارة

ويضرب عنه صفحا كقول أبى تمام :

وَيَمْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الْجَهْلُ  
بِأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ

ومن هاهنا اختلف العلماء فى قوله تعالى : {مَثَلُهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظِلْمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ} (١) . فذهب المحققون من علماء

البيان الى أن هذا تشبيه بليغ لا استعارة ، لكون المستعار

له مذكورا ، وهم المنافقون ، وقال من سماه استعارة :

قد طوى ذكر المنافقين فى الجملة بحذف المبتدأ ونظيره

قول الفرزدق للحجاج :

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نِعَامَةٌ

فَتَخَاءَ تَنْفَرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ

وهذا ليس بشئ ، فان الكلام فى الآية الكريمة قد صدر

بأداة التشبيه ، والضمير المضاف اليه فى مثلهم عائد الى

(٢)

المنافقين .

ويوضح الفرق فى باب التمام بينه وبين التكميل وهو

فرق دقيق حيث لم يفتن له أكثر المؤلفين ولم يفرقوا بينهما

فيقول فى باب التمام "..... وتعريفه أن تأتى فى الكلام

(١) البقرة : ١٧ .

(٢) بديع القرآن ص ٢٧ .

كلمة اذا طرحت من الكلام نقص معناه فى ذاته ، أو فى صفاته ولفظه تام وان كان فى الموزون نقص وزنه مع نقص معناه فيكون الاتيان بها لتتميم الوزن والمعنى معا ، فان تمت الوزن فقط فتلك من الحشو المعيب ولا يخلو اما أن يرد على معنى تام فى ذاته أو فى صفاته أولا ، فان كان الأول فهو التكميل ، وان كان الثانى فهو التتميم وقد غلط أكثر المؤلفين فى هذا الموضع ولم يفرقوا بين التتميم والتكميل .<sup>(١)</sup> ويشير فى موضع آخر الى الفرق بين التكميل والتذييل فيقول ".... والفرق بينه وبين التكميل ، أن التكميل يرد على المعنى المفتقر بعد التمام الى التكميل ولا كذلك التذييل : ثم التكميل مختص بمعانى البديع والفنون والتذييل لا يختص بشئ من الكلام دون شئ ، فالتذييل أعم .<sup>(٢)</sup>

وهكذا لن يمر باب بديعى يقترب من باب آخر أو يلتبس به الا وضح ابن أبى الاصبع الفرق بينهما مؤيدا ذلك بالشواهد النثرية والشعرية وسمه الذوق هى السمة التى استخدمها فى تحليلاته مبينا مواطن الجمال والأسرار والدقائق التى انطوت عليها الأمثلة والتى بينها من خلال تحليلاته التى لا تبتغى بها بدلا ولا تجد عنها حولا .

تلك هى أهم المواضع التى اختلف فيها ابن أبى الاصبع عن السكاكى الذى اعتمد على التععيد ، والتقسيم .

(١) نفس المرجع ص ٤٦ .  
 (٢) بديع القرآن ص ١٥٥-١٥٦ .  
 (٣) انظر مثلا ص ٣٧ ، ٤٦ ، ٨٢ ، ٩٧ ، ١٧٢ ، ... الخ .

### حول اضافات ابن أبى الاصبع

لقد اضطربت آراء الباحثين حول جديد ابن أبى الاصبع ، بل لقد وجد الاختلاف حول مخترعاته لدى باحث واحد .  
 (١) ففى كتاب حقه رأى أن مبتكراته تسعة عشر نوعا سليمة  
 (٢) من التداخل والتوارد ، وفى كتاب آخر من تأليفه ادعى أن  
 الانواع التى سلمت له أربعة عشر نوعا ، وهذا الاختلاف نراه  
 - حين جعل - التشكيك والاستقماء والقرائن ضمن الانواع التى  
 سلمت له فى الكتاب الذى حقه فى حين نجده فى كتابه الآخر  
 يحذف الانواع السابقة ويجعلها ضمن الانواع المسبوق اليها من  
 السابقين وليست من جديده . وهو كما ترى اضطراب واضح وجلى  
 وقال باحث آخر أن الانواع التى سلمت لابن أبى الاصبع  
 (٣) ثلاثة عشر نوعا سليمة من التداخل والتوارد . وهى : التميزج  
 الاستقماء الهجاء فى معرض المدح - التشكيك - الاسجال بعد  
 المغالطة - النزاهة - التسليم - المراجعة - القول بالموجب  
 - حصر الجزئى والحاقه بالكلى - المناقضة - الفرائد -  
 المقارنة - .

ولما رأيت هذه الاختلافات من قبل الباحثين ، رأيت من  
 المفيد أن أعرض للآلوان التى ابتكرها ابن أبى الاصبع جميعها

---

(١) هى على النحو التالى فى بديع القرآن : التميزج ص ٢٤٦  
 العنوان ص ٢٥٧ ، الايضاح ص ٢٥٩ ، التشكيك ص ٢٧٩ ،  
 الحيدة ص ٢٨٠ ، الشماعة ص ٢٨٢ ، الاسجال ص ٢٨٦ ،  
 الفرائد ص ٢٨٧ ، الاقتدار ص ٢٨٩ ، التسليم ص ٢٩٥ ،  
 الافتتان ص ٢٩٥ ، اثبات الشئ ص ٣٠٣ ، التفريق ص ٣١٣ ،  
 القول بالموجب ص ٢١٤ ، حصر الجزئى ص ٢١٥ ، المقارنة  
 ص ٣١٨ ، الانفصال ص ٣٢٦ ، الابداع ص ٣٤٠ .  
 (٢) ابن أبى الاصبع بين رجال البلاغة ص ٣٠٧-٣٢٦ .  
 (٣) الصبغ البديعى لاحمد موسى ص ٣٠٠ .

متحريا فى ذلك الدقة والتمحيص حتى يتسنى لنا أن نعرف ماأضافه من فنون بديعية جديدة دون أن يكون فى تلك الفنون منازعة ما .

#### (١) التخيير :

وعرفه بقوله "هو أن يأتى الشاعر أو الناشر بفصل الكلام ، أو بيت من الشعر يسوغ أن يقفى بقواف شتى ، فيتخير منها قافية مرجحة غلى سائرها بالدليل يدل اختباره لها على حذقة ، كقول الشاعر :

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن

فكيف حال غريب ماله قوت

فانه يسوغ أن يقول ، ماله حال ، ماله نشب ، الى غير ذلك ولكن قوله : "ماله قوت" وجدتها أبلغ من الجميع وأدل على الفاقة وأمن بذكر الحاجة ، وأبين للضرورة وأشجى للقلوب ، وأدعى للاستعطاف ، فلذلك رجحت على كل ماذكرناه وهذا النوع الأول من ضربى التخيير لو قارنا بينه وبين ماذكره ابن أبى الاصبغ فى باب ائتلاف الغاصلة مع مايدل عليه سائر الكلام "والذى ذكر فيه "وهو من مخترعات قدامة وسماه من بعده التمكنين ، وهو أن يمهّد الناشر لسجعه فقرته والشاعر لقافية بيته ، تمهيدا تأتى به القافية متمكنة فى مكانها مستقرة على قرارها ، مطمئنة فى موضعها غير نائرة ولا قلقة ، متعلقا معناها بمعنى البيت كله تعلقا

تماما ، بحيث لو طرحت من البيت لاختل معناه واضطرب مفهومه ، ولا يكون تمكناها . بحيث يتقدم لفظها بعينه فى أول صدر البيت (١) .... لاحظنا معناه نفس مضمونه الضرب الأول من ضربى التخيير فهو يعنى أن تكون السجعة أو الفاصلة أو القافية فى الشعر دالة على مهارة صاحبها وأنه على بصيرة بالكلام . فهو من الأنواع المتداخلة على ابن أبى الاصبع ولم يسلم له . كما رآه صاحب الصبغ البديعى .

(٢)

أما النوع الآخر من ضرب التخيير "وهو أن يؤتى بقطعة من الكلام ، أو بيت من الشعر جملة ، وقد عطف بعضها على بعض بأداة التخيير كقوله تعالى : {فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} هذا النوع من التخيير نجده فى عبارة قدامة فى نقد النثر إذ يقول : "وأما التخيير فكألاقامة مثنى مثنى أو فرادى فرادى وكتخيير الله عز وجل فى كفارة اليمين فى الطعام أو الكسوة أو تحرير رقبة (٤) .

فالباب ليس لابن أبى الاصبع فيه فضل . بل هو مسبوق اليه كما ترى .

(١) المصدر نفسه ص ٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣٦ .

(٣) المائدة : ٨٩ .

(٤) نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر وهو لعبد الله أيوب ص ١٤٧-١٢٨ .

(٢) التنظير :

ويعرفه بقوله "أن ينظر الانسان بين كلامين اما متفقى  
المعانى أو مختلفى المعانى ليظهر الافضل منهما . مثال الاول  
قول يزيد بن الحكم الثقفى :

يابدرُ والأمثالُ يفـ  
ريها لذي اللب الحكيمُ  
دم للخليل بـوده  
ماخيرُ ود لايدوم  
واعرف لجارك حقه  
والحق يعرفه الكريمُ  
واعلم بأن الضيف يو  
ما سوف يحمد أو يلوم

فنظر بين هذه الومايا وبين قوله تعالى : {وَبِذَى  
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجَنْبِ  
وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} (٢) "وما جمعت  
هذه الآية من الومايا وماحصل فى نظمها من صفة التقسيم  
لاستيفائها جميع أقسام من تجب الوصية به والاحسان اليه"  
(٣)  
ومعنى ذلك أنه يعقد موازنة أدبية بين قرآن وشعر والمقارنة  
بهذا المعنى تتداخل مع الباب الذى ذكره ابن أبى الاصبع من

(١) بديع القرآن ٢٣٨ .

(٢) النساء : ٣٦ .

(٣) بديع القرآن ص ٢٣٩ .

ملاحظة : هذا النوع أعنى التنظير لم يرد ضمن مبتكرات  
ابن أبى الاصبع فى كتابه تحرير التحبير وإنما انفرد  
بذكره فى بديع القرآن .

أبواب البلاغيين التى جعلها فروعا . ونعنى به باب الموازنة " اذ يقول فى تعريفها "هى مقارنة المعانى بالمعانى ليعرف الراجح فى النظم من المرجوح كقول السموءل :  
وَنَنْكِرُ إِن شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ

وَلَا يَنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

فانك اذا وازنته بقول الله سبحانه وتعالى : {لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} تبين لك مابين الكلامين من الفرق ، وأمثال هذا الكلام كثير ، وهذا أحد وجوه الاعجاز ، وهو قياس القرآن بكل معجزة من الكلام .  
(١)

ولم يسلم هذا النوع لابن أبى الاصبع لتداخله مع باب آخر عده فى الفروع وهو الموازنة .

### (٣) التدبيج :

(٢)  
عرفه بقوله : "هو أن يذكر المتكلم ألوانا يقصد الكناية بها ، والتورية بذكرها عن أشياء من وصف ، أو مدح أو هجاء ، أو نسيب أو غير ذلك من الفنون أو لبيان فائدة الوصف بها ، كقوله تعالى : {وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ} .  
(٣)

ثم يقول "والطف خبء وقع فى هذه الآية اشارته سبحانه فيها بقوله تعالى : {مختلف ألوانها} الى ما فى الألوان من الوسائط بين مركباتها وهى لاتدخل تحت الحصر فعبر تبارك

(١) بديع القرآن لابن أبى الاصبع ص ٩٥-٩٦ .  
(٢) بديع القرآن لابن أبى الاصبع ص ٢٤٢ .  
(٣) فاطر : ٢٧ .



وتعالى - عنها بعبارة غير حاصرة لها واكتفى بذكر الاختلاف  
 عن تعديد الألوان" . وهذا النوع مسبوق اليه من ابن سنان  
 الخفاجى حيث سماه المخالف والحقه بالطباق ، وليس من  
 مستخرجات ابن أبى الاصبع كما يقول ابن حجة الحموى .

#### (٤) التميز :

"وهو أن يمزج المتكلم معانى البديع بفنون الكلام  
 بشرط أن يكون ذلك فى الجملة الواحدة ، أو الجمل من النثر  
 والبيت الواحد من الشعر أو البيوت" ثم وضع أن التميز  
 يلتبس بأربعة أبواب من البديع وهى التكميل والافتنان ،  
 والتعليق ، والادماج ، وقد ذكر ابن حجة الحموى التميز فى  
 باب الافتنان عرفا وفيه يقول "ذكر ابن أبى الاصبع فى كتابه  
 المسمى بتحرير التعبير نوعا يسمى التميز لم ينظمه أصحاب  
 البديعيات وهو قريب من الافتنان ولكن بينهما فرق دقيق لأن  
 الافتنان لا يكون الا بالجمع بين فنيين من أغراض المتكلم كما  
 تقدم والتميز يخالف وهو الجمع بين الفنون والمعانى .  
 وقد مثل له ابن أبى الاصبع بقوله وقد جاء من هذا  
 الباب فى الكتاب العزيز قوله تعالى : { قل رب احكم بالحق }  
 "فانها امتزج فيها فنا الادب والمجاء بمعنى الاردا  
 والتميم" وأوافق البلاغيين تسليمهم هذا النوع لابن أبى  
 (٧)

- 
- (١) بديع القرآن ص ٢٤٣ .  
 (٢) سر الفصاحة ص ٢٣٤ .  
 (٣) خزنة الادب ص ٥٣٨ .  
 (٤) بديع القرآن ص ٢٤٦ .  
 (٥) خزنة الادب لابن حجة ص ٨٠ .  
 (٦) الانبياء : ١١٢ .  
 (٧) بديع القرآن ص ٢٤٧ .

الاصبع وأنه من مبتكراته .

(٥) الاستقصاء :

(١)  
ويعرفه بقوله "وهو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه  
فيأتى بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصى جميع أوصافه  
الذاتية بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالا" ومعنى هذا  
أن ابن أبى الاصبع يعنى فى هذا الاستقصاء المعنوى فى  
التعبير أو الوصف للتبرير الأدبى ، يقول "كقول البحتري فى  
وصف الابل التى براها السير والسرى وأنضاهها مكايده جذب  
البرى ، فقال فيها ما أجمع الناس على تقديمه فى بابه وهو  
قوله :

كَالْقَسَى الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْهَمِ  
مُبْرِيَةً بِلِ الْأَوْتَارِ

فان هذا البيت جمع التشبيه ، والتتميم فى موضعين ،  
(٢)  
وحسن النسق ، والتهذيب ، والايغال . . . . . " .

ثم يقول : "واذا نظرت بين بيت البحتري وبين قوله  
تعالى : { أَيْوَدُ أَحَدَكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرَى  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ  
ذُرِّيَّةٌ مُّعَقَّاتٌ فَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ } علمت مقدار (٣)  
مافى نظم القرآن من البلاغة وتبينت أن الاعجاز فيه بالفصاحة (٤)  
والمهم أن هذا النوع ذكره محقق بديع

(١) المصدر نفسه ص ٢٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٤٧-٢٤٨ .

(٣) البقرة : ٢٦٦ .

(٤) بديع القرآن ص ٢٤٩ .

القرآن من الأنواع التى سلمت للمؤلف ، ثم خالف رأيه هذا فى كتاب آخر "ابن أبى الاصبع بين رجال البلاغة" وقال " .. فهم أن هذا النوع جديد ولم يسبق اليه ، وجعله استقصاء المتكلم المعنى ، والاتيان بجميع لوازمه وأوصافه الذاتية ، بحيث لا يترك لمن يتناول الكلام بعد قائله الأول فيه مقالا ، ونسى أن هذا الاستقصاء سببه حسن الصورة ، واكتلاف اللفاظ بعضها مع بعض - كما عرف بهذا الاسم من قبل - هذا الذى يؤدى الى (١)  
الاحاطة بالمعنى من نواحيه .... " .

ولا أوافق المؤلف فيما ذكر ، ذلك لأن هذا النوع الذى ذكره ابن أبى الاصبع لم يذكره أحد قبله بهذا المعنى ولم يمثل له من قبل ثم ان ما ذكره حفى شرف ليس حجة دامغة حيث ينص عليه بالامثلة والشواهد التى تؤيد ماذهب اليه مع أن مناقضة أقواله مرة يسلمه وأخرى لايسلمه يدل دلالة واضحة على أنه لم يفهم المعنى الصحيح لمعنى الاستقصاء .  
ومع ذلك فانى أوافق صاحب الصبغ البديعى أن هذا النوع من مبتكرات ابن أبى الاصبع وليس لأحد سواه فضل اختراعه .

(٦) البسط :

"وهو ضد الايجاز وغير الاطناب . وهو أن يأتى المتكلم الى المعنى الواحد الذى يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل فيدل عليه باللفظ الكثير ، لا لقصد افهام البليد واسماع البعيد ، والتقرير والتوكيد ، بل للاتيان بمعان من معانى

(١) ابن أبى الاصبع بين رجال البلاغة ص ٢٨٨ .

(١)

البديع ومعانى النفس لايتأتى مجيؤها فى اللفظ الوجيز" .

ومعنى الكلام السابق أنه يقصد بالبسط التفصيل المعنوى النفسى والتفصيل البديعى معا أنظر اليه وهو يقول : "بل للاتيان بمعان من معانى البديع ومعانى النفس لايتأتى مجيؤها فى اللفظ الوجيز وهو شئ لايفيده الاطناب لانه يهدف الى التفصيل فى المعنى أولا وأخيرا .

وهذا يعنى أننا نخالف البلاغيين فى قولهم : "فهذا النوع بعينه الذى يعرف بالاطناب وان فرق بينهما" ونسلم هذا النوع لابن أبى الاصبع كما يسلمه له ابن حجة الحموى فيقول :  
(٢)  
"انه من مستخرجات ابن أبى الاصبع" .  
(٣)

#### (٧) العنوان :

وعرفه بقوله : "هو أن يأخذ المتكلم فيما عرض له من وصف أو فخر أو مدح أو عتاب ، أو هجاء ، أو غير ذلك من الفنون ثم يأتى لقصد تكميله وتوكيده بأمثلة من ألفاظ تكون  
(٤)  
عنوانات لأخبار متقدمة وقصص سالقة" .

ثم يقول "ومنه نوع عظيم جدا وهو مايكون عنوان العلوم وذلك أن نذكر فى الكلام ألفاظا تكون مفاتيح لعلوم ومداخل لها وقد جاء النوعان معا فى الكتاب العزيز فمن النوع الأول قوله تعالى : {وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} (٥) الى آخر الكلام فان

(١) بديع القرآن ص ٢٥١-٢٥٢ .

(٢) الممدر نفسه ص ٢٥١ الهامش .

(٣) خزائن الادب لابن حجة الحموى ص ٥١٢ .

(٤) بديع القرآن ص ٢٥٧ .

(٥) الاعراف : ١٥٧ .

هذا عنوان قصة بلعام .

ومن النوع الثانى قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ } الآية فيها عنوان العلم المعروف بالآثار العلوية " .

وهذا الباب كما يلاحظ غير مسبوق اليه ابن أبى الاصبع ولا يتلاقى مع التلميح كما يقول صاحب الصبغ البديعى ، اذ الفرق واضح بينهما لذلك نسلمه لابن أبى الاصبع كما يسلمه له محقق بديع القرآن .

#### (٨) الايضاح :

ويفسره ابن أبى الاصبع بقوله : "وهو أن يذكر المتكلم كلاما فى ظاهره لبس ، ثم يوضحه فى بقية كلامه . والاشكال الذى يحله الايضاح يكون فى معانى البديع من الالفاظ ، وفى اعرابها ومعانى النفس دون الفنون" .

ومن أمثلة هذا النوع لرفع الاشكال قوله تعالى : {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} فان ظاهر هذه الآية يحتمل اباحة الوطء فى أى محل شاء الزوج من المحلين وفى ذلك من الاشكال مالا يخفى عن ذى عقل ودين ، لكن لما تقدم قوله تعالى : {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ} والحرث موضع البذور ومحل الزرع ورجاء النبت ومظنة النمو والزيادة علم

- 
- (١) النور : ٤٣ .  
 (٢) بديع القرآن ص ٢٥٧ .  
 (٣) الصبغ البديعى أحمد موسى ص ٢٩١ .  
 (٤) بديع القرآن ص ٢٥٩ .  
 (٥) البقرة : ٢٢٣ .

أن المراد بقوله : "أَنى شَتَمَ" ، تخيير الواطئ فى الهيئات التى يأتى أهلها عليها فى المحليين فيكون أنى شتتم من الهيئات أو يكون بمعنى متى ، فيكون المعنى متى شتتم من الزمان والله أعلم " .<sup>(١)</sup>

ولاوافق صاحب الصبغ البديعى قوله : "... وغير خاف انطباق هذا النوع بأمثله على ما عرف باسم التفسير كما أسلفنا ، فهذا النوع مما سبق به وليس له فيه من فضل سوى اطلاق اسم الايضاح عليه بدل التفسير " .<sup>(٢)</sup>

ذلك لأن الفرق واضح بين التفسير والايضاح ، فالتفسير "تفصيل الاجمال" ، والايضاح رفع الاشكال ذلك لأن المفسر من الكلام لا يكون فيه اشكال" كما يقول ابن حجة الحموى . ومعنى هذا أنا نسلم هذا النوع لابن أبى الاصبع كما يسلمه له أيضا محقق بديع القرآن .<sup>(٣)</sup>

#### (٩) التشكيك :

وهو أن يأتى المتكلم فى كلامه بلفظة تشكك المخاطب هل هى حشو ، أو أصلية لا غنى للكلام عنها ، مثل قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} <sup>(٥)</sup> "فإن لفظة بدين الجار والمجرور تشكك السامع هل هى فضلة ؟ اذ لفظة ، تدايَنْتُمْ " تغنى عنها أم هو يحتاج

(١) بديع القرآن ص ٢٧٠ .

(٢) الصبغ البديعى أحمد موسى ص ٢٩١-٢٩٢ .

(٣) خزائن الادب لابن حجة ص ٤٠٩ .

(٤) بديع القرآن ص ٢٧٩ .

(٥) البقرة : ٢٨٢ .

اليها والجواب أنها أصلية ، لأن لفظة الدين لها محامل في  
اللسان تقول : داينت فلانا المودة يعنى جازيته ... " (١) .

فلفظة بدين شككتنا ثم انتهت بنا الى مرحلة يقينية  
وهى أنها لازمة وليست بحشو ولافضلة " .

وابن أبى الاصبع يذكر بعد نوعا تستعمل فيه "أو" أداة  
للتشكيك لا للإباحة ولا التى للتخيير مثل قوله تعالى : {أو  
جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء} .

وهذا النوع وان عرض له ابن رشيق فى كتابه ، سلم  
للمؤلف ذلك لان كلمة معنى التشكيك عند ابن رشيق هو مايعرف  
عند ابن المعتز بتجاهل العارف أما عند ابن أبى الاصبع  
تختلف عن هذا المفهوم السابق . لذلك نسلم هذا النوع لابن  
أبى الاصبع كما سلمه له محقق بديع القرآن .

#### (١٠) الحيدة والانتقال :

وهو باب يهدف الى الحيدة عن مرحلة جدلية والانتقال  
الى أخرى ينقطع فيها الخمم ويبهت ، يعرفه ابن أبى الاصبع  
بقوله : "وهو ان يجيب المسئول بجواب لا يصلح أن يكون جوابا  
عما سئل عنه أو ينتقل المستدل الى الاستدلال غير الذى كان  
أخذا ، فيه وانما يكون هذا بلاغة اذ أتى به المستدل بعد  
معارضته بما يدل على أن المعارض لم يفهم وجه استدلاله ،  
فينتقل عنه الى استدلال يقرب من فهم الخمم يكون فيه قطعه  
عن المعارضة ، فيكون استدلاله الأول محتملا للمعارضة ،

(١) بديع القرآن ص ٢٧٩ .

(٢) ابن أبى الاصبع ص ٢٨٠ .

واستدلالة الشانى لا يحتمل ما يبطله بوجه صحيح ولا بوجه سقيم  
 كما جاء فى مناظرة الخليل - صلوات الله عليه وسلامه - مع  
 الجبار لما قال له الخليل "رَبِّى الَّذِى يَحْيِى وَيُمِيتُ" <sup>(١)</sup> فقال  
 الجبار : "أَنَا أَحْيِى وَأُمِيتُ" ثم دعا من وجب عليه القتل  
 فأعتقه ومن لا يجب عليه فقتله فعلم الخليل - عليه السلام -  
 انه لم يفهم معنى الاحياء والاماتة ، او علم ذلك وغالط بهذا  
 الفعل ، فانقل - صلوات الله عليه - الى استدلال لا يجد  
 الجبار له وجهاً يتخلص منه فقال : {فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِ بِالشَّمْسِ  
 مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} فانقطع الجبار وكان منه  
 ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عنه حيث قال "فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ" <sup>(٢)</sup>  
 ويعد هذا النوع ضمن الانواع التى سلمت ولم يسبق اليه  
 أحد من البلاغيين الذين تقدموه كما يسلمه له أيضا محقق  
 الكتاب .

#### (١١) الشماتة :

باب أدبى فنى يعتمد الى اشتشاف المعنى النفسى القائم  
 بالنص لم يشرحه ابن أبى الاصبع وانما أورد أمثلة له منها  
 قوله سبحانه تعالى : {آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِى آمَنْتُ بِهِ  
 بَنُّوْا إِسْرَآئِيلَ} وقوله تعالى : {هَذَا مَا كُنَزْتُمْ لَأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا  
 مَا كُنْتُمْ تَكْنُزُونَ} <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>

ويقول أحد الباحثين : "... فبذلك تكون الشماتة

(١) البقرة : ٢٥٨ .  
 (٢) بديع القرآن ص ٢٨٠-٢٨١ .  
 (٣) يونس : ٩٠ .  
 (٤) التوبة : ٣٥ .



بتعريف المؤلف لها وهو قوله : " اظهر المسرة بمن نالته  
محنة أو أصابته نكبة " جديد من المؤلف " ويكون تحسينها  
معنوياً لأنها أمر نفسى يعترى المتكلم ، فيعبر بما يفيد  
(١)  
معناها " .

وأقول ان هذا النوع قريب من التهكم ويلتبس به بل ان  
بعض الأمثلة التى أوردها تنطبق على التهكم كقوله : { ذُقْ إِنَّكَ  
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } (٢) ولا أرى أن هذا النوع سلم للمؤلف إلا  
اسمه أما مضمونه فهو من قبيل الاستعارة التهكمية .

#### (١٢) باب التهكم :

(٣)  
وهو عبارة عن الاتيان بلفظ البشارة فى موضع النذارة ،  
والوعد فى مكان الوعيد تهاونا من القائل بالمقول له ،  
واستهزاء به كقوله تعالى : { بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا  
أَلِيمًا } (٤) وقوله تعالى : { ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } . (٥)

وهذا النوع هو ما عرف عند البلاغيين المتقدمين باسم  
الاستعارة التهكمية وقد تكلم عنه الامام جاز الله الزمخشري  
المتوفى سنة ٥٣٨ عند تفسير قوله تعالى : { لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ  
بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } (٦) فقال : " ان  
المعقبات هم الحرس من حول السلطان يحفظونه - فى زعمه - من  
أمر الله على سبيل التهكم " ومعنى ذلك أن هذا النوع مسبوق  
(٧)

(١) ابن أبى الاصبغ بين رجال البلاغة ص ٣١٥ .

(٢) الدخان : ٤٩

(٣) بديع القرآن ص ٢٨٣ .

(٤) النساء : ١٣٨ .

(٥) الدخان : ٤٩ .

(٦) الرعد : ١١ .

(٧) الكشف للزمخشري ص ٢٧٢ .

اليه لفظا ومعنى ومعروف قبله . وليس له فى هذا الباب فضل ابتكار .

(١٣) التندير :

(١)  
وحده بقوله : "هو أن يأتى المتكلم بنادرة حلوة أو نكتة مستظرفة وهو يقع فى الجد والهزل ومن لطيف ما جاء منه فى الجد وبديع قوله تعالى : {فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} (٢) وهو من أمثلة المبالغة من نصه هو حيث يقول : "انظر الى مبالغته سبحانه وتعالى فى وصف المنافقين بالجبن والخوف ، حيث أخبر عنهم بالخبر الصادق أنهم عند الخوف "تدور أعينهم" (٣) ولم يرد ذكر التندير فى النص اذن فلا التهمك ولا التندير من مخترعات ابن أبى الاصبع ونخالف ابن حجة الحموى اذ يذكر أن التهمك من مخترعات ابن أبى الاصبع ولم يره فى كتب السابقين من أئمة البديع ، ويقول : "انه أزال بكاره أشكاله وكان أبا عذرتة وأرضع الانواق لبان فهمه وكان فارس حلبته " (٤) .

(١٤) الاسجال بعد المغالطة :

(٥)  
وعرفه بقوله : "هو أن يقصد المتكلم غرضاً من ممدوح فيأتى بالفاظ تقرر بلوغه ذلك الغرض اسجالاً منه على الممدوح

(١) بديع القرآن ص ٢٨٥ .

(٢) الأحزاب : ١٩ .

(٣) بديع القرآن ص ٢٨٥ .

(٤) خزائن الادب لابن حجة ص ١٢٣ .

(٥) بديع القرآن ص ٢٨٦ .

به ، وبيان ذلك أن يشترط شرطا يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض ، ثم يخبر بوقوعه مغالطة ، وان لم يكن قد وقع بعد ليقع المشروط ... " وهذا القسم أعنى مايكون فيه مغالطة يقع فى الشعر وغيره من كلام البشر ولا يقع فى الكتاب العزيز ومن أمثلته :

جَاءَ الشِّتَاءُ وَمَا عِنْدِي لَهُ عَدَدٌ  
إِلَّا ارْتِعَادِي وَتَمْفِيقِي بِأَسْنَانِي  
فَإِنْ هَلَكْتَ فَمَوْلَانَا يَكْفِنُنِي  
هَبْنِي هَلَكْتَ فَهَبْنِي بَعْضُ أَكْفَانِي  
وقد يقع مغالطة وذلك فى الكتاب العزيز كقوله : { رَبَّنَا  
آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رِسْلِكَ } (١)

وقد عد البلاغيون هذا النوع من مبتكرات ابن أبى الاصبع السالمة له وأوافقهم فى ذلك فهو لم يسبق اليه فله الفضل فى اختراعه .

#### (١٥) الفرائد :

(٢)

ويقول : "وهو مختص بالفصاحة دون البلاغة ، لانه عبارة عن اتيان المتكلم فى كلامه بلفظة "تنزل منزلة" الغريدة من حب العقد وهى الجوهرة التى لانظير لها تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته ، وجزالة منطقته ، وإصالة عربيته بحيث تكون هذه اللفظة اذا اسقطت من الكلام عزت على الفمحاء غرابيتها ، وقد جاء من ذلك فى الكتاب العزيز غرائب لا يقع مثلها لمخلوق

(١) آل عمران : ١٩٤ .

(٢) بديع القرآن ص ٢٨٧ .

فمن قوله تعالى : {الآن حَصَّصَ الْحَقُّ} <sup>(١)</sup> وقوله سبحانه : {فلما استَيْسَّوْا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا} <sup>(٢)</sup> فالفاظ هذه الجملة كلها من هذا الباب وأجزؤها قوله تعالى : {استَيْسَّوْا} وأقصحها قوله سبحانه {خَلَصُوا نَجِيًّا} وقل أن تجتمع الفصاحة والبلاغة فى جملة من هذا الباب الا فى هذه الجملة ، فان هاتين اللفظتين تضمنتا مع الفصاحة الايجاز " .

ولست أدري كيف يناقض نفسه محقق بديع القرآن فى بديع القرآن يسلم هذا النوع للمؤلف وهو على حق - وفى كتابه الآخر يقول بأنه مسبوق اليه ويعلل تعليلا واهيا لاقيمة له حيث يقول : "... أنه يقصد بالفرائد أن تكون اللفظة فريدة فى دلالتها على معناها أى لايقوم غيرها مقامها فى هذه الدلالة ، وبذلك يكون باب ائتلاف اللفظ مع معناه أولى باب الفرائد" <sup>(٣)</sup> .

ثم يقول : أما اذا كان المؤلف يقصد بفصاحة اللفظ فى اللغة والاستعمال فهذا قد سبقه غيره اليه أمثال ابن سنان الخفاجى وابن الاثير اللذين تكلما كثيرا عن فصاحة اللفظة مفردة ومركبة" <sup>(٤)</sup> .

ولو رجعنا الى تعريف باب ائتلاف اللفظ مع معناه وجدناه يقول : "وتلخيص تفسير هذه التسمية أن تكون : ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضها بعضا ليس فيها لفظة نافرة عن أخواتها غير لائقة بمكانها وكلها موصوف بحسن الجوار..." <sup>(٥)</sup> .

(١) يوسف : ٥١ .

(٢) يوسف : ٨٠ .

(٣) (٤) ابن أبى الاصبغ بين رجال البلاغة ص ٢٩٦ .

(٥) بديع القرآن ص ٧٧ .

وبهذا يتضح لك الفرق ونسلم هذا الفن لابن أبى الاصبع  
وله الفضل فى ابتكاره .

### (١٦) الاقتدار :

ويهدف الباب الى القوة الفنية وبين معناه قول ابن  
أبى الاصبع : "وهو أن يبرز المتكلم المعنى الواحد فى عدة  
صور اقتدارا منه على نظم الكلام وتركيبه ، وعلى صياغة  
قوالب المعانى والأغراض ، فتارة يأتى به فى لفظ الاستعارة  
وطورا يبرزه فى صور الازداف وآونة يخرج مخرج الإيجاز ،  
وحينا يأتى به فى ألفاظ الحقيقة كقول امرئ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرَخَى سَدَّوْلَهُ  
عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيَبْتَلِي  
فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِمِثْلِهِ  
وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّ

ثم أتى بهذا المعنى بعينه فقال :

فيالك من ليل كأن نجومه

بكل مقار القتل شدت بيذيل

يقول : "فإن ملخص معنى هذا البيت "فيالك من ليل طويل  
فبسط الصفة ليحمل من البسط ما حمل من التشبيه الدال على  
سير النجوم ، ليبدل بذلك على طول الليل ثم أخرج هذا المعنى  
بلفظ الازداف فقال :

كَأَنَّ الشُّرِيَّا عَلِقَتْ فِي مَمَامَهَا  
بِأَمْرَاسٍ كَتَانٍ إِلَى صَمِّ جَنْدَلٍ (١)

وهكذا يهدف ابن أبى الاصبع فى هذا الباب الى ابراز معنى فى معارض فذية مختلفة الصور متباينة القسمات .  
ويبدو لى أن هذا النوع مما سلم للمؤلف ، كما يقول محقق بديع القرآن .

#### (١٧) النزاهة :

(٢)  
وهذا الباب يوضح معناه فيقول : "وهو مختص غالباً بالهجاء وان وقع نادراً فى غيره من الفنون ، فانه عبارة عن نزاهة ألفاظ الهجاء وغيره من الفحش حتى يكون الهجاء كما قال فيه أبو عمرو بن العلاء وقد سئل عن أحسن الهجاء فقال : هو الذى اذا انشدته العذراء فى خدرها لا يقبح عليها مثل قول جرير :

لَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جَمَعْتَ أَحْسَابَهَا  
يَوْمَ التَّفَاخُرِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالَ

فأبو عمرو بن العلاء كما أشار ابن أبى الاصبع يفضل الهجاء غير ذى السباب والافحاش وكذلك تأثيره ابن أبى الاصبع فى ذوقه ، غير أن ابن أبى الاصبع جعل من النزاهة فى الهجاء باباً بلاغياً يجتلب له الشواهد شعراً وقرآناً ولم يقصره على الهجاء وحده ، وكم من بلاغى لحق بأبى عمرو بن العلاء على مر العصور ولم يجعل من النزاهة باباً بلاغياً ، انا لنسلم لابن

(١) المصدر نفسه ص ٢٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٩٢ .

أبى الاصبع الباب فله فضل التسمية وتوسيع معنى الباب واجتلاب الشواهد وعده من أنواع البديع ولا نوافق محقق بديع القرآن على ما عترض به من أن ابن أبى الاصبع مسبوق فى هذا الباب بأبى عمرو بن العلاء فهذا سئل عن ذوقه فأجاب أما الأول فاعتد من المحاسن البديعية أن يتنزه الهجاء عن الفاظ السباب والفحش وهو فى ميغته هذا غير مسبوق .

#### (١٨) التسليم :

وهو أحد وسائل الاقناع الجدلى ويفسره ابن أبى الاصبع بقوله : "وهو أن يفرض المتكلم فرضا محالا اما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع ليكون مذكوره ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه كقوله سبحانه : { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ رَأٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ } (٢) .

وخلاصة معنى هذا الكلام أن ليس مع الله اله ، وكان قائل ذلك قال : لو سلمنا أن معه سبحانه الها للزم من ذلك التسليم ذهاب كل اله من الاثنين بما خلق وعلو بعضهم على بعض فلا يتم فى العالم أمر ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله والواقع خلاف ذلك ففرض الهين قصاعدا محال - لما يلزم منه (٣) من المحال " .

وعندى أن هذا النوع لم يسبق اليه ابن أبى الاصبع فهو

(١) بديع القرآن ٢٩٥ .

(٢) المؤمنین : ٩١ .

(٣) بديع القرآن ص ٢٩٥ .

مسلم له كما يسلمه له صاحب المبلغ البديعى ومحقق بديع القرآن .

#### (١٩) الافتنان :

باب أدبى يضم فذين متضادين أو مختلفين أو متوافقين وهو "أن يفتن المتكلم فيأتى فى كلامه بفنيين اما متضادين أو مختلفين أو متوافقين" (١).

وقد جاء فى الكتاب العزيز : "من هذا الافتنان نوع غريب وهو الجمع بين التعزية والفخر وذلك فى قوله تعالى : {كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا قَانٍ وَيَبْقَى وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} (٢) فان سبحانه عزى جميع المخلوقات من الانس والجن وسائر اصناف الحيوانات ومن مشى على الارض من كل من قابل الحياة وملائكة السموات ، وتمدح بالانفراد بالبقاء بعد فناء الموجودات فى عشر لفظات ، مع وصفه سبحانه ذاته بعد انفراده بالبقاء (٣) بالجلال والاكرام وحق له سبحانه " .

وهذا النوع "وان كان يلتبس بالادماج الا أن الادماج تضمين المتكلم للكلام معنى آخر بشرط ألا يصرح به ولا يشعر فى كلامه بأنه مسجوق لاجله بخلاف الافتنان" (٤) .

ولأوافق صاحب المبلغ البديعى على أن هذا النوع ينطبق على الادماج والفرق كما أسلفت ، إذن فلنسلم هذا النوع لابن أبى الاصبع كما يسلمه له محقق بديع القرآن .

(١) المصدر نفسه ص ٢٩٥ .

(٢) الرحمن : ٢٦-٢٧ .

(٣) بديع القرآن ص ٢٩٩ .

(٤) هامش بديع القرآن ص ٢٩٥ .



## (٢٠) المراجعة :

(١)  
ويفسره ابن أبى الاصبع بقوله : "هو أن يحكى المتكلم  
مراجعة فى القول جرت بينه وبين محاور له فى الحديث أو بين  
اثنين غيره بأوجز عبارة وأبلغ اشارة وأرشق مجاورة وأعدل  
سبك وأسهله وأعذب ألفاظ وأجزلها أما فى بيت واحد أو أبيات  
أو جملة واحدة أو جمل ومن شواهد الشعرية قول عمر بن أبى  
ربيعة المخزومى :

بَيْنَمَا يَنْعَتُنِي أَبْرَنْنِي  
مِثْلَ قَيْدِ الرُّمَحِ يَعْدُو بِي الْأَغْرُ  
قَالَتِ الْكُبْرَى تَرَى مَنْ ذَا الْفَتَى  
قَالَتِ الْوَسْطَى لَهَا هَذَا عُمَرُ  
قَالَتِ الْمَغْرَى وَقَدْ تَيَّمْتَهَا  
قَدْ عَرَفْنَاهُ وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ  
ومن شواهد فى الكتاب العزيز : {قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ  
إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} (٢)  
ولم يسلم البلاغيون ، هذا الباب لابن

أبى الاصبع فهذا ابن حجة الحموى يقول : "المراجعة ليس  
تحتها كبير أمر ولو فوُضِلَ الى حكم فى البديع ما نظمتها فى  
أسلال أنواعه وذكر ابن أبى الاصبع أنها من اختراعاته ،  
وعجبت من مثله كيف قربها الى الذى استنبطه من الأنواع  
البديعية الغريبة كالتهمك والافتنان والتدبيج والهجاء فى

(١) بديع القرآن ص ٣٠٠ .

(٢) البقرة : ١٢٤ .

معرض المدح والاشترار والالغاز ، والنزاهة ومنهم من سمي هذا النوع - أعنى المراجعة - السؤال والجواب" .<sup>(١)</sup>

(٢١) اثبات الشئ للشئ بنفيه عن غير ذلك الشئ :

وهو باب يهدف الى استخدام المهارة الجدلية فى التعبير فى فنون المدح والاختبار ... ويفسره "وهو أن يقصد المتكلم أن يفرد انسانا بصفة مدح لا يشركه فيها غيره فينفى تلك الصفة فى أول كلام عن جميع الناس ويثبتها له خاصة كقول الخنساء فى أخيها صخر :

وَمَا بَلَغْتَ كَفَّ امْرُئٍ مَتَنَاوَلًا  
مِنَ الْمَجْدِ إِلَّا وَالَّذِي نِلْتَ أَطْوَلُ  
وَمَا بَلَغَ الْمَهْدُونَ لِلنَّاسِ مِدْحَةً

وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

ويسلم البلاغيون هذا الباب لابن أبى الاصبع وأوافقهم فى ذلك فله الفضل فى اختراعه .

(٢٢) باب الزيادة :

وهى التى تفيد اللفظة فماحة وحسنا والمعنى توكيدا وتمييزا لمدلوله عن غيره :

هذا الباب أراه مسبوقا اليه حتى انه لا يفسر هذا الباب وانما يكتفى بتسميته ثم يعقبه بالشواهد وهذا الباب بعينه أحد أنواع التكميل وقد حدثنا ابن أبى الاصبع عنه فى باب

التمام من أبواب البلاغيين السابقين .. قال مفرقا بين التكميل والتتميم : "... ولا يخلو اما أن يرد على معنى تام فى ذاته أو فى صفاته أولا ، فان كان الأول فهو التكميل وان (١) كان الثانى فهو التتميم " .

والأمثلة التى وردت فى بابى التكميل ، والزيادة التى تفيد اللفظ فصاحة ... أمثلة متداخلة فلا فضل لابن أبى الاصبع فى اختراع الزيادة لانه قديم مسبق اليه .

#### (٢٣) الابهام :

وحده بقوله : "وهو أن يقول المتكلم كلاما يحتمل معنيين متغايرين لا يتميز أحدهما عن الآخر ، والفرق بينه وبين الاشتراك المعيب أن الاشتراك لا يقع الا فى لفظة مفردة لها مفهومان لا يعلم أيهما أراد المتكلم ، والابهام لا يكون الا فى الجمل المؤلفة المفيدة ويختص بالفنون كالمدح والهجاء والعتاب والاعتذار والفخر والرشاء والنسيب وغير ذلك ولا كذلك الاشتراك " .

ومنه نوع آخر يقع لأحد أمرين : اما لجودة الخاطر ، واما لامتحان قوة الايمان من ضعفه ، ثم ساق لها الامثلة .  
ومحقق بديع القرآن يزعم أن السكاكى سبقه الى هذا الباب ، ولو رجعنا لمفتاح السكاكى تحت اسم التوجيه لوجدناه يقول : "التوجيه وهو ايراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين كقول من قال للأعور ليت عيذه سواء وللمتشابهات من

(١) بديع القرآن ص ٤٦ .

(٢) بديع القرآن ص ٣٠٦-٣٠٧ .

(١)

القرآن مدخل فى هذا النوع باعتبار " .

ومعنى ذلك أن ابن أبى الاصبع يقصد بالابهام المعنى الذى ذكره السكاكى وأن كان يفصل فيه فنيا ثم يردفه بنوع ثان لم يذكره السكاكى .

هذا الى أن ابن أبى الاصبع لم يتمل بكتاب السكاكى ولم يرجع اليه والا لأورده فى مراجعه ، لهذا فنحن لانوافق محقق البديع على نزاعه فى اختراع ابن أبى الاصبع لباب الابهام لأسباب لعل من أهمها أن له فضل التسمية ثم جاء بنوع آخر لم يذكره السكاكى ، ولم يتمل ابن أبى الاصبع بالسكاكى ولم يذكره كذلك ضمن مراجعة التى رجع اليها فالباب مسلم له فى رأينا .

#### (٢٤) باب التفريق والجمع :

(٢)

ويعرفه بقوله : "وهو أن يفرق المتكلم بين كلامين مرتبطين متلاحمين بكلام يتلو به الأول من كلامه ، يوهم السامع أنه غير مرتبط ليفيد بذلك معنى لا يفيد الكلام لو جاء على مقتضى النظم وترتيبه ، ثم يعود فيجمع ما تفرق من الكلام بما كان يجب أن يقدم لتأهيله لنفع الأول وملاءمته له ، وارتباطه به ، وكونه فى الظاهر لا يصلح أن يجاوزه غيره " .

كقوله تعالى : {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ . فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً } (٣) .

(١) مفتاح العلوم للسكاكى ص ٢٢٦ .

(٢) بديع القرآن ص ٢١٣ .

(٣) الأنعام : ٤٢-٤٤ .

ثم يقول : "ومقتضى حسن الجواب فى النظم أن يقول  
 هاهنا : أخذناهم بغتة فأوهم ظاهر النظم أن قوله : "فَتَحَّنَا  
 عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ" بعد قوله : "فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ" غير  
 ملائم ، وأن الالئق أن يقال : أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَلَوْ جَاءَ النظم  
 على توهم السامع لحصل الاخلال بما أفاده الفصل من المعانى  
 لأن الاخبار بفتح أبواب كل شئ عقيب معاملتهم بما يبطل  
 أعذارهم ، وينبئهم بأمر معاصيهم ، ويسلكهم فى خير الكتب  
 المنزلة من الله - المتضمنة الوعيد بأخذهم من وسط  
 ما أستاذجهم به من النعم ، لتكون من المحبة أشد ، وألم  
 الأخذ أعظم والعذاب أشق ، ثم قال بعد الاخبار بفتح أبواب  
 النعيم العميمة وأخذناهم ، فاجتمع ما تفرق من الكلام وانتظم  
 ما انفصم من ذلك النظام وهذا سر من أسرار البلاغة ، ولا  
 يهتدى اليه إلا أهله " (١)

وقد نقلت كلام ابن أبى الاصبع فى هذا الموضع كله ، ذلك  
 لأنه كلام جيد ونفيس وجدير بالقبول والاعجاب .  
 ونسلم هذا النوع ضمن مبتكراته التى عدها كما يسلمه  
 له محقق البديع .

#### (٢٥) باب القول بالموجب :

(٢)

وفى تفسيره يقول : "هو أن يخاطب المتكلم مخاطبا بكلام  
 فيعمد المخاطب الى كل كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبنى  
 عليها من كلامه ما يوجب عكس معنى المتكلم ، لأن حقيقة القول

(١) بديع القرآن ٣١٣-٣١٤ .

(٢) نفس المرجع ص ٣١٤ .

بالموجب رد الخصم كلام خصمه من فحوى كلامه " .

ومنه قول ابن حجاج :

قُلْتُ : ثَقُلْتُ إِذَا أَتَيْتُ مَرَارًا

قَالَ ثَقُلْتَ كَاهِلِي بِالْأَيَادِي

قُلْتُ : طَوَّلْتُ قَالَ لِي بَلْ طَوَّلْتُ

ت وَأَبْرَمْتُ قَالَ حَبْلٌ وَدَادِي

وأرى لابن أبي الاصبع فضل ابتكار لهذا الباب ، ولم

يسبق اليه ، قال صاحب الايضاح والقول بالموجب ضربان :

"أحدهما : أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شئ ،

أثبت له حكم فثبت فى كلامك تلك الصفة كلام لغير ذلك الشئ من

غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه كقوله تعالى

{يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (١) فانهم كانوا بالاعز عن

فريقهم وبالأذل عن فريق المؤمنين ، واشتوا بالاعز الاخراج ،

فأثبت الله تعالى فى الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله

وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج للموصوفين بصفة

(٢)

العزة ولا لنفيه عنهم " .

والثانى : "حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده

مما يحتمله بذكر متعلقه " .

وهذا الذى يعنيه ابن أبى الاصبع وهو ما يعرف بالاسلوب

الحكيم وقد مثل له صاحب الايضاح بمثال ابن أبى الاصبع

السابق الذكر .

(١) المنافقين : ٨ .

(٢) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة : لعبد المتعال المعيدى ص ٦٩ .

## (٢٦) باب حصر الجزئى والحاقه بالكلى :

(١)

ويعرفه بقوله : "هو أن يأتى المتكلم الى نوع

ما فيجعله بالتعظيم له جنسا بعد حصر أقسام الأنواع منه  
والاجناس" كقوله تعالى : {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ  
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ  
فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٢) فانه  
سبحانه وتعالى بعد اخباره بأن عنده مفاتيح كل غيب اذ اللام  
للجنس هاهنا مجملا في القول ، تمدح بأنه يعلم ما في البر  
والبحر من أصناف الحيوان والنبات والجماد وحاصر الكليات  
والمولدات ، ورأى سبحانه أن الاختصار على ذلك لا يكمل به  
معنى التمدح ، لاحتمال أن يظن ضعيف أنه يعلم الكليات دون  
الجزئيات ، فان المولدات الثلاث ، وان كانت جزئيات بالنسبة  
الى العالم فكل واحد منها كلى بالنسبة الى ماتحته من  
الاجناس المتوسطة والأنواع وأصنافها . فقال لكمال التمدح  
"ما تسقط من ورقة الا يعلمها" ، وعلم أن علم ذلك قد يشاركه  
فيه من مخلوقات كل من خلق له ادراكا ، وهداه الى طريق  
ذلك فشارك فيه ، فتمدح سبحانه بما لا يشارك فيه بقوله : {وَلَا  
حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ} ثم ألحق الجزئيات بعد حصرها بالكليات  
حيث قال : {وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ} (٣) .

وقد سلم البلاغيون . وأوافقهم القول هذا النوع لابن

أبى الاصبع فهذا ابن حجة يقول : "هذا النوع الغريب اخترعه

(١) بديع القرآن ص ٣١٥ .

(٢) الأنعام : ٥٩ .

(٣) بديع القرآن ص ٣١٦ .

(١)  
الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع" ثم يقول : وهذا النوع صعب  
(٢)  
المسالك فى نظمه عزيز الوقوع والتحصيل" .

### (٢٧) باب المقارنة :

(٣)  
باب أدبى يفسره ابن أبى الاصبع بقوله : "هو أن يقترن  
بديعان فى كلمة من الكلام ، والفرق بين هذا الباب وباب  
الابداع عبارة عن الاتيان ببديعين فصاعدا فى الكلمة المفردة  
من غير اقتران"

ومن أمثلة ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى : {وَهُمْ  
يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ} (٤)  
اقترن فى لفظين من هذه اللفظات ضربان من البديع - التنكيت  
والمبالغة مقترنة به لقائل أن يقول : ما النكته التى رجحت  
اختصاص الظهور بالحمل دون الرؤوس ؟ فيقال : النكته فى ذلك  
الإشارة الى ثقل الأوزار ، لأن الظهور أحمل للثقل من الرؤوس ،  
وما يلزم من ذكر الظهور عجز الرؤوس من حمل هذه الأوزار من  
المبالغة فى ثقلها مقترنا بالتنكيت ... (٥) .

ومن شواهد الشعرية قول أدريس بن اليمان :  
وَكُنْتُ إِذَا اسْتَنْزَلْتُ مِنْ جَانِبِ الرُّضَى  
نَزَلْتُ نَزُولَ الْغَيْثِ فِي الْبَلَدِ الْمَحَلِ  
وَإِنْ هَيَّجَ الْأَعْدَاءُ مِنْكَ حَفِيزَةً  
وَقَعَتْ وَقُوعَ النَّارِ فِي الْحَطَبِ الْجَزَلِ

- 
- (١) خزائن الأدب لابن حجة ص ٣٧١ .  
(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٧١ .  
(٣) بديع القرآن ص ٣١٨ .  
(٤) الأنعام : ٣١ .  
(٥) بديع القرآن ص ٣١٨ .



ومن قول الشاعر :

لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى نَزَعْنَا عَشِيَّةً  
وَقَدْ مَاتَ شَطْرُ الشَّمْسِ وَالشَّطْرُ مَدْنَفٌ

فقد قرن في هذا البيت الازداف بالاستعارة ، لانه عبر عن الغروب بموت شطر الشمس في أوائل العجز وهذا هو الازداف ، واستعار للشطر الآخر الدنف وهو شدة المرض في آخر العمر ، وهذا بليغ حيث أتت المقارنة منه في قسم واحد من البيت (١) .  
ثم يقول "ومن المقارنة قسم آخر ، وهو مايقرن الشاعر به شعره من شعر غيره وهو عكس الابداع" (٢) .  
وهذا النوع أراه من ابتكارات ابن أبي الاصبع ولم يسبق اليه كما أشار بذلك محقق البديع وصاحب المصباح البديعي .

#### (٢٨) باب الرمز والايماء :

"وهذا الباب فحواه أن يريد المتكلم اخفاء مافى كلامه مع ارادته افهام المخاطب ماأخفاه فيرمز له في ضمنه رمزا يهتدى به الى طريق استخراج ماأخفاه في كلامه ، والفرق بينه وبين الوحي والاشارة أن المتكلم في باب الوحي والاشارة لا يودع كلامه شيئا يستدل منه على ماأخفاه لا بطريق الرمز ولا غيره بل يوحي مراده وحيا خفيا لا يكاد يعرفه الا أحذق الناس فخفاء الوحي والاشارة أخفى من خفاء الرمز والايماء" وحاصل (٣)  
كلامه أن الوحي والاشارة أخفى من خفاء الرمز والايماء وهي

(١) بديع القرآن ص ٣٢٠ .  
(٢) المصدر نفسه ص ٣٢١ .  
(٣) المصدر نفسه ص ٣٢١ .

مصطلحات متداخلة بعضها ببعض ولذلك فإن ابن رشيق جعل الرمز  
 فرعاً من أنواع الإشارة وهذا يعنى أنه مسبوق بهذا الباب من  
 ابن رشيق وإن جعل الرمز باباً مستقلاً بذاته فليس له فضل  
 ابتكار له .

(٢٩) باب المناقضة :

(٢)

يقول فى تعريفها :

(أ) "وهو تعليق الشرط على نقيضين :

ممكّن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن  
 ليؤثر التعليق على عدم وقوع المشروط فكان المتكلم ناقض  
 نفسه فى الظاهر ، اذ شرط وقوع أمر بوقوع نقيضين .

ومثال ذلك قول النابغة الذبياني :

وَأَنْكَ سَوْفَ تَحْلُمُ أَوْ تَنْهَى

إِذَا مَا شَبَّتَ أَوْ شَابَ الْغَرَابُ

فانه علق حلم المخاطب على شيبه وهو ممكن ، وعلى شيب  
 الغراب وهو مستحيل ، ومراده شيب الغراب لأن حاصل مقصوده  
 قوله : انك لاتحلم حتى يشيب الغراب والغراب لايشيب أبداً  
 فانت لاتحلم أبداً ، والفرق بين هذا الباب وبين باب نفى  
 الشئ بايجابه ، أن هذا الباب ليس فيه لفظ نفى ولا ايجاب ،  
 ونفى الشئ بايجابه ليس فيه شرط ولا معنى شرط . ثم يقول

(ب) ومن المناقضة :

معنى آخر يرجع أصله الى الأول ، وهو أن يأتى المتكلم

(١) العمدة لابن الرشيق ص ٢٧٤ .

(٢) بديع القرآن ص ٣٢٣-٣٢٤ .

فى لفظ الوعد بما يدل على الوعيد ، فيسر المخاطب ويسوءه  
فى وقت واحد بكلام واحد ، فيتوجه على ذلك اللفظ اشكال  
يوضحه مابعد ، ومثال هذا النوع :

قوله تعالى : { إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ } (١)  
فقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا وعد ، ووصف كشف  
العذاب بالقلّة وعيد . ففى هذا الكلام مايسر وما يسوء فى  
حال واحدة وكلام واحد ... " (٢)

ثانيا : ومن المناقضة نوع آخر : وهو مناقضة المتكلم  
غيره فى معنى ما ، كمناقضة ابن حجاج دريد بن الصمة قوله :

صَبَا مَاصِبًا حَتَّىٰ عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ  
فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ أَبْعِدْ

فقال ابن حجاج :

لَا تَغْتَرَّرَ بِمَشِيبِهِ

فَالشَّيْخُ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

ولا يسلم محقق البديع هذا الباب لابن أبى الاصبع لانه قد  
سبقه اليه ابن منقذ فى بديعه حيث تكلم عنه تحت اسم  
المعارضة والمناقضة ويقول عنها : "وهو أن يناقض الشاعر  
كلامه أو يعارض بعضه بعضا" . (٣)

ومن شواهد قول أبى نواس :

كَأَنَّ بَقَايَا مَا بَقِيَ مِنْ حَبَابِهَا

تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِي سَوَادِ عِذَارِ

فشبه الحباب بالشيب والحمرة بالعذار ثم قال :

(١) الدخان : ١٥ .  
(٢) بديع القرآن ص ٣٢٤ .  
(٣) بديع ابن منقذ ص ٨٧ .

تَرَوْتُ بِهِ ثُمَّ انْفَرَى عَنْ أُدِيمَهَا  
تَقَرَّى لَيْلٍ عَنْ بَيَاضِ نَهَارٍ

(١) فناقض الذى جعله كالنهار ثم رجع فصيره أسود كالليل وجعله أبيض كالنهار وبمقارنة ماجاء فى بديع ابن منقذ به فى بديع ابن أبى الاصبع نلاحظ عند ابن أبى الاصبع مناقضة ظاهرية متعمدة لغرض معنوى مقصود ، فى حين نجدها عند ابن منقذ حلية لفظية ولم يقصد اليها الشاعر قصدا وتعد عيبا وقع فيه ثم هناك ضرب ينفرد به ابن أبى الاصبع من المناقضة وهو أن يخالف شاعر أو كاتب معنى أدبيا لآخر غيره . وننتهى الى أن الباب كله مسلم لابن أبى الاصبع كما يسلمه له صاحب المصباح البديعى .

### (٣٠) باب الانفصال :

(٢) ويفسره بقوله : "هو أن يقول المتكلم كلامه يتوجه عليه فيه دخل ، فلا يقتصر عليه حتى يأتى بما ينفصل به عن ذلك اما ظاهرا أو باطنا يظهره التأويل كقوله تعالى فى القسم الثانى منه : {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ} فإن لقائل أن يقول جملة قوله تعالى : يطير بجناحيه لافائدة فى الاتيان بها ظاهرا اذ كل طائر يطير بجناحيه وهذا اخبار بمعلوم . والانفصال عن ذلك أن يقال : انه سبحانه وتعالى أراد وهو أعلم أن يدمج فى هذا الخبر النهى عن قتل الحيوان الذى لا يؤذى عبثا بدليل قوله تعالى :

(١) بديع ابن منقذ ص ١٥٢-١٥٣ .

(٢) بديع القرآن ص ٣٢٦ .

(٣) الانعام : ٣٨ .

"إِلَّا أَمَّمُ أَمْثَالَكُمْ" ففي مساواته بين ذلك وبين المكلفين في قوله تعالى أَمَّمُ أَمْثَالَكُمْ - إشارة الى أن الإنسان يدان بما يفعله مع كل جسم قابل للحياة ... " .  
وهذا النوع لم يسبق اليه وإنما له الفضل في ابتكاره وقد سلمه له محقق بديع القرآن .

### (٣١) باب الابداع :

(١)  
وهو من مبتكرات ابن أبى الاصبع ويعرفه بقوله : "وهو أن تكون كل لفظة من لفظ الكلام على انفرادها متضمنة بديعا أو بديعين بحسب قوة الكلام ، وما يعطيه معناه بحيث يأتى فى البيت الواحد والجملة الواحدة عدة ضروب من البديع ، ولا تخلو لفظة منه من بديع ، ثم يقول وما رأيت ولا رويت فى الكلام المنشور والشعر الموزون كآية من كتاب الله تعالى استخرجت منها أحدا وعشرين ضربا من البديع وعددها سبع عشرة لفظة وهو قوله تعالى : {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ ارْقُطِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (٢) .

وقد سبقت الإشارة إليها فى موطن التحليل ولا حاجة لاعادة ما جاء عنها .

### (٣٢) حسن الخاتمة :

وهذا الباب أراه مسبوqa اليه من القاضى أبى الحسن

(١) بديع القرآن ص ٣٤٠ .

(٢) هود : ٤٤ .

الرجاني عندما قال : "والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلاك والتخلص وبعدهما الخاتمة فانها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم الى الاصغاء" .  
(١)

وقد عقد ابن رشيق في كتابه بابا للمبدأ والخروج والنهاية وقال في النهاية وأما الانتهاء فهو قاعدة القميصة  
(٢) وآخر ما يبقى منها في الاسماع وسبيله يكون محكما ... " .

وبعد فذلخص من هذا العرض السابق لمبتكرات ابن أبي الاصبع أن مجموع الأنواع التي سلمت له بعد المناقشة اثنان وعشرون بابا وهي على النحو التالي : التمزيج ، والاستقصاء ، والبسط ، والعنوان ، والايضاح والتشكيك ، والجيدة والانتقال ، والاسجال بعد المغالطة ، والفرائد والاقتدار ، والخزاهة ، والتسليم ، والافتنان ، واثبات الشئ للشئ بنفسه والابهام ، والتفريق والجمع ، وحصر الجزئ والحاظه بالكل ، والمقارنة والانتقال ، والابداع ، والقول بالموجب ، والمناقضة .

تلك هي الأنواع التي سلمت له ، بعد العرض والتحليل وان كان صاحب كشف الظنون نوه الى أن ابن أبي الاصبع قد سبق الى ثلاثين لوئا سلم له منها عشرون واعتل عليه باقيةا ولم يتبين السالم من المعتل . فاعتمدت على ما عندي من مصادر فحكت على تسعة أنواع له بالتداخل والتوارد فيها وثلاثة وعشرين نوعا سليمة من التداخل هي التي له خالمة كما أن هناك أبوابا اختلفت تسميتها في البديع والتحرير ، ففي

(١) الوساطة للرجاني ص ٤٨ .

(٢) العمدة لابن الرشيق ص ٢١٣ .

(٣) كشف الظنون لحاجي خليفة ص ٢٣٠ .

البديع ورد باسم "باب ائتلاف الفاصلة مع مايدل عليه سائر الكلام ، وهو فى التحرير باب ائتلاف القافية مع مايدل عليه سائر البيت ، وان كان المفهوم فى التسمية واحد ، وقد ورد باب الاقتدار فى البديع ثم تغيرت التسمية مع بقاء المفهوم والشواهد على وضعها فمار باب التصرف فى التحرير .

### أثر القرآن فى بديع القرآن :

لاشك لقد كان للقرآن أثر مباشر فى توجيه آراء ابن أبى الاصبع البلاغية ، والنقدية ، وقد أشار هو الى قيمة القرآن فى دراسات البيان ، وصلته بعلوم البلاغة فى ثنايا كتابه . وابن أبى الاصبع التزم منهجا سار عليه ، وهو أنه يبدأ القول فى أبوابه بالتعريف ثم يأتى بأمثلة من القرآن تبين هدفه ، والفن الذى يريد الإشارة اليه ، ثم يتبع الشواهد القرآنية بشواهد أخرى من الشعر والنثر لتطبيق الفن عليها وذلك فى بعض الفنون من أبوابه ان أراد المفاضلة بينها . وقد أكثر من شواهد القرآن حتى غلبت على كثير من أبوابه كما فى باب المناسبة ، والتمام ، والتفكيك ، والتخيير ، والايضاح ، وغيرها .

وقد يبين ما يحدث من اشكال بين الآيات فيوضح الفرق بينها يقول فى قوله تعالى : {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ} وكذلك جاءت آية الروم فانه سبحانه وتعالى قال فيها : {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ تَطْهَرُونَ . يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} (٢) يقول : "فان البليغ اذا نظم كلاما وجب عليه ان يلائم بين ألفاظه ، ليأتى كلامه موصوفا بالائتلاف ، بحيث لا

(١) يونس : ٣١ .

(٢) الروم : ١٨-١٩



تأتى لفظة منافرة لأخواتها موضوعة فى غير موضعها ، فان الكلام اذا وقع فيه مثل ذلك عيب بسوء الجوار .

ولما أوجبت البلاغة أن يأتى خبر "ان" فى سورة الانعام بصيغة اسم الفاعل فى قوله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} (١) يكون اسم الفاعل المضاف يدل على المضى والفعل المضارع يدل على الحال والاستقبال دون المضى والآية سيقى للتمدح بالقدرة المطلقة التى هى صفة ذاتية لله سبحانه ، والاعتداد بالنعم على عباده فكان التمدح بها من الاتيان بصيغة اسم الفاعل من الاتيان بصيغة الفعل ، لما يدل عليه اسم الفاعل من المضى المطلق الدال على العدم ، فان مجئ ذلك على ما جاء عليه يستفاد منه قدم القدرة ، ويلزم من قدمها قدم الموصوف بها ولما علم - سبحانه وتعالى ، أن تمدحه بمجرد فلق الحب والنوى فى بطن الأرض غير تام لانه لاينتفع به حتى يخرج نباته الى ظهر الأرض ، فحينئذ تكون نعمة يعتد بها ويمتن على العبيد لانتفاعهم به ، وليظهر لاعينهم به قدرة مخرجه ومخترعه ، أخبر بأنه يخرج نباتا من الأرض ليتم معنى التمدح ووجب أن يكون الخبر عنه بصيغة الفعل المضارع ليقع الاخبار به على ترتيب وقوعه فى الوجود ولايتقدم منه مايجب تأخير ، ولايتأخر مايجب تقديمه اذ كان انفلاق الحب والنوى فى بطن الأرض مقدا على خروج النبات الى ظهر الأرض ، فكان زمن انفلاق الحب والنوى ماضيا بالنسبة الى زمن خروج النبات ، وخروج النبات مستقبلا بالنسبة اليه استقبالا أوله زمن الحال وآخره زمن الاستقبال ، فكان مقتضى البلاغة الاتيان بصيغة المضارع الدال على الحال والاستقبال

بعد اسم الفاعل المضاف الدال على المضى فوقع هذا التهذيب فى هذا الحرف مدمجا فى فى الكناية - وهو أعلم - كنى بالحي عن النبات لكونه مغتزيا فاميا ، وكنى بالميت عن الأرض لكونها جماد ، وكان حمل هذا الكلام على هذا التأويل أولى من حمله على مايدل الظاهر من كون الحي والميت من الحيوان لكون الحي والميت من الحيوان لايلزم ذكر الحب والنوى ، فيجب الرجوع الى تأويلنا لما تقدم من ذكر الحب والنوى ليرتبط بعض الكلام ببعض ، ويتم المعنى المراد من التمدح بهذه الأفعال ، والاعتداد بهذه النعم على الحيوان ، فكان مقتضى البلاغة تقديم ذكر الحب على ذكر النوى لكونه قوت المخاطب المعتمد عليه بهذه النعم وقوت دوابه وجب أن يقتصر على ذكر الحب دون النوى لأن فى ذكر النوى اشارة الى مايعتمد به على المخاطب أيضا من الثمرات التى يتفكر بها و تتنوع له الملاذ بسببها فكان ذكرها من كمال معنى التمدح ، ثم لما علم سبحانه أن القدرة المطلقة اذا وصفت بايجاد النبات والتصرف فى الجماد دون ايجاد الحيوان ، كان الوصف ناقصا فاستأنف الاخبار عنه باخراج الميت من الحي ، لأن المعنى الأول قد تم الكلام فيه ، وحسن السكوت عليه ... فقال بعد ذلك متنقلا عن الاخبار عن اخراج النبات من الجماد الى الاخبار عن اخراج الحيوان من الحيوان لتمام المعنى الذى كان بدون ذلك ناقصا وصار قوله : "ويخرج الميت من الحي" مكملا ، وأتى فى هذه الجملة باسم الفاعل لأنه خبر مبتدأ مستأنف تقديره ، وهو مخرج الميت من الحي ، ليأتى نظم الجملة الثانية على ماأتى عليه نظم الجملة الأولى ،

حيث قال عز وجل : {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} فجاء خبر ان اسما فكذلك أوجبت البلاغة أن يأتى خبر المبتدأ فى الجملة الثانية اسما ، واقتصر سبحانه على التمدح باخراج الميت من الحى واكتفى بذلك دون اخراج الحى من الميت ، لكون اخراج الميت من الحى أعسر من اخراج الحى من الميت" (١) .

وقد علت مكانة الشاهد القرآنى فى بديع ابن أبى الاصبع خاصة حين نراه يدرك ماللشاهد القرآنى من روعة بمقارنته بالنصوص الشعرية والنثرية ، لذلك أكثر من الإشارة اليه ، وإيراده ثم المقارنة بين فنون القول فيه ، وفيما جاء من النصوص ، كما فعل فى باب الموازنة حين يورد بيت السموءل :

وَنَنْكَرُ إِن شَأْنًا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ

وَلَا يَنْكَرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

فيقول : "فانك اذا وازنته بقول الله سبحانه {لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} تبين لك ما بين الكلامين من الفرق ، وأمثال هذا الباب كثيرة ، وهذا أحد وجوه الاعجاز وهو قياس القرآن بكل معجز من الكلام" (٢) .

ويعقد موازنة بين قوله تعالى : {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} وبين قول زهير وهو أبلغ بيت قيل فى صفة التقسيم :

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ

وَلَكِنِّى عَنْ عِلْمِ مَا فِى غَدٍ عَمَّ

(١) بديع القرآن ص ٢٦٧-٢٧٠ .

(٢) بديع القرآن ص ٩٦ .

(٣) البقرة : ٤

فيقول : "... وأما الآية .. فاستوفت أقسام الزمان في قوله تعالى : {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} فان ايمان هؤلاء المؤمنين بما انزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ايمان في الحال وبما انزل من قبله ايمان في الماضي وايمانهم في الآخرة ايمان في المستقبل ثم زاد ايمانهم في الآخرة وصفا اذ أخبر أنه ايمان متيقن ليدل بذلك على قوة تمديقهم للذبي صلى الله عليه وسلم ، ووثوقهم بأن ما أخبر بوقوعه سيقع يقينا لاشك فيه ولاشبهة فحمل في هذه الآية مع نهاية المدح صحة الاقسام في اللفظ ومبالغة في معنى المدح ، والايغال في الفاصلة اذ زاد بها المعنى زيادة ما حصلت الا بها ، واذا نظرت بين معنى هذه الآية التي عدتها اثنتا عشرة لفظة وبين قول زهير ، وهو أجل بيت جاءت فيه صحة التقسيم وأبلغه .

علمت مقدار ما بين البلاغتين وذلك أن عدة البيت ثلاث عشرة لفظة وفيه من زيادة اللفظ التي لم يؤت بها الا لأجل الوزن والقافية لفظتان فان ملخص معنى عجز البيت كله أن يقول : ولا أعلم ما في الغد ، فاضطره الوزن والقافية الى أن قال ما قال ، ، والحظ كم بين قافية البيت وفاملة الآية وماتضمنته الآية من مدح المؤمنين في الأزمنة الثلاثة (١) .

ويرى ابن أبى الاصبع أن فواصل القرآن هي الغاية في الاعجاز فبعد أن أورد مجموعة من الآيات عن فواصل القرآن

(١) بديع القرآن ص ٧٠-٧١ .

يقول فى قوله تعالى : {لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ  
 مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِيْ مِلَّتِنَا} <sup>(١)</sup> يقول : "فلزمت التاء قبل  
 النون فى أشياء كثيرة من فواصل القرآن العزيز تعجز  
 الفصحاء أشد تعجيزا ، لمجيئها سهلة منسجمة كما ترى ،  
 فسبحان المتكلم بهذا الكلام" <sup>(٢)</sup> .

فالشاهد القرآنى هو المثل الأعلى عنده ، لذلك وضعه فى  
 رؤوس الأبواب كما رأينا مما تقدم ، ولم يجعل همه فى هذا  
 رصد جميع ما جاء من فنون البديع فى كتابه هذا ، فقد نبذ  
 عددا من هذه الفنون لتكلفتها ولأنها لم تسم الى مرتبة بلاغة  
 القرآن كما نبه هو الى ذلك <sup>(٣)</sup> .

(١) الأعراف : ٨٨

(٢) بديع القرآن ص ٢٢٩ .

(٣) انظر مثلا الصفحات ٣٠، ٦٣، ١٥٨ وغيرها .

يقول : وبقيّة فروع التجنيس لم نأت لها أمثلة فى  
 الكتاب العزيز لما يدل عليه نظمها من التكلف والتصنع  
 ص ٣٠ .

ويقول فى باب التشبيه : "وهذا النوع لم يأت مثله فى  
 الكتاب العزيز ، لكونه لا يأتى الا مصنوعا مقصودا" .

## الخاتمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .. والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله سيد البلغاء ، أفصح العرب لسانا وأحكمهم بيانا وأفضلهم كلاما .

وبعد :

فقد قامت هذه الدراسة على الاستقراء الكامل . والتتبع الواعى لكل فن من فنون علم البديع عند المتأخرين ، كما اعتمدت على الشرح والتحليل ، والترجيح وبعثت عن الأحكام العامة بغير دليل .

وقد أظهرت هذه الدراسة "علم البديع" فى صورة جديدة تختلف عن الصورة التى عهدناها عند أصحاب التلخيص وشراحه . ويمكن تلخيص النتائج التى توصلت إليها من خلال تلك الدراسة فيما يلى :

(١) لقد رأيت أن تقسيم ابن أبى الاصبع لما ورد فى كتابه من أنواع البديع الى أصول وفروع ، لايعنى بتلك القسمة تفضيل الأصول على الفروع ، والا لما أورد فن "تشابه الاطراف فى الفروع" ، وفن "التمام أو التتميم" فى الأصول الاثنى أرى أحقية المصطلح الأول بالأصول ، والآخر بالفروع ، لو كنت أفاضل بينها ، وانما يعنى بالأصول ماجاء عند ابن المعتز وقدامة بن جعفر ، وبالفروع ماورد بعدهما . وقد اختلف العلماء بعد ابن المعتز على تسمية النوع الواحد بمسميات عدة مما جعل ابن

سنان يضح من هذه الظاهرة ويرفضها ، ويرى أن هذا كله يرجع الى معنى واحد ، وهذا يدل على ما كان يتمتع به ابن سنان من ذوق أدبى رفيع . وهذه فى نظرى من أهم النتائج التى توصلت إليها . اذ أن تعدد المسميات لمعنى واحد لاتعنى شيئا بل هى حمل ثقيل على البلاغة العربية .

ثم تأكدت مما اختلف عليه الباحثون حول نشأة البديعيات ، حيث تثبت بعد مراجعة أقوال الباحثين أن أول من نظمها الأديب المصرى ، على بن عثمان بن على بن سليمان أمين الدين السلجمانى الأربلى المتوفى سنة ٦٧٠هـ . وقد استعنت فى ذلك برأى للدكتور شوقى ضيف فى كتابه البلاغة تطور وتاريخ .

(ب) الكشف عن قوة العلاقة بين علم التفسير ، والبلاغة العربية ، وقد اتضح لى ذلك بعد دراستى لتفسير أبى السعود ، وتأثره بمسائل علم البلاغة التى استعان عليها بشواهد من القرآن الكريم .

وقد انصف أبو السعود علم البديع من جور المتأخرين اذ عدوه ذيلًا فى البلاغة العربية يأتى بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة وذلك لأنه اعتبره علما مستقلا له مقاماته وسياقاته ، ولذلك فهو لم يقتصر على اخراج اللون البديعى وقيمه البلاغية ، وانما تعداه الى نسق الكلام ليوضح ماوراء هذا النسق من أسرار بلاغية كما فعل فى باب الالتفات وسائر ألوان البديع وتلك نظرة جيدة لأنها تربط خصائص المياعة بفنون البلاغة وقد استفاد فى ذلك كثيرا من الزمخشري والبيضاوى .

وفى مبحث التجريد يذكر أبو السعود تعريف الخطيب القزوينى ، حيث ذكر من الصور التى أوردها الخطيب القزوينى فيه "دخول فى" فى المنتزع منه .

وأما مبحث الاستطراد فقد أورد أبو السعود عدة تصورات حيث أمكن الرد من خلاله على ابن أبى الاصبع المصرى فيما ذهب اليه من أن الاستطراد لم يرد فى القرآن الكريم الا فى موضع واحد .

وعن مبحث الالتفات فقد سار على رأى الجمهور بأنه التعبير عن معنى بطريقة من الطرق الثلاثة ، المتكلم أو الخطاب ، والغيبة .

وأما المذهب الكلامى فقد تحدث عنه تحت مصطلح "البرهان العقلى" وأحيانا تحت الاحتجاج النظرى وقد جعله فنا من فنون علم البيان .

(ج) ومن خلال تحليلنا لسورة الرعد تبين لنا أن أكثر الفنون ورودا فى القرآن الكريم ، وكلام العرب البلغاء فى الطباق والمقابلة ، وأقلها ورودا الاستخدام والاستطراد وحاولت أن أجد اسبابا لشيوع هذين الفنين أعنى - الطباق والمقابلة - فى الكلام الرفيع مما يدل على أصالتهما ، واستعنت فى ذلك برأى للدكتور محمد أبو موسى .

أما عن مبحث الفواصل فقد قمت بعمل إحصاء شامل لفواصل القرآن الكريم ، تبينت من خلاله أن أكثر الحروف أى نهايات الفواصل ورودا فى القرآن الكريم النون ثم الميم ، يليها الراء ، فاللام ، وأقلها مجيئا ، الغين والواو ، الشين ، ولم يرد حرف الخاء فى الفواصل مطلقا .



ثم خصمت سورة التكوير لدراسة الفواصل ، وقد ناقشت فيها رأى الشيخ عبد القاهر من أن أجرام الحروف ليست لها قيمة تذكر وبيئت أن القيمة الصوتية للجناح لاتنكر فى بعث خواطر النفس وإشارة استحسانها ، وهز أعطافها وحث الأريحية والطرب فى داخلها شريطة أن يصيب الموقع ودقة التوزيع ، وأن يلائم المعنى .

(د) يرى ابن الأثير أن الالتفات فى قوله تعالى : {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مَّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} من باب الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد وقد وهم فى ذلك فهو رجوع من المتكلم الى الغيبة لأن الاسم الظاهر وهو "رب" من قبيل الغيبة ، وقد استدركت عليه هذا فى موضعه من البحث .

ثم هو يطلق تسمية "خطاب النفس" على ما عرف عند المتأخرين باسم "المتكلم" .

(هـ) وفى مبحث ابن أبى الإصبع فقد ذكر أن عدة أبواب كتابه مائة وثمانية أبواب والمواب أنها مائة وتسعة أبواب لا كما ذكر .

ثم لاحظت أن معالجته لفن البسط ، تختلف عن فهم السابقين له فهو لايعنى به الاطناب كما قال به المتأخرون وإنما الذى يعنيه التفصيل المعنوى النفسى والتفصيل البديعى معا وهذا لايفيده الاطناب الذى يرمى الى التفصيل فى المعنى لاغير .

ثم تأكدت مما اختلف عليه الباحثون حول اضافاته وقد أثبتت ذلك فى البحث .

## المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم .

أولا : المصادر القديمة .

(٢) الاتقان ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١١)

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

(٣) أساس البلاغة ، أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨) ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٤) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١) تحقيق هـ ، ريتز ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ، مكتبة القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٥) الاشارات والتنبیہات فى علم البلاغة ، محمد بن على

محمد الجرجانى ، (ت ٧٢٩) تحقيق د. عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة ، القاهرة ١٩٨١م

(٦) اعجاز القرآن ، أبى بكر محمد الطيب الباقلانى (ت ٤٠٣) تحقيق السيد أحمد مقر ، دار المعارف ، القاهرة ، المطبعة الرابعة .

(٧) الاكسير فى علم التفسير ، سليمان بن عبد القوى بن عبد

الكريم المصرى الطوفى (ت ٧١٦) تحقيق عبد القادر حسين ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ، القاهرة

١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

- (٨) أنوار الربيع فى أنواع البديع ، لابن معصوم المدنى  
(ت ١١٢٠) ، تحقيق شاكى هادى شكر مطبعة النعمان ،  
الطبعة الاولى ١٣٨٨هـ .
- (٩) الايضاح فى علوم البلاغة ، الخطيب القزوينى (ت ٧٣٩) ،  
شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجى . الطبعة  
الثانية .  
وطبعة مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة (دون تاريخ).  
مطبعة مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ، القاهرة  
١٣٩٠/١٩٧١ م .
- (١٠) البحر المحيط ، أبى حيان الأندلسى (ت ٧٥٤) دار الفكر  
الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م .
- (١١) البديع ، عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦) تحقيق  
كراتشفوفسكى ، دار الحكمة ، دمشق ، الطبعة ، (دون  
تاريخ) .
- (١٢) بديع القرآن ، ابن أبى الاصبع النمى (ت ٦٥٤) تحقيق  
حنى محمد شرف ، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة  
الطبعة الثانية (دون تاريخ) .
- (١٣) البديع فى نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، تحقيق د.  
أحمد بدوى ود. حامد عبد المجيد ، ومراجعة ابراهيم  
مصطفى ، شركة ومكتبة ، ومطبعة مصطفى البابى الحلبي  
بمصر (دون تاريخ) .
- (١٤) البرهان فى علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد  
الله الزركشى (ت ٧٩٤) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم  
الطبعة الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧٢ م .

- (١٥) بغية الوعاة ، جلال الدين السيوطى (ت ٩١١) ، دار المعرفة ، بيروت (دون تاريخ) .
- (١٦) البيان والتبيين ، أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥) تحقيق عبد السلام محمد هارون مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٦٧هـ/١٩٤٨ .
- (١٧) تأويل مختلف الحديث ، أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، دار الجيل بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣ .
- (١٨) تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله ابن مسلم ، بن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦) ، محقق السيد أحمد مقرر ط ٢ ، ١٣٩٣/١٩٧٣ ، دار التراث القاهرة .
- (١٩) تحرير التعبير فى مناعة الشعر والنثر ، وبيان اعجاز ابن أبى الاصبع الممرى (ت ٦٥٤) تقديم وتحقيق د. حفنى محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة احياء التراث الإسلامى القاهرة ١٣٨٣هـ .
- (٢٠) التعريفات للشريف على بن محمد الجرجانى (ت ٨١٦ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣ م .
- (٢١) تفسير ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠) "جامع البيان عن تأويل آى القرآن" دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٤ م .
- (٢٢) تفسير روح المعانى فى القرآن العظيم والسبع المثانى لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسى البغدادى (ت ١٢٧٠) هـ ، دار الفكر بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م .
- (٢٣) تفسير أبى السعود (ت ٩٨٢) "ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم" تحقيق عبد القادر عطا ، دار

- الفكر بيروت ، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض ،  
الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- (٢٤) تفسير الفخر الرازي ، محمد الرازي فخر الدين  
(ت ٦٠٤هـ) ، دار الفكر بيروت لبنان ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- (٢٥) تفسير القرآن العظيم لعبد الدين أبي الفداء اسماعيل  
ابن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، دار الاندلس  
للطباعة والنشر بيروت ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م .
- (٢٦) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، علي بن عيسى الرمانى  
(ت ٢٩٦هـ) تحقيق محمد خلف الله ، د. محمد زغلول سلام  
(دار المعارف) المطبعة الثانية ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .
- (٢٧) الجامع لاحكام القرآن ، عبد الله بن محمد بن أحمد  
الانصارى القرطبي ، (ت ٦٧١هـ) ، دار احياء التراث  
العربى . بيروت ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م .
- (٢٨) جوهر الكنز ، أحمد بن اسماعيل بن الاثير الحلبى  
(ت ٧٣٧هـ) تحقيق محمد زغلول سلام ، دار المعارف  
بالاسكندرية ، ١٩٨٠م .
- (٢٩) حاشية الدسوقي على شرح السعدى ، ضمن شروح التلخيص  
للخطيب القزوينى ، مطبعة عيسى الحلبى وشركاه ، مصر ،  
بدون تاريخ .
- (٣٠) الحجة فى علل القراءات السبع ، أبى على القارى ،  
تحقيق على النجدى ناصف ، د. عبد الحليم النجار ،  
د. عبد الفتاح شلبى ، ومراجعة محمد على النجار ،  
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الاولى ،  
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٣١) حسن التوصل الى صناعة التوصل ، شهاب الدين محمود  
الحلبى (ت ٧٢٥ هـ) ، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف ،  
دار الرشيد للنشر ، ١٩٧٦م/١٣٩٦هـ .

(٣٢) الحيوان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار احياء  
التراث العربى ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ .

(٣٣) خزانة الادب لابن حجة الحموى ، (ت ٨٣٧ هـ) ، دار  
القاموس الحديث ، بيروت ، مكتبة البيان .

(٣٤) الخصائص لابى الفتح عثمان بن جنى ، (ت ٣٩٢ هـ) ،  
تحقيق محمد على النجار ، دار الكتب المصرية ، الطبعة  
الثانية ، ١٩٦٣م .

(٣٥) دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجانى ، قرأه وعلق عليه  
محمود محمد شاكر ، مكتبة الخافجى ، القاهرة ، مطبعة  
المدنى ، ١٤٠٤م .

(٣٦) ديوان أبى تمام ، تحقيق د. شاهين عطية ، مراجعة بولس  
الموصلى ، دار صعب ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٣٧) ديوان الاعشى ، دار صادر ، بيروت .

(٣٨) ديوان البحترى ، تحقيق حسن كامل الصيرفى ، دار  
المعارف ، مصر ، ١٩٦٤م .

(٣٩) ديوان بشار بن برد ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ،  
مراجعة ، محمد شوقى أمين ، مطبعة لجنة التأليف  
والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .

(٤٠) ديوان حسان بن ثابت الانمارى ، ضبط وتصحيح عبد الرحمن  
البرقونى ، دار الاندلس للطباعة والنشر بيروت ، لبنان  
ط/٣ ، ١٩٨٣م .

(٤١) ديوان زهير بن أبى سلمى ، منعه الاعلام الشنتمرى ،  
تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ،  
بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

(٤٢) ديوان طرفة بن العبد ، دار بيروت ، للطباعة والنشر ،  
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

(٤٣) ديوان علقمة الفحل بشرح الاعلام الشنتمرى ، تحقيق لطفى  
المقال ، ريه الخطيب ، مراجعة فخر الدين قباوه ، دار  
الكتب العربى ، حلب ، ط/١ ، ١٣٩٨هـ / ١٩٦٩م .

(٤٤) ديوان عمر بن أبى ربيعة ، الهيئة المصرية العامة  
للكتاب ، ١٩٧٨م .

(٤٥) ديوان الفرزدق ، همام بن غالب بن صعصعة ، (ت ١١٤هـ)  
دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

(٤٦) ديوان النابغة الزبياني ، تحقيق وشرح محمد الطاهر بن  
عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع ، الشركة الوطنية  
للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٦م .

(٤٧) ريحانة الالباء وزهرة الحياة الدنيا ، شهاب الدين أحمد  
بن محمد عمر الخفاجى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو  
مطبعة عيسى الحلبي وشركاه ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٦هـ  
١٩٦٧م .

(٤٨) سنن الترمذى ، "أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره" ،  
(ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق وتعليق ابراهيم عطوه عوض ، دار  
احياء التراث العربى ، بدون تاريخ .

(٤٩) سنن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، (ت ٢٧٥هـ)  
تعليق عزة عبيد الدعاس وعادل السيد ، دار الحديث حلب  
الطبعة الاولى ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

(٥٠) سنن ابن ماجه "أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني"  
(ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي المكتبة  
العلمية بيروت دون تاريخ .

(٥١) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، جلال الدين  
السيوطي ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ،  
١٣٥٨هـ/١٩٣٩م .

(٥٢) شروح التلخيص ، الخطيب القزويني ، مطبعة عيسى الحلبي  
وشركاه ، مصر ، دون تاريخ .

(٥٣) المصاحبي ، أبي الحسين أحمد بن فارس ، (ت ٣٩٥) ،  
تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ،  
وشركاه ، القاهرة ، دون تاريخ .

(٥٤) صحيح مسلم "أبو الحسين مسلم بن الحجاج" ، (ت ٢٦١هـ)  
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث ،  
الطبعة الثانية ، دون تاريخ .

(٥٥) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ،  
يحيى بن حمزة العلوي ، (ت ٧٤٩هـ) ، طبعة دار الكتب  
العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٥٦) العمدة لابن رشيق القيرواني ، (ت ٤٥٦ هـ) ، تحقيق  
محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر  
والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٥٧) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ، بهاء الدين السبكي ،  
(ت ٧٧٣هـ) ، طبعة عيسى الحلبي ، مصر .



(٥٨) عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوى ، (ت ٣٢٢هـ) ، تحقيق  
د. عبد العزيز الناصر المانع ، دار المعارف للطباعة  
والنشر ، الرياض ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٥٩) فتح البارى لشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ،  
(ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ومحـب  
الدين الخطيب ، طبعة المكتبة السلفية ، القاهرة ،  
وطبعة دار الفكر ، (دون ذكر للطبعة وتاريخها) .

(٦٠) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم  
التفسير ، محمد بن على بن محمد الشوكانى ،  
(ت ١٢٥٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ،  
١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

(٦١) فتوح الغيبة فى الكشف عن قناع الريبة ، اللطيبى ،  
تحقيق ودراسة جميل محمد الحسين ، رسالة دكتوراه تحت  
اشراف د. المحمدى عبد العزيز الحفناوى ، جامعة الازهر  
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٦٢) الفرق بين الفرق ، عبد القاهر بن طاهر البغدادي ،  
(ت ١٠٣٧هـ) ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ،  
دار المعرفة ، بيروت ، دون تاريخ .

(٦٣) الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان لابن قيم  
الجوزيه ، (ت ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية (دون ذكر  
للطبعة وتاريخها) .

(٦٤) فوات الوفيات ، محمد بن شاکر الکتبى ، (ت ٧٦٤هـ)  
تحقيق د. احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٤م

(٦٥) القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م .

(٦٦) قانون البلاغة فى نقد النثر والشعر لآبى طاهر محمد بن حيدر البغدادي ، (ت ٥١٧هـ) ، تحقيق د. محسن غياض عجيل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٦٧) كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، دار الكتب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٦٨) كتاب المناعتين . الكتابة والشعر ، أبى هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٦٩) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله القسطنطنى الرومى الحنفى المشهور بحاجى خليفة ، (ت ١٠١٧هـ) ، دار الفكر ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٧٠) الكشف للزمخشري ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م ، طبعة دار المعرفة ، بيروت ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع .

(٧١) لسان العرب ، لابن منظور ، (ت ٧١١هـ) . طبعة دار المعارف ، دون تاريخ .

(٧٢) المثل السائر ، ضياء الدين بن الاثير ، (ت ٦٣٧هـ) ، تقديم وتحقيق د. أحمد الحوفى و د. بدوى طبانة ، دار الرفاعى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٧٣) مجموعة من التفاسير ، البيضاوى والنسنى والخازن وابن عباس ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٣١٩هـ .

(٧٤) المحتسب فى تبیین وجوه شواذ القراءات والایضاح عنہا ، وابن جنی ، تحقیق على النجدی حافظ و د. عبد الفتاح اسماعیل شلبی ، طبعة المجلس الاعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

(٧٥) مسند الامام أحمد بن حنبل ، (ت ٢٤١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(٧٦) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى ، تأليف العالم أحمد بن محمد بن على المقرئ الفيومى ، (ت ٧٧٠هـ) ، محققه على النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية ، مطبفى السقا ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٦٩هـ ، ١٩٥٠م .

(٧٧) المطول على التلخيص ، التفتازانى ، مطبعة أحمد كامل ، ١٣٣٠هـ .

(٧٨) معانى القرآن ، أبى زيد الفراء ، (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق أحمد يوسف

(٧٩) معاهد التنميص على شواهد التلخيص ، عبد الرحيم أحمد العباسى ، (ت ٩٦٣هـ) ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م .

(٨٠) معترك الاقران فى اعجاز القرآن ، لسيوطى ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار الفكر العربى ، دون تاريخ .

(٨١) مفتاح العلوم ، سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي ، (ت ٦٢٦هـ) ، ضبطه وشرحه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٨٢) مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (ت ٨٠٨هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م . وضع الحواشي خليل شحادة ، وزاجعه سهيل زكار .

(٨٣) الملل والنحل ، لأبي الفتح محمد الشهرستاني ، (ت ٥٤٨هـ) تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الفكر (دون ذكر للطبعة وتاريخها) .

(٨٤) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، لأبي محمد القاسم السجلمانى الانصارى (ت ) تحقيق علal الغازى مكتبة العارف ، المغرب ، دون تاريخ .

(٨٥) منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجنى ، (ت ٦٨٤) تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار المغرب الاسلامى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م .

(٨٦) الموازنة ، لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى ، (ت ٣٧٠هـ) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م .

(٨٧) مواهب المفتاح ضمن شروح التلخيص لابن يعقوب المغربى طبعه عيسى البابى الحلبي ، مصر .

(٨٨) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، (ت ٣٣٧هـ) ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى ، دار عطوه للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م .

(٨٩) نقد النشر ، المنسوب لقدامة بن جعفر وهو لعبد الله ابن أيوب ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(٩٠) نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز للرازي ، فخر الدين الرازي ، (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق بكرى شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥م ، الطبعة الاولى .

(٩١) النهاية فى غريب الحديث والاثار ، لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الاثير ، (ت ٦٠٦هـ) تحقيق محمود محمد الطناحى ، وطاهر أحمد الزاوى ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

(٩٢) نهج البلاغة للشريف الرضى ، تحقيق الشيخ محمد عبده ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، دون تاريخ .

(٩٣) الوساطة بين المتنبى وخصومه ، لعلى بن عبد العزيز الجرجانى ، (ت ٣٦٦هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوى ، دار القلم ، بيروت ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .

#### ثانيا : المراجع .

(٩٤) أشر القرآن فى تطور النقد العربى ، د. محمد زغلول سلام ، مكتبة الشباب ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٣م .

(٩٥) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ، د. محمد محمد أبو شهبة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م (دون ذكر الطبعة ومكانها) .

(٩٦) ابن أبى الأصبغ بين علماء البلاغة ، د. حفى شرف ، الطبعة الاولى بدون تاريخ ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة .

- (٩٧) أضواء البيان فى ايفاح القرآن ، محمد الامين الشنقيطى  
مطبوعات الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية  
والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض ١٤٠٣هـ .
- أضواء البيان فى ايفاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطى ،  
عالم الكتب ، بدون تاريخ .
- (٩٨) الاعجاز البيانى فى ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره ،  
د. محمد أحمد يوسف القاسم ، دار المعارف الدولية ،  
القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- (٩٩) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعى  
دار الكتاب العربى ، بيروت ، (دون ذكر للطبعة  
وتاريخها) .
- (١٠٠) اعراب القرآن وبيانہ ، محيى الدين الدرويش ، دار  
الارشاد بحمص ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .
- (١٠١) البديع فى ضوء أساليب القرآن الكريم ، د. عبد  
الفتاح لاشين ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة  
الثالثة ، دون تاريخ .
- (١٠٢) البديع من المعانى والالفاظ ، د. عبد العظيم المطعنى  
دار وهدان للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، ١٣٦٦هـ  
١٩٧٦م .
- (١٠٣) البديعيات فى الادب العربى ، على أبو زيد ، عالم  
الكتب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- (١٠٤) بغية الايفاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة ، عبد  
المتعال المعيدى ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب  
ومطبعتها بالجماميز ، دون تاريخ .

- (١٠٥) البلاغة تطور وتاريخ ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ،  
الطبعة السادسة ، دون تاريخ .
- (١٠٦) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري وأثرها فى  
الدراسات البلاغية ، د. محمد محمد أبو موسى ، دار  
الفكر العربى للطباعة والنشر ، دون تاريخ .
- (١٠٧) البيان العربى ، د. بدوى طبانة ، مكتبة الانجلو  
المصرية ، الطبعة السادسة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .
- (١٠٨) تأملات فى سورة الرعد ، د. حسن محمد باجودة ، دار  
الاعتصام ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- (١٠٩) التفسير الادبى لسورة الرعد ، د. كامل سلامة الدقس ،  
دار الشروق للنشر والتوزيع ، دون تاريخ . تفسير  
التحرير والتنوير ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ،  
دار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .
- (١١٠) تفسير التحرير والتنوير ، للشيخ محمد طاهر بن عاشور  
دار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .
- (١١١) التفسير والمفسرون ، د. محمد حسين الذهبي ، دار  
الكتب الحديثة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .
- (١١٢) دراسات فى العقائد الاسلامية ، د. عرفان عبد الحميد ،  
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- (١١٣) دلالات الجراكيب ، د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة  
وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .
- (١١٤) شعر صفى الدين الحلى ، د. جواد غلوش ، بغداد ،  
١٣٧٩هـ .
- (١١٥) الصبغ البديعى ، د. أحمد موسى ، دار الكتاب العربى  
للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .

- (١١٦) ضياء الدين بن الاثير وجهوده فى النقد والبلاغة ،  
د . محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف بالاسكندرية ،  
الطبعة الثانية ، دون تاريخ .
- (١١٧) علم البديع ، د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة  
العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، طبعة ١٩٧٤م .
- (١١٨) علم البديع عند العرب ، لكراتشكوفسكى ، ترجمة  
وتقديم محمد الحجيرى ، دار الكلمة للنشر ، الطبعة  
الثانية ، ١٩٨٤م .
- (١١٩) الفاصلة فى القرآن ، محمد الحسناوى ، المكتب الاسلامى  
دار عمار ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- (١٢٠) فن الجنس ، على الجندى ، دار الفكر العربى ، مطبعة  
الاعتماد ، مصر ، ١٩٥٤م .
- (١٢١) فنون بلاغية ، البيان والبديع ، د. أحمد مطلوب ، دار  
البحوث العلمية للنشر ، العراق ، الطبعة الاولى ،  
١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- (١٢٢) فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة  
الشرعية الثامنة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- (١٢٣) قدامة بن جعفر والنقد الادبى ، د. بدوى طبانة ،  
مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٩هـ  
١٩٦٩م .
- (١٢٤) قراءة فى الادب القديم ، د. محمد محمد أبو موسى ،  
دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٨م
- (١٢٥) مباحث فى علوم القرآن ، د. صبحى الصالح ، دار العلم  
للملايين ، بيروت ، الطبعة العاشرة ، ١٣٨٥هـ .



- (١٢٦) المدائح النبوية ، د. زكى مبارك ، مطبعة الشعب ، القاهرة ، دون تاريخ .
- (١٢٧) المعجزة الكبرى القرآن ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
- (١٢٨) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .
- (١٢٩) المعجم المفهرس لآلفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، دون تاريخ .
- (١٣٠) مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث ، (رسالة دكتوراه) ، اعداد الباحث ابراهيم محمد عبد الله ، اشرف د. كامل امام النحوى ، جامعة الأزهر ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- (١٣١) من أسرار التعبير القرآنى ، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ، د. محمد محمد أبو موسى ، طبعة دار الفكر ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .
- (١٣٢) مناهل العرفان فى علوم القرآن ، محمد عبد العليم الزرقانى ، دار الفكر العربى ، الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ .
- (١٣٣) نشأة التفسير ومناهجه ، د. بسيونى محمود فودة ، مطبعة الأمانة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
- (١٣٤) النظم القرآنى لسورة الرعد ، محمد سعد الدبل ، عالم الكتب (دون ذكر للطبعة وتاريخها) .

## فهرس الموضوعات

### المفحة

المقدمة ..... ١

### الباب الأول

#### نمو مصطلح البديع وتشعبه

تمهيد ..... ١

الفصل الأول : نمو مصطلح البديع وتطوره ..... ٨

المفهوم الاصطلاحي للبديع فى عصوره المختلفة .... ٣٩-١٠

البديعيات ..... ٥٧-٤٠

#### الفصل الثانى : تشعب فنون البديع

والاختلاف حولها ..... ١٠٨-٥٨

### الباب الثانى

#### أثر البديع القرآنى فى بعض التفاسير

#### الفصل الأول : منهج أبى السعود فى التفسير

وتأثره ببديع القرآن الكريم ... ١١١-١٠٩

التفسير بالمأثور ..... ١١٢

(١) تفسير القرآن بالقرآن ..... ١١٣-١١٢

(٢) تفسير القرآن بالسنة عند أبى السعود . ١٢١-١١٤

(٣) الفقه فى منهجه ..... ١٢٢-١٢١

المفحة

- (٤) التفسير بالرأى عند أبى السعود ..... ١٢٩-١٢٣
- علم الكلام فى تفسير أبى السعود ..... ١٣٢-١٣٠
- موقفه من الاسرائيليات ..... ١٣٤-١٣٣
- بديع المعنى وبديع اللفظ فى تفسير أبى السعود .. ١٣٥
- (١) الطباق ..... ١٣٨-١٣٥
- (٢) المقابلة ..... ١٤٣-١٣٨
- (٣) مراعاة النظير ..... ١٤٤-١٤٣
- (٤) الاستطراد ..... ١٤٧-١٤٤
- (٥) الف والنشر ..... ١٤٩-١٤٧
- (٦) الكلام الموجه ..... ١٥١-١٥٠
- (٧) المشاكلة ..... ١٥٣-١٥١
- (٨) تجاهل العارف ..... ١٥٤
- (٩) المناسبة ..... ١٥٧-١٥٤
- (١٠) التجريد ..... ١٥٨-١٥٧
- (١١) المذهب الكلامى ..... ١٦١-١٥٨
- (١٢) التقسيم ..... ١٦٣-١٦٢
- (١٣) الاستدراج ..... ١٦٤-١٦٣
- (١٤) الاستقصاء ..... ١٦٦-١٦٥
- (١٥) التفصيل ..... ١٦٨-١٦٧
- (١٦) الاحتراس ..... ١٦٩-١٦٨
- (١٧) الاستدراك ..... ١٧٢-١٧٠
- (١٨) التتميم ..... ١٧٤-١٧٢
- (١٩) التهذيب ..... ١٧٥-١٧٤

الصفحة

١٧٥	(٢٠) الادماج .....
١٧٦-١٧٥	(٢١) العنوان .....
١٧٧-١٧٦	(٢٢) التفسير بعد الابهام .....
١٧٩-١٧٧	(٢٣) تأكيد المدح بما يشبه الذم .....
١٨١-١٧٩	(٢٤) الاكتفاء .....
١٨٥-١٨٢	(٢٥) الالتفات .....
١٨٦	بديع اللفظ عند أبي السعود .....
١٨٦	(١) براعة الاستهلال .....
١٨٦	(٢) حسن التخلص .....
١٨٧	(٣) التجانس .....
١٩١-١٨٧	(٤) الفواصل القرآنية .....
١٩٤-١٩١	أثر القرآن في تفسير أبي السعود .....
	<u>الفصل الثاني : بديع المعنى وبديع اللفظ</u>
٢٤٣-١٩٥	في سورة الرعد .....
٢٥٥-٢٤٤	احصاء فواصل القرآن .....
٢٦٦-٢٥٦	الفواصل في سورة التكويد .....

الباب الثالثالبديع وقضية الاعجاز

٢٦٧	<u>الفصل الأول : المثل السائر لابن الاثير</u> .....
٢٧٢	البديع بالمثل السائر - بديع المعنى .....
	(١) الطباق ، ويشمل المقابلة ، والتقسيم
٢٨٦-٢٧٢	والترتيب والتفسير .....

الصفحة

٢٨٩-٢٨٦	(٢) الارصاد أو التسهيم .....
٢٩٠-٢٨٩	(٣) التورية .....
٢٩٣-٢٩٠	(٤) التجريد .....
٢٩٥-٢٩٣	(٥) عكس الظاهر .....
٢٩٨-٢٩٥	(٦) الاستدراج .....
٣٠٨-٢٩٨	(٧) الالتفات .....
٣٠٩-٣٠٨	الاقتصاد والتفريط والافراط .....
٣١١-٣٠٩	أثر القرآن في المثل السائر .....
٣١٢	البدیع اللفظی عند ابن الأثير .....
٣٢٨-٣١٢	(١) التجنيس .....
٣٣٩-٣٢٨	(٢) السجع .....
٣٤٠-٣٣٩	(٣) الترميع .....
٣٤١-٣٤٠	(٤) لزوم ما لا يلزم .....
٣٤٣-٣٤١	(٥) الموازنة .....
٣٤٤	<u>الفصل الثاني : بديع القرآن لابن أبي الاصبع</u> .....
٣٥٤-٣٤٤	منهجه .....
٣٧٩-٣٥٥	أهم المواضع التي اختلف فيها عن مدرسة السكاكي.
٣٨١-٣٨٠	حول اضافات ابن أبي الاصبع .....
٣٨١	(١) التخيير .....
٣٨٣	(٢) التنظير .....
٣٨٤	(٣) التدبيج .....
٣٨٥	(٤) التميز .....
٣٨٦	(٥) الاستقصاء .....

الصفحة

٣٨٧	..... البسط	(٦)
٣٨٨	..... العنوان	(٧)
٣٨٩	..... الايضاح	(٨)
٣٩٠	..... التشكيك	(٩)
٣٩١	..... الحيدة والانتقال	(١٠)
٣٩٢	..... الشماتة	(١١)
٣٩٣	..... التهكم	(١٢)
٣٩٤	..... التندير	(١٣)
٣٩٤	..... الاسجال بعد المغالطة	(١٤)
٣٩٥	..... الفرائد	(١٥)
٣٩٧	..... الاقتدار	(١٦)
٣٩٨	..... النزاهة	(١٧)
٣٩٩	..... التسليم	(١٨)
٤٠٠	..... الافتنان	(١٩)
٤٠١	..... المراجعة	(٢٠)
	اثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير	(٢١)
٤٠٢	..... ذلك الشيء	
	باب الزيادة التي تفيد اللفظة فصاحة	(٢٢)
	وحسنا والمعنى توكيدا وتمييزا فى	
٤٠٢	..... مدلوله عن غيره	
٤٠٣	..... الابهام	(٢٣)
٤٠٤	..... التفريق والجمع	(٢٤)
٤٠٥	..... القول بالموجب	(٢٥)

الصفحة

٤٠٧	(٢٦) حصر الجزئى والحاقه بالكلى .....
٤٠٨	(٢٧) المقارنة .....
٤٠٩	(٢٨) الرمز والايماء .....
٤١٠	(٢٩) المناقضة .....
٤١٢	(٣٠) الانفصال .....
٤١٣	(٣١) الابداع .....
٤١٣	(٣٢) حسن الخاتمة .....
٤٢١-٤١٦	أثر القرآن فى بديع القرآن .....
٤٢٢	الخاتمة .....
٤٤١-٤٢٦	المصادر والمراجع .....
٤٤٢	فهرست الموضوعات .....